الدكتور علي محمود إسلام الفار

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية

تأليف
الدكتور علي محمود اسلام الفار

طبعة مزيدة ومنقحة

سنة ١٩٧٦



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الاسكندرية

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦/٥٠٠٨
ISBN ٩٧٧ – ٢٠١ – ١٦٧ – ٠
شركة الاسكندرية للطباعة والنشر
ابراهيم محمد السيد وشركاه
تليفون : ٣٥٨٤١

اهداء

الى أخى

أمين محمود اسلام الفار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تحتاج المكتبة العربية ، فى الوقت الحاضر ، إلى كتاب يتناول بالدراسة البحوث الحقلية التى أجراها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى المجتمعات البدائية والقروية والحضرية . ومن أجل ذلك ، فقد قمت بتأليف كتابى هذا بغرض محاولة سد هذا الفراغ . ويتكون هذا الكتاب من سبعة عشر فصلا وبعض النصوص الأنثروبولوجية باللغة الانجليزية

ويشتمل الفصل الأول على عرض تاريخى موجز لتطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ويحتوى الفصلان الثانى والثالث على دراسة لمورجان وتايلور كمثال للدراسات التطورية التى كانت سائدة فى ميدان هذا العلم خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر . كما تناولنا بالدراسة كذلك فى الفصل الرابع البحث الحقلى الذى قام به فرانزبواس عن الاسكيمو خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

أما بالنسبة للدراسات الحقلية عن المجتمعات البدائية فى القرن العشرين ، فقد خصصنا لهذا الغرض سبعة فصول تناولنا فيها بالدراسة بشىء من التفصيل دراسة أ . ر . رادكليف براون عن سكان جزر الأندمان ، دراسة ب . مالينوسكى عن سكان جزر التروبرياند ، دراسة ش . ج . سلجمان وزوجته عن قبائل جنوب السودان ، دراسة إ . إ إيفانز بريتشارد عن قبائل الأزاندى

والنوير ، دراسة ريموند فيرث عن سكان جزيرة تيكوبيا ، دراسة و . ل وورنر عن المورنجن فى شمال أستراليا .

وبالنسبة للدراسات الحقلية فى المجتمعات القروية والحضرية ، فقد خصصنا لهذا الغرض أربعة فصول تناولنا فيها بالدراسة بشىء من التفصيل دراسة جون إمبرى عن « سوهى مورا » باليابان ، دراسة س . دوبى عن « شاميربت » فى الهند ، دراسة روبرت س. لند وهيلين م . لند عن « ميدلتاون » بالولايات المتحدة ، دراسة و . ل وورنر وزملاؤه عن « يانكى سيتى وجونزفيل » فى الولايات المتحدة .

ويحتوى الفصل السادس عشر على دراسة للأسباب التى دعت العلماء إلى الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية ؛ كما أنه يحتوى أيضا على دراسة لاتجاه العلماء لدراسة المجتمعات القروية والحضرية . ويشتمل الفصل السابع عشر على بعض الملاحظات عن البحث الحقلى . ومن الموضوعات التى تناولناها بالدراسة فى هذا الفصل نذكر : الملاحظة بالمشاركة ، الجمع بين الملاحظة والمقابلة ، تسجيل الملاحظة والمقابلة ، مدة الدراسة الحقلية ، اللغة كأداة للبحث الحقلى ، الصورة الفوتوغرافية ، اختيار المخبرين ... الخ .

كذلك يجد القارىء أيضا فى هذا الكتاب نصوصا باللغة الانجليزية ؛ وقد تم اختيارها من أمهات الكتب فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

وفضلا عما تقدم ، فإن القارىء يجد أيضا مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط .

هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن هذه الطبعة (سنة ١٩٧٦) مزيدة ومنقحة ؛

وهى تختلف كثيرا عن طبعة سنة ١٩٦٨ (الأنثروبولوجيا الاجتماعية ـ دراسة المجتمعات البدائية ـ الشركة القومية للتوزيع ـ سنة ١٩٦٨) . فهناك إضافات فى خمسة فصول ، وهذه الفصول هى : الفصل الاول (مقدمة تاريخية) الفصل الرابع (قبائل الاسكيمو) ، الفصل الخامس (سكان جزر الاندمان) ، الفصل السادس (سكان جزر التروبرياند) ، الفصل السابع (قبائل جنوب السودان) . كذلك يجد القارىء أيضا فى هذه الطبعة من الكتاب ، خمسة فصول جديدة لم تكن موجودة فى طبعة سنة ١٩٦٨ . وهذه الفصول هى . الفصل الثانى عشر (سوهى مورا) ، الفصل الثالث عشر (شاميربت) ، الفصل الرابع عشر (ميدلتاون) ، الفصل الخامس عشر (يانكى سيتى وجونزفيل) ، الفصل السابع عشر (ملاحظات عن البحث الحقلى) . وبالإضافة إلى ماتقدم فهناك أيضا تعديلات وإضافات عديدة بالنسبة للصور الفوتوغرافية والنصوص الانجليزية .

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن شكرى وتقديرى للأستاذ أحمد معروف مراقب عام الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية لما قدمه من التسهيلات فى مختلف مراحل طباعة هذا الكتاب .

وختاما فإننا نرجو أن نكون بهذا الجهد المتواضع قد وفقنا فى سد بعض الفراغ فى المكتبة العربية . والله ولى التوفيق ؟

الاسكندرية فى أول نوفمبر سنة ١٩٧٦ .

على محمود إسلام الفار

محتويات الكتاب

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

من المتفق عليه أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، كعلم منهجى ، لم تظهر إلا فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا(١) . ومن الرواد الأوائل الذين قاموا بتدريس الأنثروبولوجيا فى الجامعات نذكر سير إدوارد ب . تايلور Sir Edward B. Tylor فى بريطانيا(٢) وفرانز بواس Franz Boas فى الولايات المتحدة (٣) . وقد شاع استخدام اسم « الأنثروبولوجيا الإجتماعية Social Anthropology » فى انجلترا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ولم يلبث أن أعترف به بعد ذلك فى الجامعات البريطانية . ويعتبر سير جيمس فريزر Sir James Frazer هو أول شخص يحصل على لقب « أستاذ الأنثروبولوجيا الإجتماعية »

(١) R. L. Beals & H. Hoijer, *An Introduction to Anthropology*, (New York, fifth printing, 1956), p 604.

(٢) B. R Marett «Tylor», in *Encyclopaedia of the Social Sciences* (1948, volume: XV), p.p. 134 135.

(٣) A. Kardiner & E. Preble, *They Studied Man* (A Mentor Book, 1963), p. 120.

فقد منحته جامعة ليفربول درجة الأستاذية Professor of Social Anthropology الشرفية سنة ١٩٠٨ [٤].

إلا أنه يهمنا أن نشير إلى أن البحث فى شئون المجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان نفسه، وقبل ظهور الانثروبولوجيا الإجتماعية كعلم.

فالمؤرخ اليونانى العظيم «هيرودوتس Herodotus» (٤٨٠ — ٤٢٥ ق.م.) كان رحالة محبا للأسفار. وقد قدم لنا وصفا للحياة الإجتماعية فى مصر، كما قدم لنا أيضا وصفا لحياة بعض الشعوب «البربرية». وجدير بالذكر أن البعض من الباحثين يطلق على هيرودوتس لقب «أبو الانثروبولوجيا [٥]» Father of anthropology.

كذلك نجد فى كتابات الكثير من الرحالة travellers وصفا لعادات الشعوب فى بقاع مختلفة من العالم ومن الأمثلة على ذلك نذكر «ماركو بولو [٦] Marco Polo» (١٢٥٤ — ١٣٢٣)، وابن بطوطة [٧] (١٣٠٤ — ١٣٧٧).

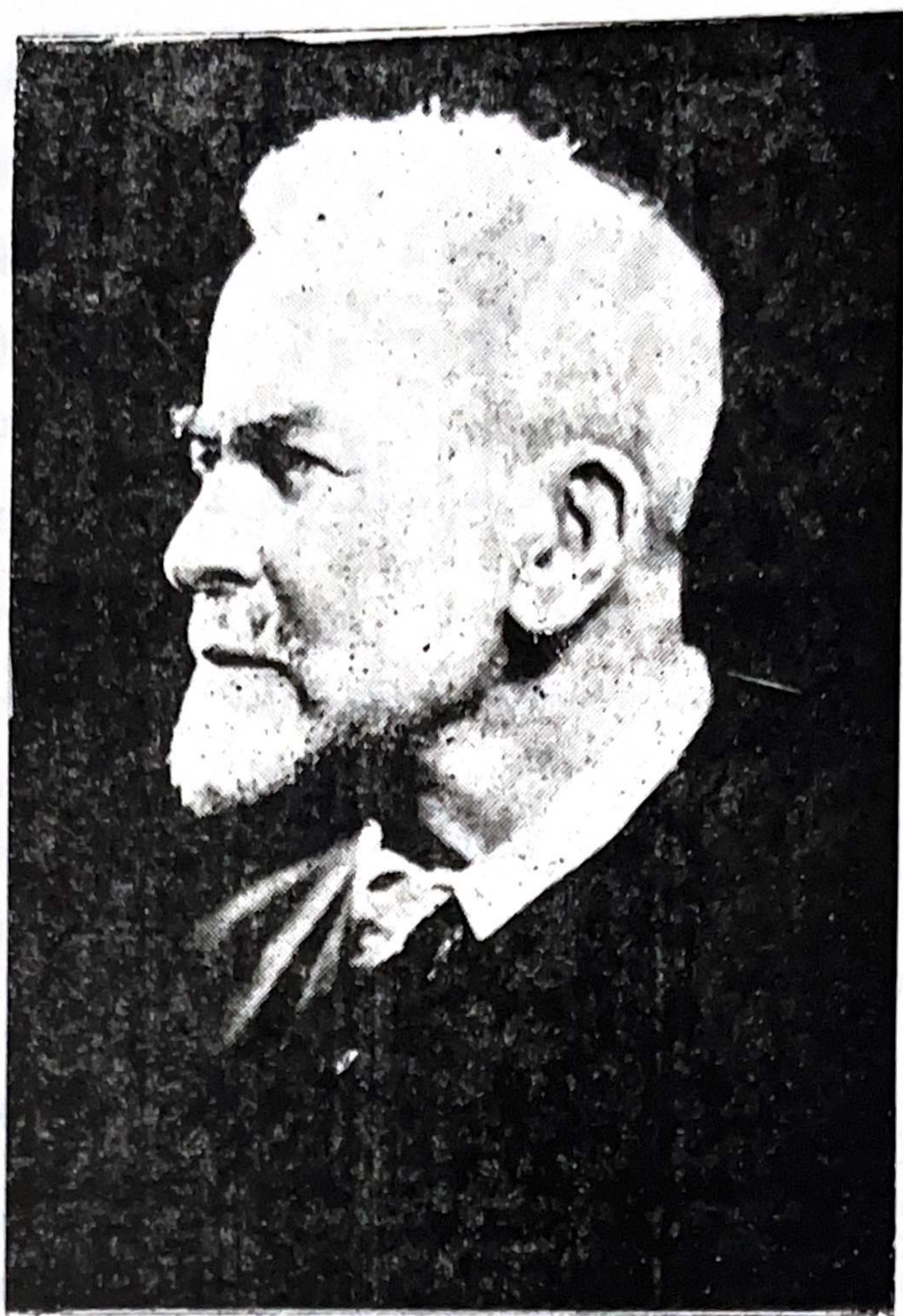
---

(٤) A. R. Radcliffe-Brown, *Method in Social Anthropology*. (Chicago, 1958), p. 133.

(٥) C. Kluckhohn, *Mirror for Man*, (Eleventh Fawcett Premier printing, 1967), p. 12.

(٦) Alfred C. Haddon, *History of Anthropology*, (London, 1934), p. 102.

(٧) ولد محمد ابن بطوطة فى مدينة طنجة سنة ١٣٠٤ وأقام بها حتى بلغ الثانية والعشرين من عمره. وقد قام ابن بطوطة بثلاث رحلات فى الفترة من سنة ١٣٢٥ حتى سنة ١٣٥٤. ومن البلاد التى زارها نذكر: مراكش، الجزائر، تونس، طرابلس، مصر، فلسطين، =



صورة رقم /١

سير جيمس فريزر

وفى خلال النصف الثانى من القرن الرابع عشر ، ظهر « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر » . وقد قدم عبد الرحمن ابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦) لهذا المؤلف ببحث عام فى شئون الاجتماع الانسانى ، وهو البحث الذى اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » . وترجـــع أهمية هذه المقدمة إلى أبن خلدون قد دعا فيها إلى إنشاء علم لدراسة الظواهر الاجتماعية اطلق عليه اسم « علم العمران البشرى » .

ولا شك أن المبشرين **Missionaries** كان لهم أيضا دورهم الهام بالنسبة لجمع المعلومات عن كثير فى المجتمعات .وفى أمثلة الدراسات التى قدمها لنا المبشرون نذكر دراسة جوزيف ف . لافيتو **Joseph F. Lafitau** (١٦٧٠ — ١٧٤٠) عن قبائل الهيرون والإيروكوا ودراسةف دىشارلفوا **FX de Charlevoix** (١٦٨٢ — ١٧٦١) عن الهنود الحمر فى كندا (٨) .

وفى القرن التاسع عشر دعا « أوجيست كونت **Auguste Conte** »

= لبنان ، سوريا ، الحجاز ، العراق ، بلاد العجم ، بلاد الأناضول ، اليمن، عمان، البحرين، الهند ، أفغانستان ، الصين ، بلاد الأندلس ، السودان . وقد سجل أبن بطوطة تذكراته من البلاد التى زارها فى كتابه « تحفة النظار ، فى غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار »

(٨) **Alfred C. Haddon,** ***History of Anthropology,*** **p. 102**

ومن الدراسات الهامة التى قدمهـا لنا المبشرون أيضا نذكر دراسة كودر نجتون « الميلانيزيون » (١٨٩١) ودراسة روسكو عن « الباجاندا » (١٩١١) . أنظر :

R. H Codrington, ***The Melanesians,*** **(New Haven, 1957); J. Roscoe,** ***The Baganda : their Customs and Beliefs,*** **1911.**

(١٧٩٨ — ١٨٥٧) إلى قيام علم يهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية . وقد أطلق عليه كونت اسم « علم الاجتماع Sociology » (٩) .

وفى القرن التاسع عشر ، أيضا ، ظهرت كتابات عديدة عن مناطق مختلفة فى العالم قدمها لنا الرحالة والمبشرون ورجال الإدارة والتجار .

ويلاحظ أن الكثير من هذه الدراسات يتسم بالسطحية ، بينما نجد أن البعض الآخر منها يتسم بالدقة والامانة . ومن أحسن الدراسات التى ظهرت فى القرن التاسع عشر نذكر دراسة إدوارد وليام لين Edward W . Lane «المصريون المحدثون *The Modern Egyptians*» (سنة ١٨٣٦) ودراسة كودرنجتون Codrington «الميلانيزيون *The Melanesians*» (سنة ١٨٩١). ويهمنا أن نشير إلى هاتين الدراستين بشىء من الإيجاز .

أولا — دراسة إدوارد وليام لين « المصريون المحدثون » :

عاش إدوارد وليام لين فى انجلترا فى القرن التاسع عشر (١٨٠١-١٨٧٦). وقد اشتغل فى مستهل حياته نقاشا بمدينة لندن ، إلا أنه لم يلبث أن هجر تلك المهنة بعد ذلك واتجه للدراسات الشرقية . وفى سنة ١٨٢٥ سافر لين إلى مصر لدراسة اللغة العربية بالقاهرة . إلا أنه مالبث أن أبدى اهتماما شديدا بعادات الأهالى . فاتجه لدراستها وتسجيل ملاحظاته عنها طوال إقامته بالبلاد . وفى سنة ١٨٣٦ نشر كتابه :

An Account of The Manners And Cutoms of The Modern Egyptians .

---

(٩) Marvin Harris, *The Rise of Anthropological Theory* (London, 1968), p p. 59—60.

ويهدف هذا الكتاب إلى تقديم صورة عن عادات المصريين فى بداية القرن التاسع عشر. ويشتمل الكتاب على مقدمة وثمانية وعشرين فصلا تبحث فى جوانب مختلفة فى حياة السكان مثل الدين والقوانين ، الحكومة ، الحياة العائلية ، اللغة ، الخرافات ، السحر ، الصناعة ، الحمامات ، الموسيقى ، الموت وشعائر الجنازات .

وبالنسبة لوسائل جمع البيانات ، فإن لين يذكر أنه قد قرأ كثيرا مما كتب عن منطقة البحث ، كما أنه بدأ فى تعلم اللغة العربية قبل حضوره إلى مصر . وفى خلال إقامته بالبلاد ، كان يرتدى الزى الوطنى ويتحدث لغة الاهالى أنفسهم. كما أنه كان يحرص على أن يراعى عاداتهم وتقاليدهم . فقد امتنع عن الطعام والشراب الذى يحرمه الدين الاسلامى مثل لحم الخنزير والخمور ، كما امتنع أيضا عن بعض العادات التى كان الاهالى يعتبرونها غير مقبولة مثل استخدام الشوكة والسكين عند تناول الطعام . وفى الحقيقة لقد كانت الملاحظة من أهم المصادر التى اعتمد عليها المؤلف فى جمع البيانات ، فكان يختلط بالاهالى ويلاحظ عاداتهم. كما أنه قد اعتمد كذلك على المخبرين من الاهالى . فكان يدعو الكثير منهم إلى مسكنه للتحدث معهم فى المسائل التى شاهدها بنفسه ويرغب فى الاستفسار عنها ، أو للتحدث معهم عن بعض النواحى التى يتعذر عليه هو شخصيا أن يقوم بملاحظتها .

والكتاب يحتوى على مجموعة كبيرة من الصور رسمها لين بنفسه ، وقد بلغ عددها ١٣١ صورة . انظر :

E.W. Lane ' *The Modern Egyptians* (London, 1944)

ثانيا - دراسة كودر نجتون « الميلانيزيون »

كان ر. هـ. كودر نجتون R. H. Codrington أحد أعضاء البعثه التبشيرية في ميلانيزيا . وهو يذكر لنا فى مقدمة كتابه أنه قد جمع ملاحظاته عن عادات الأهالى فى الفترة من سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٧ . وبالنسبة لوسائل جمع البيانات فقد أقام بمنطقة البحث وأعتمد على الملاحظة وأقوال المخبرين من الاهالى :

« It has been my endeavour in the following pages to bring together the results of such observations as many years' acquaintance with Melanesian people has enabled me to make ». [R. H. Codrington, *The Melanesians*, Preface to the First Edition, p. V.]

وقد ظهرت الطبعة الاولى من الكتاب سنة ١٨٩١ . ويحتوى الكتاب على دراسة لجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية . ومن الموضوعات التى تناولها كودر نجتون بالدراسة نذكر : القرابة ، الزعماء ، الملكية والميراث ، الجمعيات السرية ، الدين ، الاماكن المقدسة ، القرابين ،الصلوات ، السحر ، المولدوالطفولة والزواج ، الموت والدفن وما بعد الموت ، الرقص ، الموسيقى ، الالعاب .أنظر:

R. H. Codrington., *The Melanesians*, (HRAF Press, New Haven, 1957) .

ولم تظهر الدراسات المنهجية للنظم الاجتماعية إلاخلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٠) . فقد ظهر كتاب سير هنرى مين Sir Henry S Maine

(١٠) E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays*, (The Free Press, New York, 1966), p. 27.

(١٨٢٢ — ١٨٨٨) « القانون القديم *Ancient Law* » سنة ١٨٦١ وكتاب باخوفن Bachofen (١٨١٥—١٨٨٧) « حق الأم *Das Mutterrect* » سنة ١٨٨٦ وكتاب فوستيل دى كولانج Fustel De Coulanges (١٨٣٠—١٨٨٩) « المدينة العتيقة *La Cité Antique* » سنة ١٨٦٤ ، وكتاب أ. ب. تايلور (١٨٣٢ — ١٩١٧) « أبحاث فى التاريخ القديم للجنس البشرى *Researches into the Early History of Mankind* » سنة ١٨٦٥ وكتابه الآخر « الثقافة البدائية *Primitive Culture* » سنة ١٨٧١ وكتاب ل. هـ. مورجان Lewis Henry Morgan (١٨١٨ — ١٨٨١) « نسق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الإنسانية *Systsms of Consanguinity and Affinity of the humon Family* » سنة ١٨٧١ وكتابه الآخر « المجتمع القديم *Ancient Society* » سنة ١٨٧٧ . ثم كتاب سير ج. فريزر Sir James Frazer (١٨٥٤ - ١٩٤١) « الغصن الذهبى *The Golden Bough* » سنة ١٨٩٠

هذا ويهمنا أن نشيرهنا إلى أن العلماء فى القرن التاسع عشر قد ركزوا جهودهم على دراسة أصل النظم الإجتماعية . وتعتبر كتابات مورجان وتايلور ومين وباخوفن وما كلنان أمثلة تبين لنا مدى سيطرة النظرية التطورية على الدراسات الأنثروبولوجية فى ذلك الحين (١١) .

(١١) جدير بالذكر أن العلماء التطوريين evolutionists فى القرن التاسع عشر كانوا يبدون اهتماما كبيرا بدراسة الاختراعات inventions ، كما أنهم كانوا يميلون أيضا إلى التقليل من أهمية الانتشار diffusion كعامل فى بناء الثقافات Cultures .

(Beals & Hoijer, *An Introduction to Anthropology* p. 614. —

= وعلى العكس من ذلك نجد فريقاً آخر من العلماء يبدون إهتماما كبيراً بدراسة الانتشار =

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية فى القرن التاسع عشر لم يقوموا هم أنفسهم بملاحظة الوقائع التى يبنون عليها نظرياتهم ، وإنما كانوا يعتمدون على كتابات المبشرين والرحالة والتجار وحكام المستعمرات لتزويدهم بالمعلومات اللازمة . وقد قامت ، الجمعية البريطانية لتقدم العلوم « The British Association For The Advancement Of Science

---

= التقال ويعتبر ريفرز W. H. R. Rivers واليوت سميث G. Elliot Smith وبرى W.J. Perry من أشهر ممثلى المدرسة الانتشارية فى بريطانيا British diffusionists ويرى سميث وبرى أن الحضارة الحقة إنما وجدت فقط فى مصر القديمة ، وأن هذه الحضارة المصرية القديمة قد إنتشرت إلى الأجزاء المختلفة من العالم :

« ... in rapid succession they [the inhabitants of the Nile Valley] invented pottery, basketry, matting, houses, and flax; learned to domesticate animals; built towns; and began to bury their dead in cemetries and to develop notions of deity. As the Egyptians progressed in civilization, they set about journeying by land, and sea over great distances in search of precious metals and other raw materials, And in so doing, they rapidly spread, through diffusion and colonization, varieties of the original archaic civilization, which had been founded on the banks of the Nile ».

(M. Harris, *The Rise of Anthropological Theory*, p. p. 380—381).

كما يرى سميث وأتباعه أيضاً أن الاستعارة borrowing تكاد تكون هى الوسيلة الوحيدة التى تؤدى إلى حدوث التغير الثقافى . وجدير بالذكر أن اليوت سميث (١٨٧١ — ١٩٣٢) قد حضر إلى مصر واشتغل بجامعة القاهرة أستاذاً لعلم التشريح فترة من الزمن. =

بنشر كتاب « Notes And Queries On Anthropology » سنة ١٨٧٤ . ولقد كان الغرض من صدور ذلك الكتاب هو مساعدة الأفراد كالرحالة والمبشرين للقيام بملاحظة المجتمعات البدائية بطريقة سليمة ، وجمع المعلومات التى تلزم للدراسات الأنثروبولوجية التى يقوم بها العلماء فى بريطانيا (١٢) .

ولقد كان نتيجة لعدم اهتمام علماء القرن التاسع عشر بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم ، أننا نجد أن الدراسات الحقلية التى قام بها هؤلاء العلماء كانت قليلة. فهناك دراسة مورجان عن الإيروكوا (سنة ١٨٥١) ودراسة بواس عن الاسكيمو (٨٣—١٨٨٤) ودراسة بعثة جامعة كمبردج إلى مضايق توريس The Cambridge Expedition To Torres Straits (١٨٩٨ — ١٨٩٩) . وكانت هذه البعثة برئاسة هادون Haddon وعضوية ريفرز W. H. R. Rivers ، ماكدوجال W. Mc Dougall ، سلجمان C. G. Seligman ، ميرز C. S. Myers سيدنى راى Sidney Ray ، أ. ويلكنز A. Wilkins . وقد قضت البعثة فى منطقة البحث عاما واحدا (١٨٩٨ — ١٨٩٩). ومن النقد الذى يوجه إلى تلك البعثة نذكر قصر المدة التى قضاها أفراد البعثة فى منطقة البحث ، وكذلك جهلهم بلغة الأهالى . ولا شك

= وفى خلال إقامته فى مصر ، قام بدراسة عدد من المومياءات ، كما أنه قام كذلك بدراسة المغزى المقصود من عملية التحنيط. كذلك أهتم سميث أيضاً بدراسة العادات الخاصة بالجنازات فى مصر القديمة ، أنظر :

A. Haddon, *History of Anthropology*. p. 121.

(١٢) F.C. Bartlett and associates Ed.) *The Study of Society*, (London, 1944), p. 275.

أن ذلك كان له أثره بالنسبة لتعمقهم فى فهم الحياة الاجتماعية هناك . ورغما من ذلك ، فإن هذه البعثة ، وكما يقـــول إيفانز بريتشارد ، تعتبر نقطة تحول فى تاريخ الانثربولوجيا الاجتماعية فى بريطانيا. فلقد ترتب عليها أن الانثربولوجيا كعلم — قد أصبحت تحتاج إلى التخصص والتفـرغ الكامل . وعلاوة على ما تقدم، فقد أصبحت الخبرة الميدانية تعتبر جزءا ضروريا بالنسبة لتكوين طلاب هذا العلم ،يقول إيفانز بريتشارد:

« This expedition marked a turning-point in the history of social anthropology in Great Britain. From this time two important and interconnected developments began to take place: anthropology became more and more a whole-time professional study, and some field experience Came to be regarded as an essential part of the training of its students. This early professional fieldwork had many weaknesses. However well the men who carried it out might have been trained in systematic research in one or other of the natural sciences, the short time they spent among the peoples they studied, their ignorance of their languages, and the casualness and superficiality of their contacts with the natives did not permit deep investigation. It is indeed a measure of the advance of anthropology that these early studies appear today to be quite inadequate ».

(E.E. Evans—Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays* p. 73).

وامتد بداية القـرن العشرين ، نجد أن كثيرا من العلماء قد نزلوا إلى الميدان ، وقاموا بدراسات عديدة عن المجتمعات البدائية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر

دراسة ريفرز W. H. R Rivers عن التودا(١٣) (سنة ١٩٠٦) ودراسة سلجمان Seligman عن قبائل جنوب السودان (سنة ١٩٣٢)، ودراسة راد كليف بروان Radcliffe – Brown عن جزر الأندمان (سنة ١٩٢٢)، ودراسة مالينوسكى(١٤) Malinowski عن جزر التروبرياند (سنة ١٩٢٢) ودراسة إيفانز بريتشارد Evans–Pritchard عن الأزاندى (سنة ١٩٣٧). والنوير (١٥) (سنة ١٩٤٠) فى جنوب السودان ، ودراسة ريموند فيرث Raymond Firth عن جزيرة تيكوبيا (سنة ١٩٣٦) ، ودراسة وورنر Warner عن المورنجن فى استراليا (سنة ١٩٣٧) ودراسة بريستيانى Peristiany عن الكبسجيس Kipsigis فى كينيا(١٦) (سنة ١٩٣٩).

وفى خلال القرن العشرين أيضا قام بعض العلماء بدراسة المجتمعات القروية والحضرية ومن الأمثلة على ذلك دراسة كونراد أرنسبرج Conrad Arensberg

(١٣) يعيش التوديون فى قرى صغيرة على تلال نلجيرى Nilgiri hills فى جنوب الهند . وقد أجـرى ريفرز (١٨٦٤ — ١٩٢٢) بحثه هناك خلال عامى ١٩٠١ و ١٩٠٢ . وبالنسبة للتقرير الخاص بذلك البحث فقد نشر فى عام ١٩٠٦ . ومن الموضوعات التى تناولها ريفرز بالدراسـة تذكر وأد البنات female infanticide ونظام تعـدد الأزواج Polyandry وطريقة نسب الأطفال عند الأهالى . وجدير بالذكر ان ريفرز كان يجهل لغة الاهالى ، ومن ثم فقد اعتمد على المترجمين خلال إقامته بمنطقة البحث .

(١٤) اول كـتاب نشره مالينوسكى عن جزر التروبرياند هو :

Argonauts of the Western Pacific (1922)

(١٥) اول كـتاب نشره إيفانز بريتشارد عن النوير هو :

The Nuer: A Description of The Modes of Livelihood and Political Institutions of A Nilotic People (Oxford. 1940).

(١٦). J. G. Peristiany, *The Social Institutions of the Kipsigis*, (London. 1939).

عن الفلاحين فى ايرلنده [١٧] (سنة ١٩٣٧) ودراسة أوسكار لويس Oscar Lewis لقرية تيبوزتلان Tepoztlan [١٨] فى المكسيك (سنة ١٩٦٠) ودراسة روبرت لند Robert Lynd وهيلين لند Helen Lynd « ميدلتاون [١٩] Middletown فى الولايات المتحدة (سنة ١٩٢٩) ودراسة و. ل. وورنر W. L. Warner وزملاؤه عن « يانكى سيتى [٢٠] Yankee City (سنة ١٩٤١) ، وكذلك دراسته هو وزملاؤه عن « جونزفيل [٢١] Jonesville » (سنة ١٩٤٩) فى الولايات المتحدة.

(١٧) Conrad M. Arensberg, *The Irish Countryman. An Anthropological Study*, (Gloucester, Mass., Peter Smith, 1939).

(١٨) Oscar Lewis, *Tepoztlan, Village in Mexico.* (New York, 1960).

(١٩) Robert S: Lynd, H. M. Lynd, *Middletown: A Study in American Culture*, (Harcourt, Brace and Company, New York, 1929).

(٢٠) اول كتاب ظهر فى سلسلة « يانكى سيتى Yankee City Series » هو كتاب : W. Lloyd Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, (New Haven, Yale University Press).

وقد ظهرت الطبعة من هذا الكتاب سنة ١٩٤١ .

(٢١) W. L. Warner and associates, *Democracy In Jonesville*, (Harper & Brothers. New York, 1949).

الفصل الثانى

لويس هنرى مورجان

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

لويس هنرى مورجان Lewis Henry Morgan (١٨١٨ — ١٨٨١) هو أحد الرواد الأوائل من علماء الأنثروبولوجيا الإجتماعية الذين عاشوا فى القرن التاسع عشر . وقد أشتغل فى بداية حياته بمهنة المحاماة [١]، تماماً مثل مين Maine (١٨٢٢-١٨٨٨) وما كلنان Mc Lenan (١٨٢٧-١٨٨١) وباخوفن Bachofer (١٨١٥-١٨٨٧) ، ثم اعتزل تلك المهنة بعد ذلك وتفرغ للبحث العلمى .

ولو أن مورجان لم يدرس قط فى جامعة من الجامعات ، ولم يحتل فى يوم من الايام منصباً علمياً إلا أن دراساته كان لها أثرها الكبير لفترة من الزمن فى الدوائر العلمية [٢] .

(١) E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthoropology* (London, 1951), p. 29.

(٢) L. White, « Lewis Morgan : Pioneer in the Theory of Social Evolution » in H . Barnes (ed) : *An Introduction to the History of Sociology* (Chicago, 1948) , p. 139.

فقد قام بدراسة الإيروكوا (٣) Irqouois ونشرت نتائج ذلك البحث سنة ١٨٥١. ويرى روبرت لوى أن هذه الدراسة تعتبر من أحسن الدراسات الوصفية التى كتبت عن الهنود الحمر (٤).

ويعتبر كتاب « نسق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الإنسانية ***Systems of Consanguinity and Affinity in the Hnman Family*** (سنة ١٧٧١) من الكتب التى أكسبت مورجان شهرة كبيرة أيضاً. فقد قام بدراسة ١٣٩ نسقاً للقرابة فى أجزاء مختلفة من العالم. وقد جمع بياناته عن هذا الموضوع بنفسه بالنسبة لقبائل الهنود الحمر التى درسها وكذلك بالاعتماد على قوائم الأسئلة a schedule of questions بالنسبة للمجتمعات الأخرى التى لم يتمكن من دراستها بنفسه. فقد أعد مورجان قائمة أسئلة وأرفق بها خطابا لإيضاح الغرض من البحث ثم أرسلها إلى جميع مراكز المبشرين والعسكرين فى أنحاء الولايات المتحدة للرد على الأسئلة الموجودة بها. كما أنه قد تمكن كذلك من إقناع المسئولين بالحكومة الأمريكية للحصول على معاونتهم فى هذه الناحية. وبالفعل فقد تم فى سنة ١٨٦٠ إرسال قوائم أسئلة إلى جميع رجال السلك الدبلوماسى للولايات المتحدة فى الخارج للاجابة على الأسئلة الواردة بها (٥).

---

(٣) كان الايروكوا يعيشون بالقرب من نيويورك حيث كان يعيش مورجان. وكانت صلته بهم قوية لدرجة انهم تبنوه عضوا بالقبيلة.

(٤) Robert Lowie, *The History of Ethnological Theory* p. 55.

(٥) T. K, Penniman, *A Hundred Years of Anthropology* (1952), p. 163.

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن نظرية مورجان عن التطور الثقافى التى أوضحها لنا فى كتابه « المجتمع القديم ***Ancient Society*** » (سنة ١٨٧٧) قد أكسبته شهرة كبيرة أيضاً. وسوف نتناول هذه النظرية بشىء من الإيجاز.

نظرية التطور الثقافى (٦):

يرى مورجان أن العوامل التكنولوجية technological factors لها أهميتها الكبرى فى حياة المجتمعات وما يلحق بها من تغيرات (٧) فالإنسان كان فى بداية حياته مجرد حيوان، يعيش تماماً كما تعيش سائر الحيوانات. ولكنه نظراً لما حبته به الطبيعة من القدرة على الكلام وتبادل الافكار مع غيره من بنى

---

(٦) فى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر أخذ العلماء يتجهون هيئا فهيئا لدراسة الثقافة Culture. ومن الملاحظ أنهم لم يقصروا دراستهم على الثقافات المتقدمة advanced Cultures فى أوربا وأمريكا وآسيا، ولكنهم قد قاموا أيضاً بدراسة ثقافات الشعوب البدائية. ولا شك أن ذلك يرجع إلى أزدياد معرفة العلماء بتاريخ أوربا فى العصور القديمة نتيجة لتقدم الأبحاث التى قام بها علماء الآثار فى ذلك الحين. كما أن ذلك يرجع أيضا إلى تدفق المعلومات التى جمعها الرحالة والمبشرون والجنود عن عادات ومعتقدات الشعوب البدائية. ولقد أدى تدفق هذه المعلومات عن ثقافات الشعوب المتحضرة والشعوب البدائية إلى إثارة القضية التالية: ما هى علاقة ثقافات الشعوب البدائية بثقافات الشعوب المتحضرة فى أوربا وأمريكا؟ ومن ثم فاننا نجد أن كثيرا من علماء الأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر قد أتجهوا لدراسة التطور الثقافى Cultural evolution. ومن هؤلاء العلماء نذكر تايلور فى كتابه « الثقافة البدائية ***Primitive Culture*** » (سنة ١٨٦٥) ومورجان فى كتابه « المجتمع القديم ***Ancient Society*** » (سنة ١٨٧٧). أنظر:

R. Beals & H. Hoijer, *An Introduction To Anthropology*, pp. 604-605.

(٧) N. Timasheff, *Sociological Theory* [New York, 1965] p. 49.

جنسه وتناقلها من جيل إلى آخر ، فقد تمكن من أن يرتفع بنفسه عن مستوى الحيوان وأن يتقدم على مر الزمن من مرحلة التوحش إلى مرحلة الحضارة . ولقد كانت الادوات tools والاسلحة weapons المختلفة التى اخترعها الإنسان على مر الزمن هى الوسائل الرئيسية التى ساعدته على زيادة سيطرته على الطبيعة والارتقاء بنفسه . وبعبارة أخرى يرى مورجان أن التقدم التكنولوجى يؤدى إلى حدوث تغيرات جوهرية فى النظم الاجتماعية السائدة مثل العائلة ونظام الملكية والحكومة .

ولقد قسم مورجان تاريخ الثقافة **Culture history** إلى ثلاث مراحل رئيسية هى **stages** :

١ ــ مرحلة التوحش **Savagery** .

٢ ــ مرحلة البربرية **Barbarism** .

٣ ــ مرحلة الحضارة **Civilization** .

ثم قسم كل مرحلة من المرحلتين الاولى والثانية (التوحش والبربرية) إلى ثلاث مراحل أخرى : دنيا ، وسطى ، وعليا .

ويقرر مورجان أن كل مرحلة من المراحل المذكورة قد بدأت باختراع تكنولوجى عظيم **a major technological invention** . فهو مثلا يذكر أن مرحلة التوحش الوسطى قد بدأت بمعرفة استخدام النار **fire** وصيد الاسماك ، أما مرحلة التوحش العليا فقد بدأت باختراع القوس والسهم **bow and arrow** إلخ.

والجدول التالى (صفحة ١٩) يوضح المراحـــل الخاصة بتطور الثقافة

رقم المرحلة	المراحـــل	ظروف كل مرحلة
١	مرحلة التوحش الدنيا	وتبدأ من طفولة الجنس البشرى حتى بداية المرحلة التالية . والإنسان فى تلك المرحلة لم يكن يختلف كثيرا عن الحيوان .
٢	مرحلة التوحش الوسطى	وتبدأ بمعرفة الإنسان استخدام النار والقدرة على صيد الاسماك .
٣	مرحلة التوحش العليا	وتبدأ باختراع القوس والسهم .
٤	مرحلة البربرية الدنيا	وتبدأ باختراع الاوانى الفخارية .
٥	مرحلة البربرية الوسطى	وتبدأ هذه الفترة باستئناس الحيوانات وزراعة الذرة والنباتات بالاعتماد على الرى ؛ كما أقيمت المساكن من الطوب النى والحجارة .
٦	مرحلة البربرية العليا	وتبدأ هذه المرحلة باكتشاف طريقة صهر الحديد واستخدام الادوات المصنوعة من الحديد .
٧	مرحلة الحضارة	وقد بدأت هذه المرحلة باختراع حروف الهجاء والكتابة ، وهى تمتد حتى وقتنا الحاضر .

والأحوال السائدة فى كل مرحلة كما أوضحها لنا مورجان(٨) .

ويذكر لنا مورجان أننا نجد شواهد على كل مرحلة من المراحل المذكورة فى مجتمعاتنا المعاصرة وكذلك فى المجتمعات التى عاشت فى الماضى . فهو ، مثلا يذكر أن ثقافة الإيروكوا تشبه نمط الثقافة الذى كان سائدا فى مرحلة البربرية الدنيا(٩) .

يتضح لنا مما تقدم أن مورجان كان يهدف إلى إعادة تركيب المراحل التى يتصور أن المجتمعات قدمرت بها فى تطورها دون أن يكون لديه معلومات صحيحة يستند إليها فى دراسته . ومن ثم فإننا نجد أن كثيرا من النظريات التى توصل إليها كانت خاطئة . ومن الأمثلة على ذلك نظريته عن تطور الاسرة the evolution of the family . فهو يرى أن نظام الاسرة المونوجامى والموجود فى مجتمعنا المعاصر ، قد سبقه حتما تطور فى نظام الاسرة على عدة مراحل . فالمجتمع البشرى كان فى البداية عبارة عن زمر اجتماعية بسيطة تسودها الإباحية الجنسية(١٠) promiscuity . ثم تطور هذا النظام إلى نظام الزواج الجماعى group marriage ثم تطور النظام فظهر نظام الانتساب للأم ثم الانتساب للأب . وأخيراً ظهر نظام المونوجامى .

ولقد انبرى العلماء لدحض هذه النظرية ، وإثبات خطئها . ويرى رالف بيلز

(٨) M. J. Herskovits, *Man And His Works*, (New York, 1956), p. 468.

(٩) Ralph Beals, op. cit., p. 606

(١٠) يجمل أن نشير هنا إلى أن العالم السويسرى باخوفن كان أيضا من الذين ذهبوا إلى أن الشيوعية الجنسية كانت هى النظام السائد فى فجر الإنسانية . وقد ذكر باخوفن ذلك فى كتابه « حق الأم » الذى ظهر سنة ١٨٦١ .

أنه لا يوجد لدى مورجان أى دليل لإثبات هذا التتابع بالنسبة لتطور الاسرة . كما أنه يلاحظ أيضاً أن نظام الاسرة المونوجامى يوجد فى المجتمعات المتحضرة كما أنه يوجد أيضاً فى كثير من المجتمعات البدائية(١١) .

أما كارل ماركس وفردريك انجلز فإنهما قد أبديا اهتماما كبيرا بكتاب « المجتمع القديم » ، واعتبراه عملا عظيما . وفى الذكرى الخمسين لوفاة مورجان أقام علماء الانثروبولوجيا فى الاتحاد السوفيتى حفلا كبيرا ، كما قامت أكاديمية العلوم هناك بنشر ترجمة لكتاب « المجتمع القديم »(١٢) .

(١١) Ralph Beals, op. Cit, p. p. 606 - 607.

(١٢) Robert Lowie, op. cit, p. p. 54-55.



صورة رقم/٢

إ. ب. تايلور

الفصل الثالث

إدوارد ب. تايلور

ولد تايلور ، أبو الانثروبولوجيا فى بريطانيا The father of British ، Anthropology فى عام ١٨٣٢ . وقد التحق بمدرسة تابعة لإحدى الجمعيات وتلقى بها تعليما عاما . ولما بلغ السادسة عشر من عمره ترك المدرسة والتحق بمصنع النحاس الذى يملكه أبوه جوزيف تايلور(١) . وظل تايلور يشتغل بالمصنع مدة سبعة أعوام حتى أصيب بمرض شديد فى سنة ١٨٥٥ ، فنصحه الاطباء بترك العمل والسفر للراحة والاستشفاء(٢) .

وبالفعل سافر إلى الولايات المتحدة ، وتنقل بين أرجائها مدة عام تقريبا ، ثم سافر بعد ذلك إلى كوبا سنة ١٨٥٦ . وفى هافانا تعرف بطريق الصدفة على هنرى كريستى Henry Christy الذى اشتهر فى ذلك الحين بدراساته فى الآثار والانثولوجيا . وسرعان ما نشأت بينهما صداقة قوية ودعاه كريستى لمرافقته فى رحلته لدراسة الآثار فى بلاد المكسيك . وقد قبل تايلور

---

(١) A. Kardiner & E. Preble *They Studied Man* (A Mentor Book, 1963), p. 50.

(٢) Ibid, p. 51.

الدعوة وسافر الاثنان معاً إلى هناك . ولو أن هذه الرحلة لم تستغرق إلا ستة شهور فقط ، إلا أنها كانت عاملا حاسما فى تغيير مجرى حياة تايلور وتحوله نهائياً ليكرس حياته لدراسة الانثروبولوجيا(٣) .

وفى سنة ١٨٥٨ تزوج تايلور أنا فوكس **Anna Fox** وعاش الاثنان معاً حياة هادئة سعيدة لمدة تسعة وخمسين سنة حتى توفى تايلور عام ١٩١٧ . ويقال أن ليدى تايلور كانت تحرص على حضور الكثير من المحاضرات التى يلقيها زوجها . ومن طريف ما يروى فى هذا الشأن أن تايلور أثناء إلقائه إحدى محاضراته ، نسى أنه يقف أمام جمهور كبير من المستمعين ، فاتجه إلى زوجته وهو شارد العقل ثم قال لها « وهكذا يا عزيزتى أنا Anna نحن نلاحظ ... »

وفى سنة ١٨٦١ نشر تايلور كتاب « أنهواك *Anahuac, or Mexico and the Mexicans* » الذى يحتوى على قصة رحلته إلى بلاد المكسيك مع هنرى كريستى .

وفى سنة ١٨٦٥ ظهر كتابه الثانى « أبحاث فى التاريخ القديم للجنس البشرى وتطور الحضارة . *Researches into the early History of Mankind And the Development of Civilization* . وفى هذا الكتاب يقدم لنا تايلور تاريخا للحضارة اعتمد فيه أساسا على دراسة اللغة والأساطير والعادات والمعتقدات .

---

(٣) Ibid, p. 52.

(٤) *Anthropological Essays Presented to Edward Burnett Tylor In Honour of His 75 th Birthday Oct. 2 1907* (Oxford,) p. 373.

ثم ظهر بعد ذلك فى عام ١٨٧١ كتاب « الثقافة البدائية : أبحاث فى تطور الميثولوجيا والفلسفة والدين واللغة والفن والعادات : ***Primitive Culture* : *Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Language, Art, and Custom.***

كما نشر تايلور بعد ذلك فى سنة ١٨٨١ كتابه « الأنثروبولوجيا مقدمة لدراسة الإنسان والحضارة ***Anthropology : An Introduction to the Study of Man and Civilization.*** »

وفى سنة ١٨٨٤ عين تايلور بجامعة أكسفورد ليحاضر فى الأنثروبولوجيا ، وكما يذكر لنا إيفانز بريتشارد ، فإن هذه الوظيفة تعتبر الأولى من نوعها فى الجزر البريطانية(٥). وفى سنة ١٨٩٦ منح تايلور لقب أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد ، وظل يحاضر هناك حتى بلغ سن التقاعد سنة ١٩٠٨ .

ونحن عند دراستنا لكتابات تايلور يجب أن لا ننسى صلته بهنرى كريستى وما كان لها من أثر كبير فى توجيهه اتجاها تاريخيا للبحث عن الأصول الاولى. وهذا واضح فى « أنهواك » ، و « أبحاث فى التاريخ القديم للجنس البشرى » و « الثقافة البدائية » .

كما يهمنا أن تشير كذلك إلى أن دراساته تتسم بالشمول ، وهو فى هذه الناحية يختلف عن الكثير من العلماء الذين كانوا يعيشون فى عصره . فمثلا نجد أن فريزر **Frazer** وماريت **Marett** ولانج **Lang** قد أبدوا اهتماما خاصا

---

(٥) **E. E. Evans-Pritchard,** ***Social Anthropology ; An Inaugural Lecture delivered before the University of Oxford*** **(Oxford, 1948), p. 4.**

بدراسة الدين والفولكلور . وأهتم ريفرز **Rivers** بدراسة التنظيم الاجتماعى ، كما أن هادون **Haddon** قد أهتم بدراسة التكنولوجيا والفن . أما تايلور فقد وجه اهتمامه لدراسة موضوعات كثيرة مثل آثار ماقبل التاريخ واللغات (٦) .

ومن ناحية الأبحاث الحقلية ، فإننا نرى أن تايلور لم يكن باحثا حقليا **field worker** . ومن ثم فقد أعتمد فى دراساته على تقارير الرحالة والمبشرين والمغامرين والمستعمرين والبحارة . وهذه التقارير كانت فى الأغلب متحيزة **biased** ولا يمكن الوثوق بها . ولم يكن تايلور غافلا عن هذه المشكلة ، ومن ثم فقد كان يرجع إلى أكثر من مصدر للمقارنة والتحقق من مدى صحة الواقعة موضوع الدراسة (٧) .

---

(٦) **R. Lowie,** ***The History of Ethnological Theory,*** **p. 69**

(٧) **Ibid, p. 70.**

الفصل الرابع

قبائل الإسكيمو

فرانز بواس

حياته ومؤلفاته :

ولد فرانز بواس Franz Boas سنة ١٨٥٨ من أسرة يهودية كانت تعيش فى مدينة مندن Minden فى ألمانيا(١). وقد درس الطبيعة والرياضية والجغرافيا، ثم حصل على درجة الدكتوراه فى الطبيعة سنة ١٨٨١ (٢).

وكما يرى روبرت لوى، فإن رحلته إلى بافنلاند Baffinland سنة ١٨٨٣-١٨٨٤ كانت عاملا حاسما فى تغيير مجرى حياته وتحوله من دراسة الطبيعة إلى دراسة الأنثروبولوجيا (٣).

وفى سنة ١٨٨٧ سافر بواس إلى الولايات المتحدة وتجنس بالجنسية الأمريكية. وقد قام بالتدريس فى جامعة كلارك، ثم أصبح أستاذا للانثروبولوجيا بجامعة كولومبيا سنة ١٨٩٩، وظل يعمل هناك حتى أعتزل التدريس سنة ١٩٣٦.

(١) A. Kardiner, & Preble E., *They Studied Man* (A Mentor Book, 1963), p. 117.

(٢) Idid, p. 119.

(٣) R. H. Lowie, *The History of Ethnological Theory*, (London, 1938), p. 129.

ولا شك أن فرانز بواس كان له تأثيره القوى على الانثروبولوجيا فى الولايات المتحدة. ومن تلاميذه نذكر ا. كروبر A Kroeber وروبرت لوى Robert Lowie وب. رادين Paul Radin وهرسكوفيتس M. Herskovits.
وعلاوة على ما تقدم فقد كان رئيسا للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم.

The American Association For the Advancement of Science

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن جامعة أكسفورد قد منحته درجة الدكتوراه الفخرية.

ولقد كان بواس من أشد خصوم هتلر والحركة النازية فى ألمانيا(٤). ورغما من كبر سنه فى ذلك الحين، فقد شن هجوما عنيفا على هتلر ونقده نقدا مريرا. ولقد كان نتيجة لذلك أن السلطات الألمانية قد جمعت كل كتبه وأحرقتها سنة ١٩٣٣ فى مدينة كيل Kiel، أى فى نفس البلدة التى سبق ومنحته الدكتوراه من قبل سنة ١٨٨١.

ومن مؤلفاته نذكر:

The Mind of Primitive Man 1911; *Primitive Art*, 1927; *Anthropology and Modern Life*, 1928; *General Anthropology*, 1938; *Race, Language, and Culture*, 1940.

(٤) Kardiner & Preble, op. cit, p. 123.



صورة رقم/٣
فرانز بواس (١٨٥٨ — ١٩٤٢)

اولا — لمحة عن قبائل الاسكيمو

تعيش قبائل الاسكيمو The Eskimo فى المنطقة الشمالية فى أمريكا(٥). والطبيعة هناك قاسية جدا ؛ فالأرض مغطاة بالثلوج فى أغلب شهور السنة، كما تتجمد مياه الانهار والبحيرات والبحار . وفصل الشتاء مظلم شديد البرودة وتهب خلاله العواصف الشديدة . أما فصل الصيف فهو قصير دافىء وتذوب فيه الثلوج .

ومن الحيوانات التى تعيش هناك نذكر الفقمة Seal وفيل البحر walrus والحوت whale والرنة reindeer والثور الامريكى musk ox والدب القطبى polar bear والثعلب والذئب. كما يكثر هناك السلمون the salmon والطيور فى فصل الربيع والصيف .

ويعتمد الاسكيمو فى معيشتهم كلية على هذه الحيوانات والطيور والأسماك(٦) وتعتبر الفقمة ذات أهمية خاصة بالنسبة لهم . ففى فصل الشتاء يستخدم الأهالى دهنها blubber لإضاءة المصابيح وكوقود fuel لطهى الطعام (٧) كما أن لحمها هو طعامهم خلال ذلك الفصل الطويل أيضا . وعلاوة على ما تقدم فهم يصنعون من جلودها خيامهم وملابسهم فى فصل الصيف . كما تعتبر الرنة من الحيوانات الهامة عندهم كذلك . فهم يأكلون لحومها ويصنعون من جلودها ملابسهم الخاصة بفصل الشتا . ويذكر بواس أن الأهالى يأكلون السلمون نيئا فى بعض الأحيان، كما

---

(٥) F. Boas, *The Central Eskimo* (*A Bison Book*, 1964). p. 6.

(٦) Ibid, p. II

(٧) Ibid, p. 137

أنهم يأكلون الطيور دون طبخها أيضاً (٨) .

ولا شك أن أعتماد الأهالى كلية فى معيشتهم على الحيوانات والطيور والأسماك قد جعل تحركاتهم من منطقة إلى أخرى خلال الفصول المختلفة من السنة مرتبطة بهجرات تلك الحيوانات والاسماك والطيور (٩) . فمثلا عندما يجيء فصل الصيف وتذوب الثلوج ، يتجه الأهالى إلى داخل البلاد ويقومون برحلات لصيد الرنة والحصول على جلودها الثمينة . وعندما يعود فصل الشتاء ، وتتجمد مياه البحار والانهار ، وتغطى الأرض بالجليد ، يرجع الأهالى إلى أماكنهم الخاصة بفصل الشتاء ويبنون بيوتاً من الثلج ويعتمدون فى معيشتهم على لحم الفقمة .

وينتقل الاهالى من مكان إلى آخر على مركبات **Sledges** يجرها فريق من الكلاب فوق الثلوج (١٠) . وتمتلك كل أسرة عدة كلاب لهذا الغرض(صورة رقم ٤) . ومن المشكلات التى تواجه السكان فى بلاد الاسكيمو إنتشار الامراض التى تفتك بالكلاب فتكا ذريعا فى بعض المناطق ، وتحدث آثاراً خطيره بالنسبة للمواصلات هناك .

ويعيش الاسكيمو فى مساكن تختلف فى نوعها باختلاف فصول السنة (١١) . ففى فصل الشتاء نجدهم يبنون بيوتا من الثلج **snow houses** . وهم يستخدمون المنشار والسكين لقطع كتل الثلج اللازمة للبناء. ويلاحظ أن سقف المسكن يكون على شكل قبو يتراوح ارتفاعه بين ١٠ ، ١٢ قدما ، أما قطر دائرته فإنه

(٨) **Ibid, p. 169**

(٩) **Ibid, p. 11.**

(١٠) **Ibid, p. 121**

(١١) **Ibid, p. 131**



يتراوح بين ١٢ ، ١٥ قدما (١٢) . وينام أفراد الأسرة على فراش من جلد الرنة . وفى فصل الربيع،عندما تصبح أشعة الشمس دافئة ، تذوب أسقف المنازل المصنوعة من الثلج ثم تنهار(١٣). وعندئذ تنتقل الأسر لتعيش فى خيام مصنوعة من جلود الفقمة .

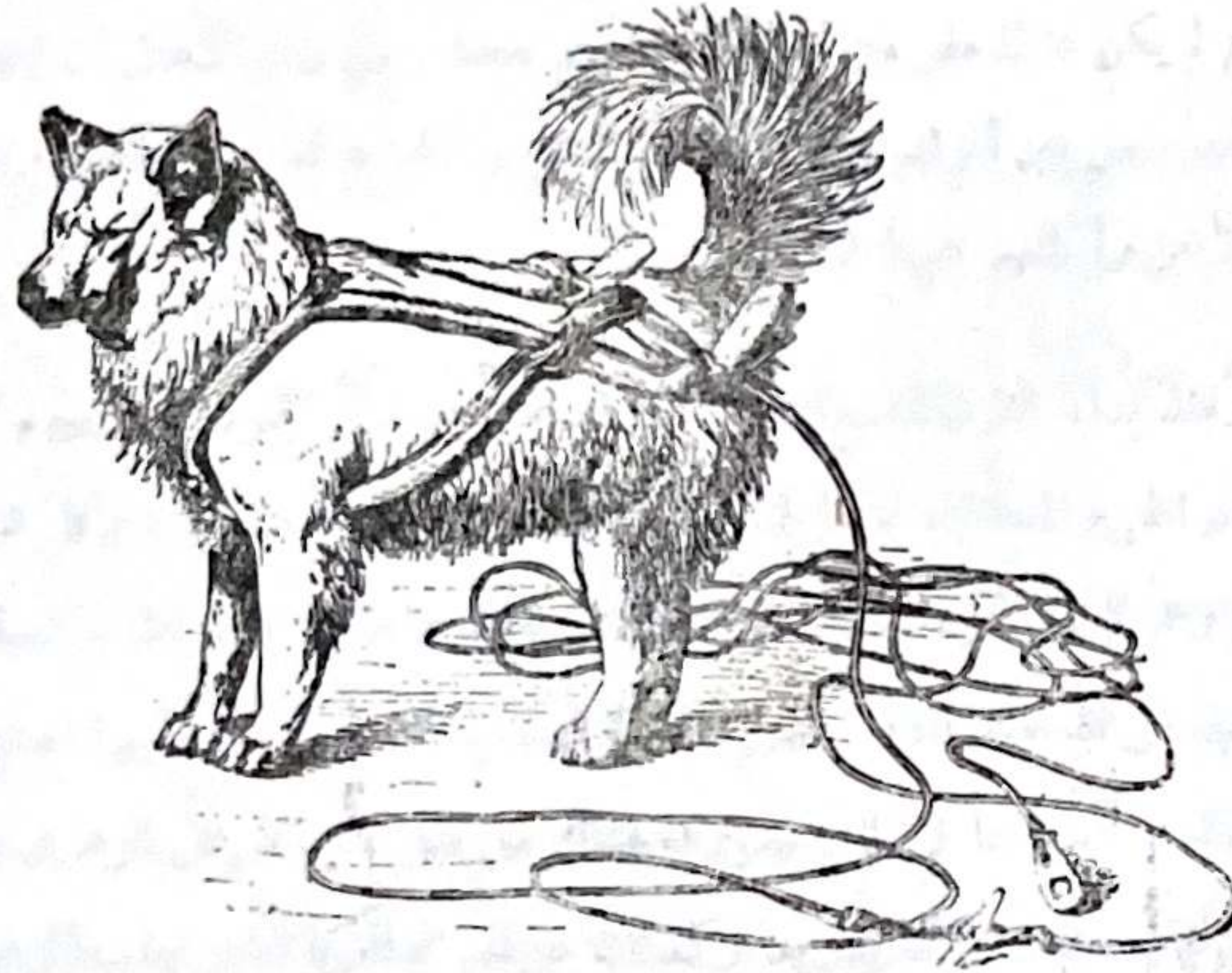
ويشير بواس إلى المجاعات the famines التى تحدث فى بلاد الاسكيمو من حين إلى آخر (١٤) ، وبعد أن يعرض للرأى القائل بأن الأسكيمو قد قل عددهم بسبب عدم كفاية الطعام بالمنطقة يخلص إلى القول بعدم صحة ذلك الرأى . إن الاسكيمو يعيشون فى مساحة شاسعة من الأرض توجد بها أعداد وفيرة من الفقمة فى فصل الشتاء ، كما أن عدد السكان يعتبر ضئيلا نسبيا . وهو يرى أن المجاعات لاتحدث هناك نتيجة لنقص الحيوانات بالمنطقة ، ولكنها تحدث لاستحالة وصول الأهالى إليها فى بعض الأحيان بسبب سوء الأحوال الجوية أو بسبب ظروف اجتماعية قد تطرأ هناك فى ذلك الحين . فالعواصف الشديدة التى تهب فى فصل الشتاء تمنع الأهالى من الخروج للصيد فترة من الزمن . وفى خلال تلك الفترة تعتمد الأسر على المخزون لديها من اللحم والدهن . فإذا طالت فترة العاصفة ، فإنهم يضطرون إلى ذبح الكلاب الواحد بعد الآخر لأكل لحومها. وإذا توفى أحد أفراد الجماعة فى ذلك الوقت ، فإن المجاعة سوف تستمر،ذلك أن تقاليدهم تمنعهم من القيام بأى عمل خلال فترة الحداد .

ومن قصص المجاعات يروى الأهالى أن مجموعة من الأسر كانت مسافرة فى طريقها إلى ساحل البحر . ولما وصلت إلى هناك رحلة طويلة وشاقة ، ترك

Ibid, p. 132 (١٢)

Ibid, p. 143. (١٣)

Ibid, p. 19. (١٤)



صوره رقم/٤

عدة الكلب الخاصة بجر مركبات الجليد عندالإسكيمو

الرجال نساءهم وأطفالهم على الشاطىء واتجهوا ليبحثوا عن قوارب لتنقلهم إلى الجهة التى يرغبون فى الاتجاه إليها . إلا أن العواصف الشديدة مالبثت أن هبت بعد ذلك فعجزت الرجال عن العودة إلى أسرهم . وبعد فترة نفدت المؤن الموجودة مع النساء والأطفال، ولم يجدوا أمامهم ما يقتاتون به . ولما اشتد بهم الجوع لم يكن هناك مفر من أن يأكل بعضهم بعضا . ويروى الأهالى أن إحدى الأمهات ، من بين أفراد تلك الجماعة قد اشتد بها الجوع فذبحت أطفالها واحداً بعد الآخر وأكلتهم جميعاً (١٥) :

ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأت أساطيل صيادى الجوت whalers تتردد على شواطىء المنطقة ، ثم ما لبثت أن أقامت لها مراكز هناك . ولا شك أن حضورهم كان له أثره الخطير على الحالة الصحية للاهالى ، وكذلك بالنسبة لنمط حياتهم من الناحية المادية . فمن الناحية الصحية نجد أنهم قد جلبوا معهم إلى بلاد الاسكيمو أمراضا لم تكن معروفة هناك من قبل مثل مرض الزهرى syphilis الذى فتك بالسكان فتكا ذريعا وكذلك مرض الدفتريا الذى جلب إلى هناك لأول مرة سنة ١٨٨٣ (١٦) . وأما بالنسبة لنمط حياة الاسكيمو من الناحية المادية، فقد أدى حضور الصيادين إلى إحداث تغيير كبير فى هذه الناحية . فلقد حصل الأهالى من أصحاب السفن على الاسلحة النارية والقوارب والخشب والكبريت والمصابيح وأوانى طهى الطعام والبن الدخان . وفى مقابل ذلك كان الاهالى يعطونهم جلود الحيوانات والدهن (١٧) .

---

(١٥) Ibid. p. 20

(١٦) Ibid, p. 18

(١٧) Ibid, p. p. 58 — 59

ثانيا ـ ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — مدة الدراسة الحقلية : أجرى ذلك البحث فى الفترة من أغسطس سنة ١٨٨٣ حتى أغسطس سنة ١٨٨٤ . وبذلك تكون المدة التى قضاها بواس هناك سنة كاملة (١٨) .

٢ — تمويل البحث : قامت الصحيفة الالمانية Berliner Tageblatt بتقديم منحة مالية لمدة عام إلى بواس القيام بإجراء ذلك البحث . وقد نشرت تلك الصحيفة عددا من المقالات والخطابات التى كتبها بواس عن الاسكيمو (١٩) .

٣ — وسائل جمع البيانات : قبل سفره إلى منطقة البحث قام بواس بدراسة المؤلفات التى كتبت عنها the literature on the area ، كما أنه بدأ كذلك فى دراسة لغة الاسكيمو the Eskimo language (٢٠). وفى أثناء إقامته هناك، نجد أنه قد زار كل المستعمرات (٢١) واختلط بالاهالى وتحدث معهم بلغتهم ، كما اعتمد أيضا على الملاحظة لدراسة حياتهم الاجتماعية، فهو يذكر مثلا أنه كان يقابل الاهالى كل ليلة ويحصل منهم على معلومات عن أسفارهم وأساطيرهم . ورغبة فى دراسة الماضى ، فقد قابل عدداً من المخبرين من المسنين وتحدث معهم للحصول على معلومات عن حالة المنطقة فى السنوات السابقة على قدوم الصيادين اليها (٢٢) .

---

(١٨) Ibid, p. vi

(١٩) Kardiner & Prebis, Op. cit, 119

(٢٠) Boas, Op. Cit. p. v.

(٢١) Ibid, p. Vii.

(٢٢) Ibid, p. Viii



صورة رقم/٥

رجل من الإسكيمو وبجواره حربته الخاصة بصيد الفقمة

ولا شك أن بواس قد قابلته صعاب جمة أثناء قيامه ببحثه الحقلى فى تلك المناطق القطبية . فقد كان ينتقل من مكان الى آخر على مركبات الجليد التى تجرها الكلاب . وفى كثير من الاحيان كانت درجة الحرارة تتراوح بين ٤٠° و٤٥° تحت الصفر . وفى كل ليلة ، أثناء السفر ، كان يقوم هو وخادمه ببناء بيت من الثلج للمبيت فيه . وفى كثير من الاحيان كان بواس وخادمه وكلابه يقاسون من الجوع الشديد (٢٣) .

ويذكر بواس أن الشركة الاسكتلندية للحيتان قد ساعدته كثيرا على إنجاز مهمته . فقد أقام فترة من الزمن فى منزل مستر جيمس متش Mr. James Mutch وكيل الشركة بالمنطقة . كما أن مستر متش كان ، فى كثير من الأحيان ، يمده بالكلاب والمركبات لينتقل من مكان إلى آخر (٢٤) .

٤ — نشر نتائج الدراسة : سبق أن أشرنا من قبل الى أن بواس قد قام برحلة إلى بلاد الاسكيمو وأقام هناك سنة كاملة (١٨٨٣-١٨٨٤) . وبعد عودته من هناك ، قام بنشر نتائج رحلته المتعلقة بالناحية الجغرافية فى كتاب مستقل ، أما البيانات التى جمعها عن الناحية الاجتماعية فقد خصص لها كتاب ***The Central Eskimo*** الذى نشر لأول مرة سنة ١٨٨٨ . وهذا الكتاب يحتوى على دراسة لجوانب مختلفة من حياة السكان مثل توزيع القبائل ، وصيد الحيوانات والأسماك ، والتجارة والصناعة ووسائل النقل والمساكن والحياة الاجتماعيــة والدينية والاساطير والشعر والأغانى والموسيقى . . الخ كما يحتوى الكتاب فى نهايته على قائمة glossary بالكلمات المكتوبة بلغة الاسكيمو فى الفصول المختلفة ومعناها باللغة الانجليزية (٢٥) .

---

(٢٣) Idid, p. IX

(٢٤) Ibid, p. Vii

(٢٥) Ibid. p.p. 251—258



صورة رقم/٦
رجل من الإسكيمو يمسك حربته

ثالثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

١ - الأسرة والقانون(٢٦)

يميل الأهالى فى مجتمع الاسكيمو إلى أن تخطب البنت وهى طفلة ، ولكنهم لا يسمحون بإتمام الزواج إلا بعد أن تكبر البنت وتصبح قادرة على أن تقوم بالواجبات المنزلية ، وكذلك بعد أن يكبر الطفل ويصبح قادراً على أن يعول زوجته . وقد جرت العادة عندهم على أن يبدأ الزوجان حياتهما الزوجية فى مسكن أسرة الزوجة ويظل الأمر كذلك حتى وفاة والديها .

وبالرغم من أن النظام السائد هناك هو نظام الزواج المونوجامى (وحدة الأزواج والزوجات) monogamy فإن نظام تعدد الزوجات Polygamy يوجد هناك أيضاً ولكن بنسبة قليلة .

والأمتعة اللازمة لتكوين أسرة جديدة هى : عدة الصيد الخاصة بالرجل وسكين ومصباح وحلة للطبخ .

ومن العادات السائدة عند الاسكيمو أن الرجل قد « يسلف » زوجته لصديقه لمدة فصل كامل من فصول السنة أو أكثر ، وذلك لكى يعبر له عن مودته وحبه له . وإذا ما حل أحد الرجال ضيفاً على صديق له ، فإن صديقه - إذا كان متزوجا بأكثر من زوجة - يعطيه إحدى زوجاته طوال إقامته معه فى المنزل . كما أن الأصدقاء المتزوجين يتبادلون الزوجات فيما بينهم وذلك تعبيراً عن صداقتهم .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن التقاليد الدينية هناك تحتم عليهم ضرورة القيام بذلك فى بعض المناسبات .

---

(٢٦) Ibid, p.p. 170-174

وينبغى على الزوج أن يعامل زوجته معاملة طيبة ، وإذا أساء معاملتها أو ضربها ، فإنها قد تغادر المسكن ثم يتم الطلاق بينهما بعد ذلك . وفى العادة يبقى الأطفال مع الأم بعد الطلاق .

وبالنسبة لتقسيم العمل the division of lator بين الرجل والمرأة ، فإننا نلاحظ أن الرجل يختص أساساً بصيد الحيوانات ليطعم زوجته وأطفاله وأقاربه الذين ليس لهم عائل . كما أنه هو الذى يطعم الكلاب ويسوق مركبة الجليد أثناء ارتحال الأسرة من منطقة إلى أخرى . وعلاوة على ما تقدم ، فهو يقوم بصناعة الأدوات اللازمة للصيد وبناء المسكن الذى تقيم فيه الأسرة . أما المرأة فهى تقوم بالأعمال المنزلية وحياكة الملابس وطهى الطعام وصناعة الخيام وإصلاحها وتربية الكلاب . وبالنسبة للرجل الكسيح من أفراد الأسرة the cripple الذى لا يستطيع أن يقوم بصيد الحيوانات ، فإن الأسرة تعهد إليه بنفس الأعمال التى تقوم بها المرأة .

ويذكر بواس أن قبائل الاسكيمو تمارس عادة وأد الأطفال infanticide . وهم يئدون الإناث بصفة خاصة وكذلك أطفال الرجل الأرمل والمرأة الأرملة بسبب سوء الحالة الاقتصادية عندهم .

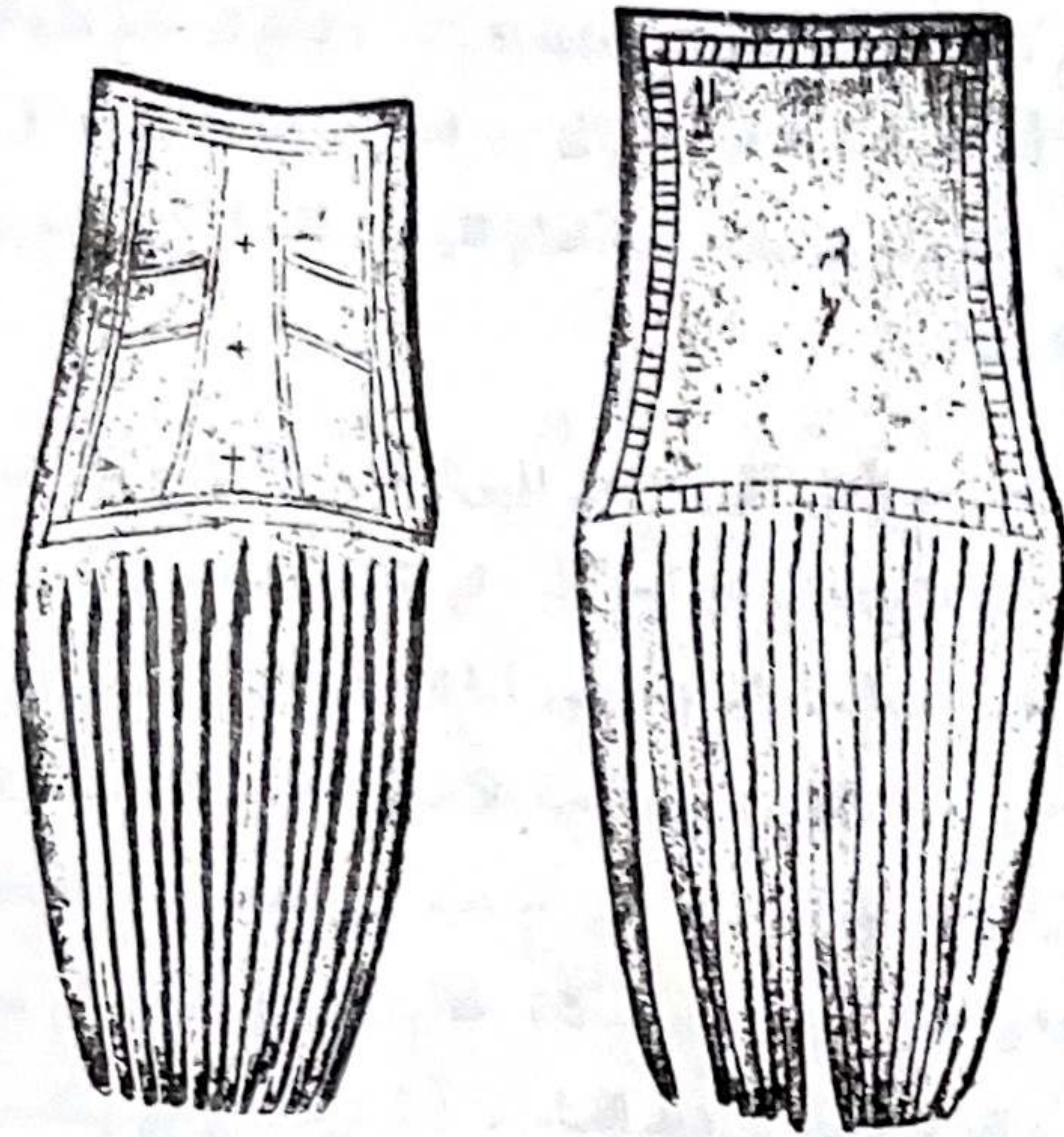
وهناك قواعد عديدة regulations تحكم عملية الصيد عند الاسكيمو وتحدد حقوق الأفراد وواجباتهم فى هذه الناحية . فإذا ما اصطاد أحد الرجال فقمة seal ، فإنها تكون ملكاً له ، ويقوم هو وأفراد أسرته بأكل لحمها . ولكن إذا كانت هناك مجاعة بالقرية ، فإنه يجب عليه أن يعطى كل أسرة بالمجتمع جزءاً من اللحم والدهن . وقد يقوم هو شخصياً بتسليم نصيب كل أسرة ، وقد تقوم زوجته بذلك نيابة عنه .



وإذا ما اصطادت جماعة من الأهالى أحد فيلة البحر Walrus ، فإنهم يقطعونه إلى عدة أجزاء متساوية لعددهم . وقد جرت العادة على أن الشخص الذى يسدد أول طعنة لفيل البحر تكون له حرية اختيار الجزء الذى يريده ، كما أنه يأخذ رأس الفيل أيضاً .

وإذا ما اصطادت الجماعة حوتاً Whale فإنه يوزع على جميع أسر المستعمرة، ثم يقام بعد ذلك احتفال كبير فى « بيت الغناء » بهذه المناسبة .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أنه لا يوجد عند الاسكيمو وسيلة لتنفيذ هذه القوانين غير المكتوبة ولمعاقبة المعتدين سوى وسيلة أخذ الثأر بالدم . فإذا ما أساء رجل إلى رجل آخر ، فإن الشخص المعتدى عليه ينتقم لنفسه بقتل المسىء . وفى هذه الحالة ، يحق لأقرب أقرباء القتيل أن يثأر له ، بل إن ذلك يعتبر واجبا يجب القيام به . وفى بعض الأحوال ، قد يتعذر ضبط القاتل نفسه للثأر منه ، وعندئذ تلجأ أسرة القتيل إلى قتل أى شخص آخر من أسرة القاتل بدلا منه ، وقد يستمر هذا العداء المستحكم بين الأسرة فترة طويلة من الزمن ويتوارثه الأفراد جيلا بعد جيل . وقد يفضل الطرفان المتخاصمان إنهاء حالة الصراع المحتدم بينهما ، وعندئذ يحل السلام من جديد فى ربوع المنطقة .



صوره رقم/٧

المشط الذى يستخدمه الأهالى

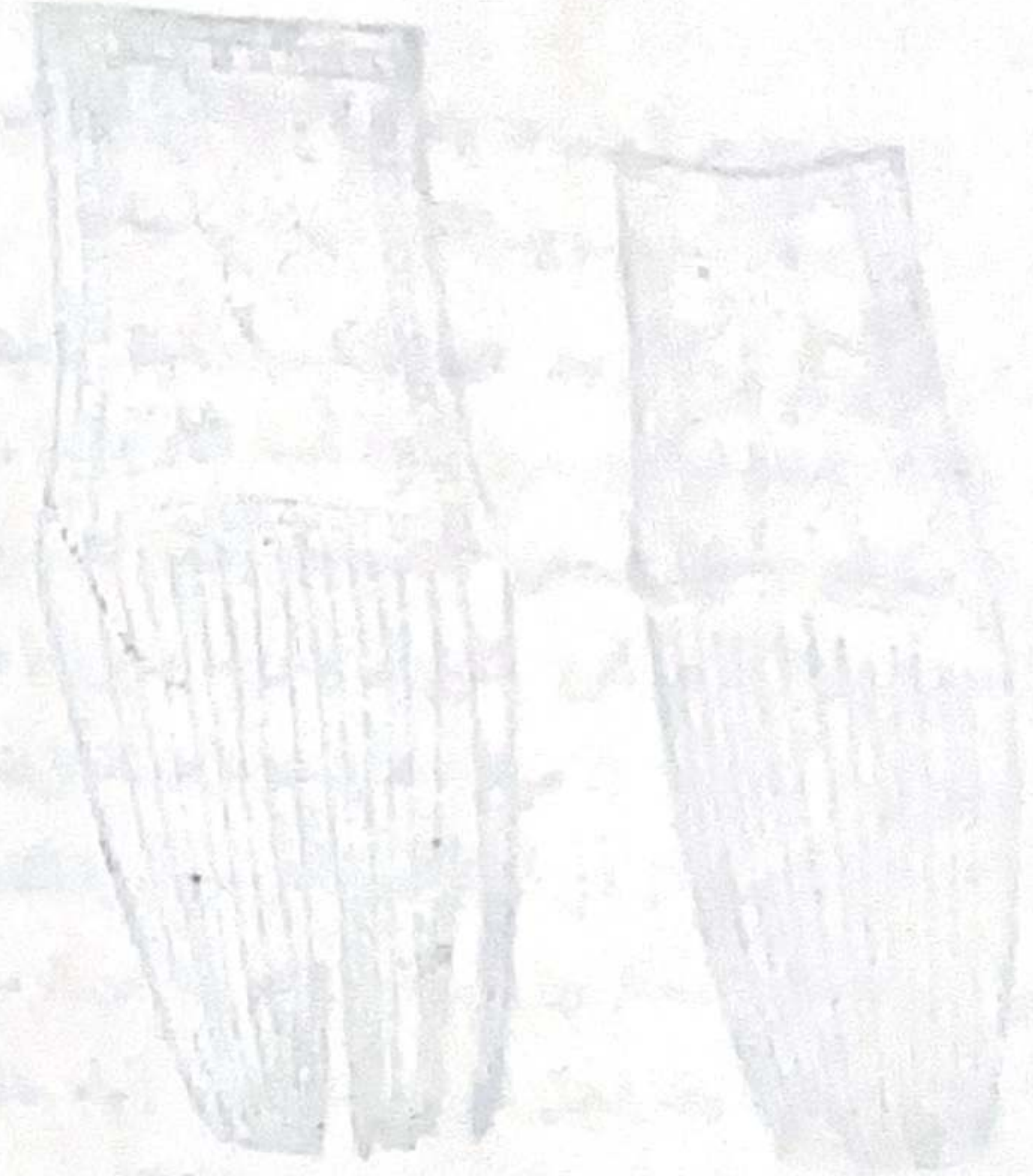
٢ ـ الأعياد عند الإسكيمو (٢٧)

يحتفل الاسكيمو بأعيادهم فى فصل الصيف فى الهواء الطلق . أما فى فصل الشتاء فإنهم يحتفلون داخل بيت من الثلج يبنونه لهذا الغرض ، وهم يطلقون عليه اسم « بيت الغناء Singing house » . ويبلغ ارتفاع هذا البيت ١٥ قدم تقريباً ، أما قطر دائرته فهو حوالى ٢٠ قدما تقريبا . ويوجد فى وسط البيت عمود من الثلج يبلغ ارتفاعه خمسة أقدام تقريبا وذلك لكى توضع عليه المصابيح لإضاءة البيت .

وعندما يتجمع أهل القرية داخل المبنى للرقص والغناء ، فإن النساء المتزوجات يقفن فى صف دائرى بجوار الحائط ، ثم تقف النساء غير المتزوجات فى صف دائرى داخل صف النساء المتزوجات . أما الرجال فإنهم يجلسون ويكونون صفا دائريا داخل الصف الثانى . وبالنسبة للأطفال ، فإنهم ينقسمون الى مجموعتين ، وتقف كل مجموعة على أحد جانبى الباب . وعندما تبدأ الحفلة يتقدم أحد الرجال ، وهو يحمل طبلة ، الى المكان الخالى الذى يلى الباب ثم يبدأ فى الرقص والغناء . وتقوم النساء بترديد الغناء ، أما الرجال فإنهم يستمعون اليه وهم صامتون . هذا ويهمنا أن نشير الى أن مثل هذه الاحتفالات لا تقتصر على الرقص والغناء فقط ، بل ان الأهالى يقيمون أثناءها مباريات للمصارعة أيضاً wrestling matches . كما يهمنا أن نشير هنا كذلك الى أن مثل هذه الاحتفالات تقام بمناسبة نجاح البعض من أفراد القرية فى الصيد وبصفة خاصة صيد الحيتان .

---

(٢٧) Ibid, p.p. 192-201.



وعلاوة على ما تقدم ، فهناك أيضاً الأعياد الدينية التى تتصل بمعتقدات الأهالى عن الإلهة « سدنا Sedna » والتى تقام عادة فى فصل الخريف كل سنة . وهم يهدفون من وراء ذلك الى حماية أنفسهم من شرور الأرواح التى تسبب لهم المرض والموت ، والتى تجلب الحظ السيء أثناء الصيد . وفى خلال هذه الاحتفالات يقوم جميع الرجال بزيارة جميع المساكن . وتستقبلهم الزوجة أثناء الزيارة ، وتلقى لهم بصحن يحتوى على بعض الهدايا . وفى أثناء تلك الاحتفالات أيضاً يقسم الأهالى أنفسهم الى فريقين Parties ويقيمون مباراة لشد الحبل . ويتكون الفريق الأول من جميع الأشخاص الذين ولدوا فى فصل الشتاء ، أما الفريق الثانى فإنه يتكون من مواليد فصل الصيف . ويبذل كلا الفريقين كل جهده للفوز بالنصر ؛ وإذا تمكنت مجموعة فصل الصيف من هزيمة مجموعة فصل الشتاء ، فإن الأهالى يتوقعون جوا معتدلا فى فصل الشتاء القادم . ويذكر لنا بواس أن الأهالى يتبادلون زوجاتهم أثناء هذه الاحتفالات . فالرجال يجتمعون فى مكان مناسب ويجلسون صفا واحدا ، كما تجلس النساء أيضاً صفا واحدا فى مواجهة صف الرجال . ثم يقوم كل رجل (فى صف الرجال) ويأخذ امرأة من صف النساء ويجرى معها الى كوخها حيث يقضى معها هناك يوما كاملا .

٣ ـ أسطورة سدنا والطائر

يحكى أن رجلا كان يعيش مع ابنته (التى كانت تسمى سدنا Sedna) على شاطىء منعزل . وقد توفيت زوجة ذلك الرجل ، وعاش هو وابنته عيشة هادئة .

وبعد عدة سنوات ، أصبحت سدنا فتاة جميلة . وقد تقدم إليها الكثير من الفتيان يطلبون يدها ، ولكن الغرور أعمى قلبها ودفعها إلى أن ترفضهم جميعا. وفى بداية فصل الربيع وصل إلى الشاطىء طائر بحرى a Fulmar قادما من بلاده البعيدة ، وأخذ يتودد إلى سدنا بأسلوب جذاب كى توافق على قبوله زوجا لها . قال الطائر مخاطبا سدنا : تعالى معى إلى بلاد الطيور . إنك لن تجوعى هناك أبدا فى يوم من الأيام . سوف تجدين خيمتى مصنوعة من أجمل جلود الحيوان . كما أنك سوف تنامين على فراش من فراء الدب الناعمة . إن زملائى من الطيور سوف يحضرون لك كل مايشتهيه قلبك. سوف يظل المصباح فى بيتك دائما مملوءا بالزيت . كما أن قدورك الخاصة بطهى الطعام ستظل دائما مملوءة باللحوم !! . ولم تستطع سدنا أن تقاوم طويلا أمام كل ذلك الأغراء !! فوافقت على الزواج ، وسافرت معه إلى بلاده .

وبعد رحلة طويلة وشاقة ، وصلت سدنا إلى بلاد الطائر . وسرعان ما اكتشفت أن زوجها قد خدعها ، وأنه لم يكن صادقا فى حديثه معها كليـــة . فالخيمة التى كان يعيش فيها كانت مصنوعة من جلود الأسماك الحقيرة . وكانت بها ثقوب كثيرة تسمح بدخول الرياح والثلوج . ولم تكن الخيمة مصنوعة من

الجلود الجميلة كما سبق وذكر لها من قبل . كذلك وجدت سدنا أن فراشها كان مصنوعا من جلود فيل البحر الصلبة ، ولم يكن مصنوعا من الجلود اللينة كما سبق وأخبرها من قبل . وأما بالنسبة للطعام الذى كانت تقدمه لها الطيور فإنه كان يتكون من أنواع حقيرة من الأسماك .

ونتيجة لذلك كله ، فقد انتابها الحزن الشديد ، وندمت على تضييعها كل ما كان أمامها من فرص برفضها جميع الرجال الذين تقدموا إليها يطلبون يدها . وفى حزن شديد أخذت سدنا تردد : ياأبى : إنك إذا عرفت ماأنا فيه من شقاء ، فإنك سوف تسارع بالحضور إلى لتفر معا فى قاربك من هذه البلاد . إن الطيور تنظر إلى — وأنا الغريبة بينهم — نظرة قاسية . كما أن الرياح الباردة تزمجر حول فراشى . وعلاوة على ذلك ، فإنهم لا يقدمون إلى سوى أردأ أنواع الطعام . ليتك ياأبى تحضر إلى وتأخذنى معك إلى بيتنا !! » .

وبعد مرور عام على الزواج ، سافر الأب لزيارة ابنته . وعندما رأته فرحت فرحا شديداً ورحبت به ترحيبا بالغا . ثم أخذت تقص عليه كل ماحدث لها منذ زواجها . ولقد استاء الأب استياء شديداً عند سماعه كلام ابنته وقام بقتل زوجها الطائر انتقاما لما لحقها من إهانات . ثم أسرع هو وابنته بعدذلك إلى القارب للفرار من تلك البلاد .

وعندما عادت الطيور إلى البيت واكتشفت أن زميلهم الطائر قد قتل وأن زوجته قد فرت أسرعت بالطيران بحثا عن الهاربين . لقد كانت الطيور تشعر بالحزن الشديد بسبب مقتل زميلهم المسكين ؛ ولا تزال مستمرة فى بكائها ونواحها حتى يومنا هذا !!

وعندما لمحت الطيور القارب أحدثت عاصفة شديدة . فارتفعت أمواج البحر ارتفاعا كبيرا وهددت الأب وابنته بالهلاك . وفى تلك الظروف العصيبة ، قرر الأب أن يقدم سدنا للطيور لينجو هو بنفسه . فقام بإلقائها فى البحر ؛ ولكنها أمسكت بحافة القارب بكل ما أوتيت من قوة . عند ذلك أمسك الأب القاسى سكينا وبتر العقل الأولى من أصابعها the First joints . وقد تحولت تلك العقل — عقب سقوطها فى البحر — إلى حيتان whales !! وبالرغم من ذلك ، فقد ظلت سدنا ممسكة بالقارب . فقام الأب ببتر العقل الثانية من أصابعها بواسطة السكين الحاد . وقد تحولت تلك العقل — عقب سقوطها فى البحر — إلى فقمة Seal وأخذت تسبح فى الماء !!

وفى أثناء ذلك ، هدأت العاصفة لأن الطيور ظنت أن سدنا قد غرقت . وعندئذ سمح الأب لابنته بالعودة ثانية إلى القارب . غير أن تصرفات الأب مع ابنته ، فى وقت الشدة ، قد أدت إلى شعورها بالمرارة والألم وأقسمت أن تنتقم منه انتقاما شديداً .

وبعد وصولهما إلى الشاطىء ، استدعت سدنا كلابها وتركتها تقضم يدى أبيها وقدميه أثناء نومه . ومن أجل ذلك فقد لعن الأب نفسه وابنته وكلابها . وعند ذلك انشقت الأرض وابتلعت الكوخ والأب وابنته والكلاب . وهم يعيشون — منذ ذلك الحين — فى البلاد التى تقع تحت الأرض التى تعيش فيها . وقد أصبحت سدنا سيدة على تلك البلاد . (٢٨)

(٢٨) Ibid, p. p. 175—177

الفصل الخامس

سكان جزر الأندمان

ا . ر . رادكليف براون

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد ألفريد ر. راد كليف - براون Alfred Reginald Radcliffe-Brown سنة ١٨٨١ . وقد حصل على درجته الجامعية الأولى من جامعة كمبردج .

وفى سنة ١٩٠٦ سافر إلى جزر الأندمان the Andaman Islands لإجراء دراسة حقلية هناك . وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٢٢ .

وفى سنة ١٩١٠ سافر إلى غرب استراليا لإجراء دراسة حقلية هناك (١٩١٠ — ١٩١٢)؛ وقد نشرت نتائج تلك الدراسة سنة ١٩١٣ بعنوان :

" *Three Tribes of Western Australia* "

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، كان راد كليف - براون موجوداً فى استراليا مع أعضاء الجمعية البريطانية لتقدم العلوم . وفى الفترة من

سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩١٩ التحق بوظيفة « مدير التعليم» فى مملكة تونجا Tonga (فى فرندلى أيلاندس Friendly Islands) . ولا شك أن تلك التجربة ، فضلا عن قيمتها من الناحية العلمية ، كان لها أثرها فى ذلك الاهتمام الذى كان يبديه لدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية التطبيقية .

وفى سنة ١٩٢١ عين رادكليف — براون أستاذا للانثروبولوجيا الاجتماعية فى جامعة جنوب أفريقيا . لكنه - لما وجد أن الجامعة لم تقدم له التمويل اللازم لتنفيذ مشروعاته الخاصة بالأبحاث الحقلية فى جنوب أفريقيا - ترك العمل هناك ، واتجه إلى جامعة سيدنى فى استراليا (سنة ١٩٢٥) حيث عين أستاذا للانثروبولوجيا الاجتماعية بها .

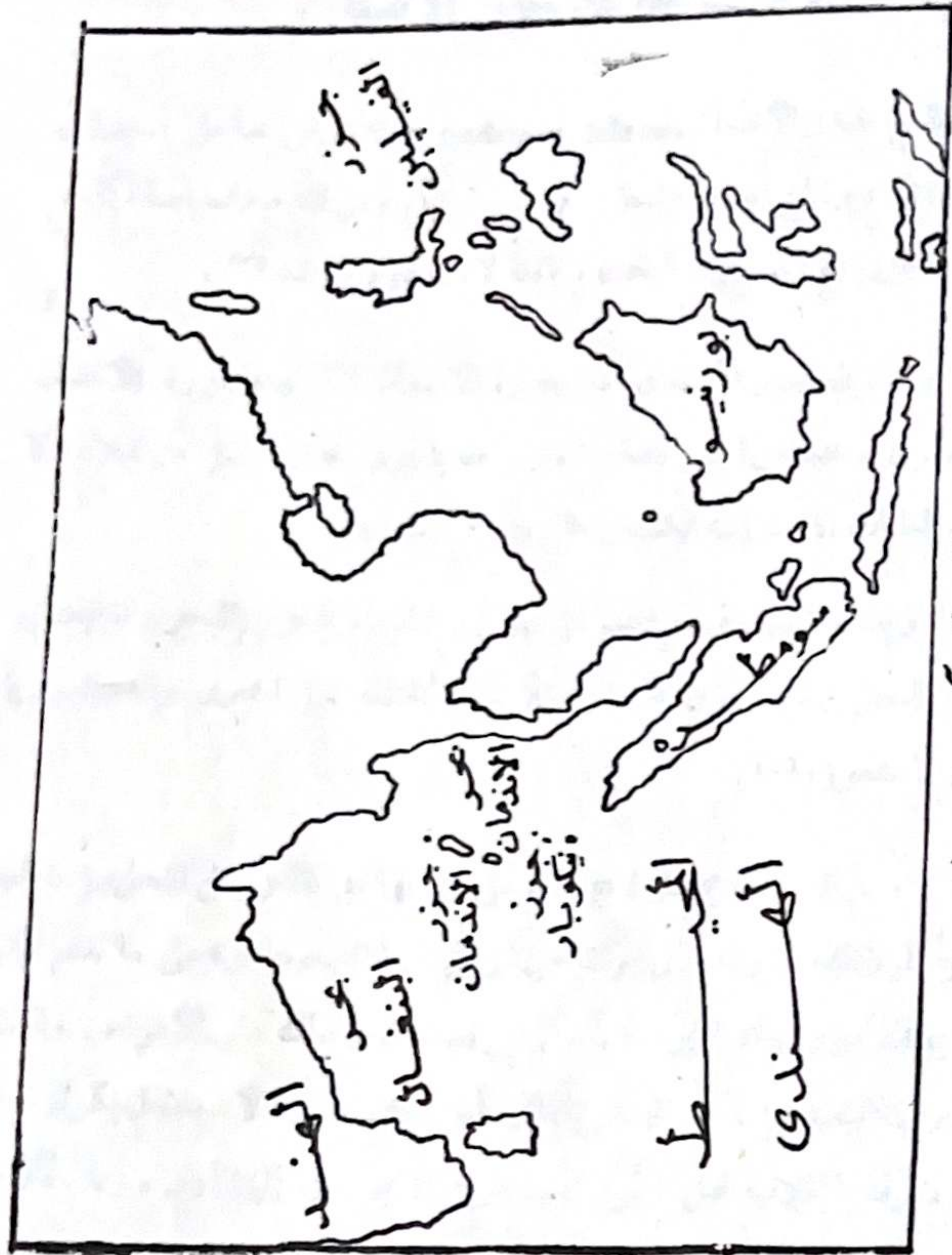
وفى سنة ١٩٣١ سافر إلى شيكاغو بالولايات المتحدة حيث عين أستاذاً للانثروبولوجيا الاجتماعية هناك (١٩٣١ — ١٩٣٧) .

وفى سنة ١٩٣٧ عين رادكليف براون أستاذا للانثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة اكسفورد . وقد ظل يعمل بها حتى تقاعد سنة ١٩٤٦ . وتقديراً لجهوده ، واعترافاً بفضله ، قامت مجموعة عن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بإخراج كتاب يضم مجموعة من الأبحاث . وعنوان الكتاب هو :

" *Social Structure. Studies Presented to A. R. Radcliffe Brown* . (١)

« البناء الاجتماعى . دراسات مهداه إلى أ . ر . رادكليف - براون»

(١) M. Fortes (Ed.), *Social Structure, Studies Presented to A. R. Radcliffe . Brown*, (Oxford. At The Clarendon Press, 1949).



جنوب شرق آسيا
خريطة رقم ١/

والعلماء الذين اشتركوا فى إخـراج ذلك الكتاب هم : مارجريت ميـد ، جريجورى باتسون ، مايرفورتس ، إ . إ . إيفانز بريتشارد ، شابيرا ، فريد إيجان ، ماكس جلكمان ، ريموند فيرث ، ه . ا . هوجبن ، جون امبرى .

وفى سنة ١٩٤٧ حضر راد كليف ـ براون إلى الاسكندرية وعين أستاذاً بجامعتها فى الفترة من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٤٩ .

وفى اكتوبر سنة ١٩٥٥ توفى راد كليف براون فى مدينة لندن .

ومن مؤلفاته نذكر :

***The Andaman Islanders* (1922); *Social Organization of Australian Tribes* (1931); *Structure and Function in Primitive Society* (1952); *A Natural Science of Society* (1957) *Method in Social Anthropology* (1958).**

ومن تلاميذه نذكر :

إ . إ . إيفانز بريتشارد (فى بريطانيا) ، و . ل . وورنر ، جـون إمبرى (الولايات المتحدة) [٢] .

---

(٢) انظر : *Encyclopaedia Britannica. vol. 18* (1968) p. 1023; *Who's Who* (1954), p. 2400; M. Fortes (Ed.), *Social Structure, Studies Presented To A. R Radcliffe Brown* (1949), p.p. Viii—Xii; A. B. Radcliffe—Brown, *Structure And Function In Primitive Society*, (London, 1968), p. p. v—vi.

أولا – لمحة عن جزر الأندمان

تقع جزر الأندمان **The Andaman Islands** شرقى ساحل مدراس **Madras** ، وتبلغ المسافة بينهما ٧٠٠ ميل تقريباً . ومن الناحية السياسية، كانت تلك الجزر ، وقت إجراء البحث ، تابعة لامبراطورية الهند (٣) .

وتتكون جزر الأندمان من جزيرة الأندمان الكبرى وجزيرة الأندمان الصغرى وعدد من الجزر الصغيرة . وتوجد بالجزر عدة سلاسل من التلال، كما أن الغابات الاستوائية الكثيفة تغطى غالبية مساحتها .

ويعتمد السكان فى معيشتهم على الموارد الطبيعية بالجزر (البحر والغابات). فمن البحر يستخرجون الترسة والأسماك المختلفة مثل الجبرى والكبوريا والاستكوزا (٤) .

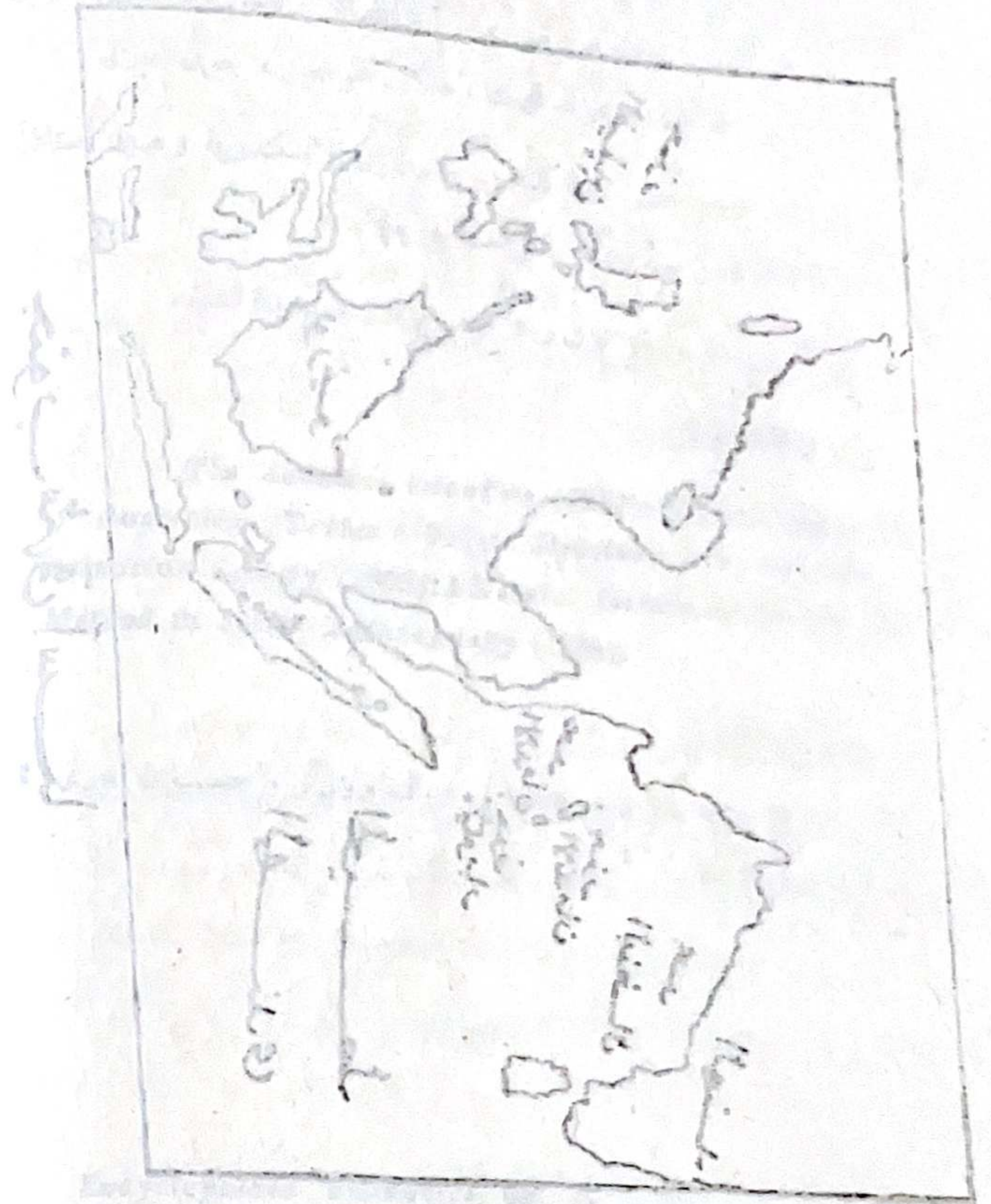
ومن الغابات يحصلون على الخضروات والفواكه وعسل النحل . كما أنهم يأكلون القطط والسحالى والثعابين والفيران (٥) . وعلاوة على ما تقدم فإنهم يصطادون الخنازير أيضاً . وهم يعتمدون فى ذلك على الأقواس والسهام والكلاب . ومما هو جدير بالذكر أن سكان جزر الأندمان لم يكونوا على معرفة بالكلاب قبل وفود المستعمرين البريطانيين إلى الجزر . أما الآن فإن

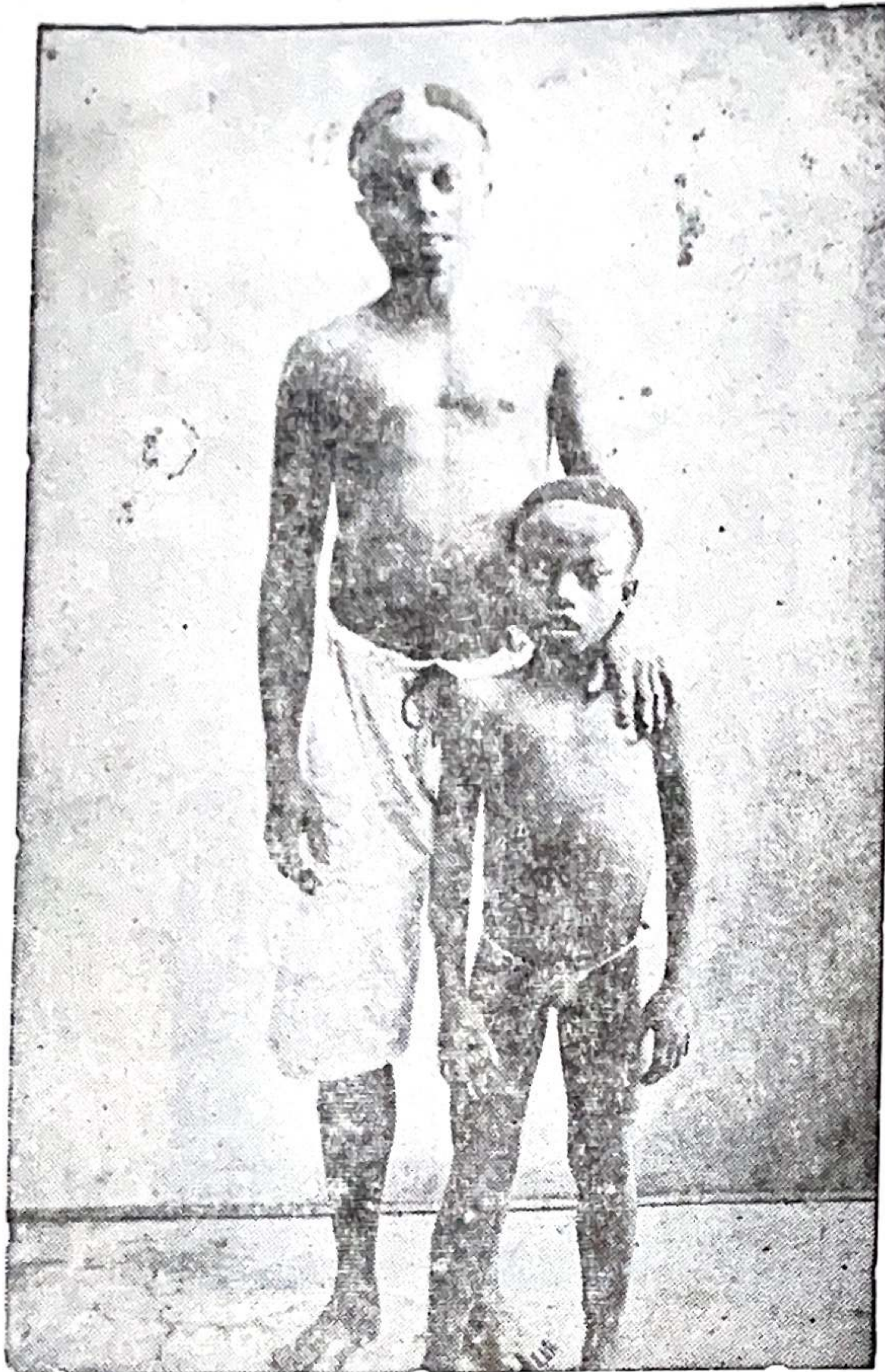
---

(٣) **Radcliffe—Brown**, *The Andaman Islanders*, (Cambridge, 1938) , p. 2.

(٤) Ibid ; p. 36

(٥) Ibid, p 37.





صورة رقم/٨
رجل من جزيرة الأندمان الكبرى ومعه ابنه

كل رجل متزوج لدية كلباً واحداً على الأقل (٦) . ويسمى الأهالى فترة ماقبل الاستعمار إلى الجزر بعصر ماقبل الكلاب !! .

ولم يقدم لنا رادكليف براون دراسة تفصيلية عن الخصائص الطبيعية للأهالى، واكتفى بتناول هذه الناحية بشيء من الإيجاز مع تقديم عدد من الصور الفوتوغرافية لهم . وهو يذكر أن الأهالى يميلون إلى القصر ، كما أن بشرتهم سوداء وشعرهم مجعد (٧) .

وبالنسبة للملابس ، فإن سكان جزيرة الأندمان الصغرى عراة كلية ، أما سكان جزيرة الأندمان الكبرى ، فإنهم نتيجة لاتصالهم بالأوربيين ، يرتدون قطعة من القماش يسترون بها عورتهم (٨) . وهم بصفة عامة لايطلقون لحاهم (٩) .

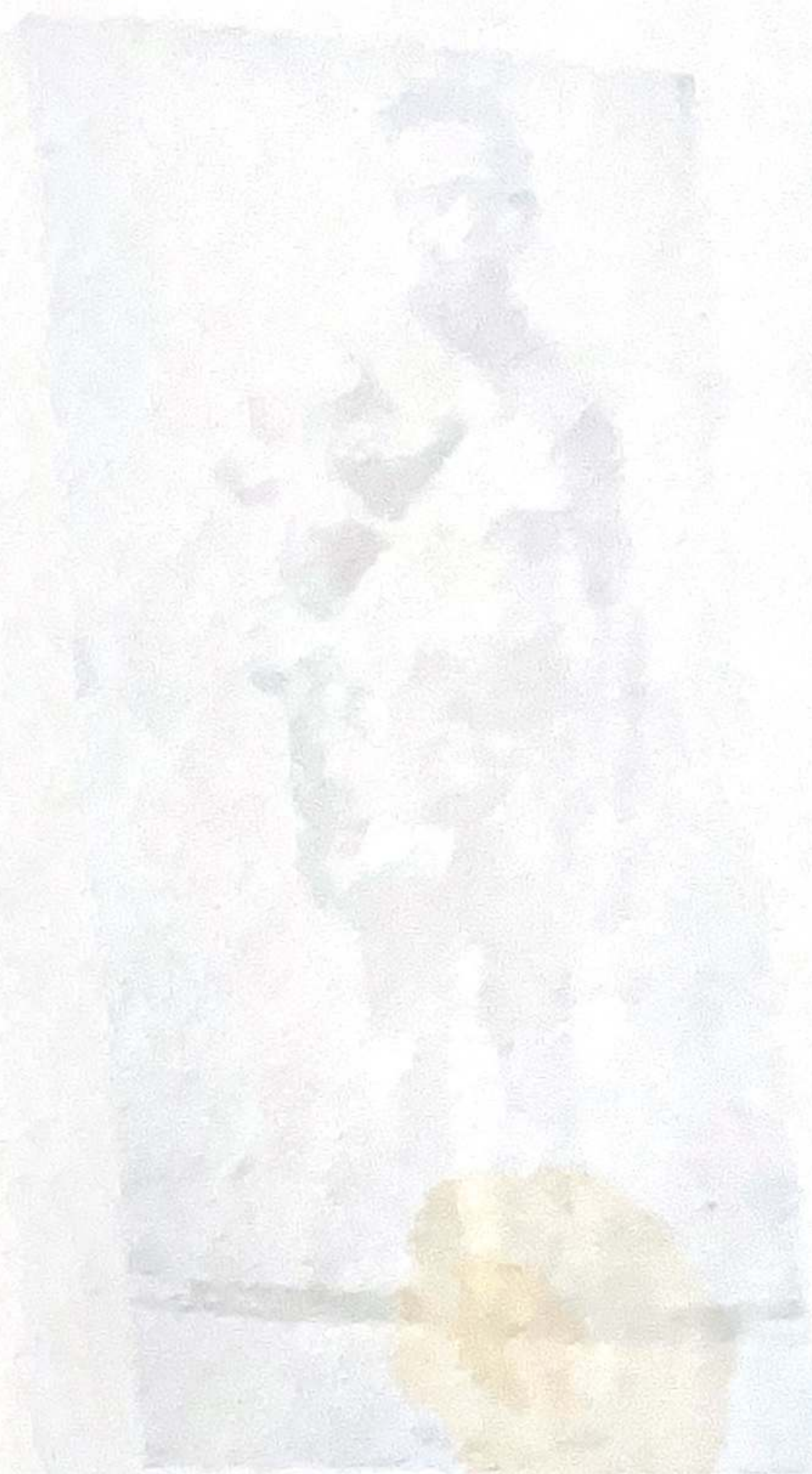
وطبقاً للتعداد الذى أجرته حكومة الهند سنة ١٩٠١ ، فقد بلغ عدد السكان بالجزر ١٨٨٢ نسمة (١٠) . ويذكر رادكليف براون أنه قد بذلت عدة محاولات للتعرف على تطور عدد السكان منذ سنة ١٨٥٨ حتى سنة ١٩٠١ ، أى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر . فمستر بورتمان Mr. Portman ، وهو من الباحثين فى تاريخ الأندمانيين ، يقدر عددهم سنة ١٧٥٨ بحوالى

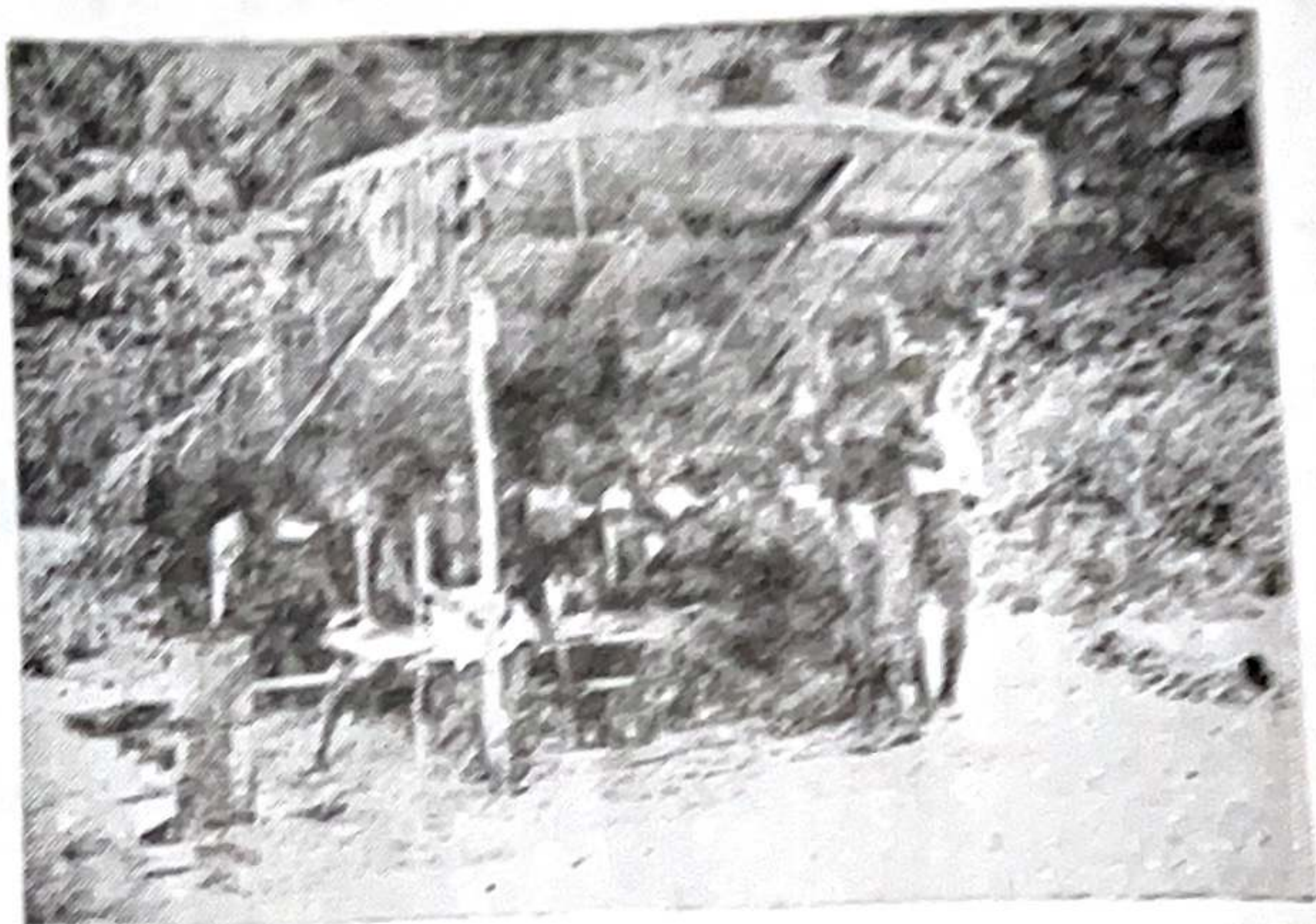
(٦) Ibid , p. 36.
(٧) Ibid , p. 2
(٨) Ibid , p. 116.
(٩) Ibid, p. 138
(١٠) Ibid, p.p. 16-17.



صورة رقم /٩

امرأة تحمل طفلها





صورة رقم/١٠

مجموعة من الأهالى بداخل كوخ فى إحدى القرى

۸,۰۰۰ نسمة تقريباً (١١) . وفى تقرير تعداد سنة ١٩٠١ الذى أجرته حكومة الهند نجد ان عددهم (سنة ١٨٥٨) قد بلغ ٤٨٠٠ نسمة . ويعتقد راد كليف براون أن تقرير مستر بورتمان فيه نوع من المغالاة ، كما أنه يرى أن تقرير حكومة الهند يقل كثيراً عن العدد الحقيقى للسكان فى ذلك الحين . وهو يرجح، اعتمادا على أقوال المرشدين من الأهالى بالجزر، أن عدد السكان سنة ١٨٥٨ كان حوالى ٥٥٠٠ نسمة .

معنى ذلك أن عدد السكان بالجزر قد هبط هبوطا شديدا خلال الخمسين سنة الأخيرة (١٨٥٨ — ١٩٠١) . ويرى راد كليف براون أن هذا الهبوط الشديد فى عدد السكان إنما يرجع إلى قدوم الاستعمار الأوربى إلى الجزر وما جلبه معه من أمراض لم تكن معروفة من قبل فى تلك المنطقة (١٢) . ففى حوالى سنة ١٨٧٠ جلب المستعمرون معهم مرض الزهرى (١٣) Syphilis وانتشر بين غالبية القبائل التى تعيش فى جزيرة الأندمان الكبرى . ويقرر راد كليف بروان أن هذا المرض مسئول بطريقة مباشرة عن ذلك الارتفاع فى نسبة الوفيات . وعلاوة على مرض الزهرى فقد جلب المستعمر معه كذلك مرض الحصبة measles إلى الجزر . ففى سنة ١٨٧٧ إنتشر هذا المرض بصفة وبائية بين سكان جزيرة الأندمان الكبرى . ويقدر المستر بورتمان أن عدد الوفيات بجزيرة الأندمان الكبرى وحدها ، بسبب مرض الحصبة قد بلغ نصف عدد السكان تقريباً (١٤) .

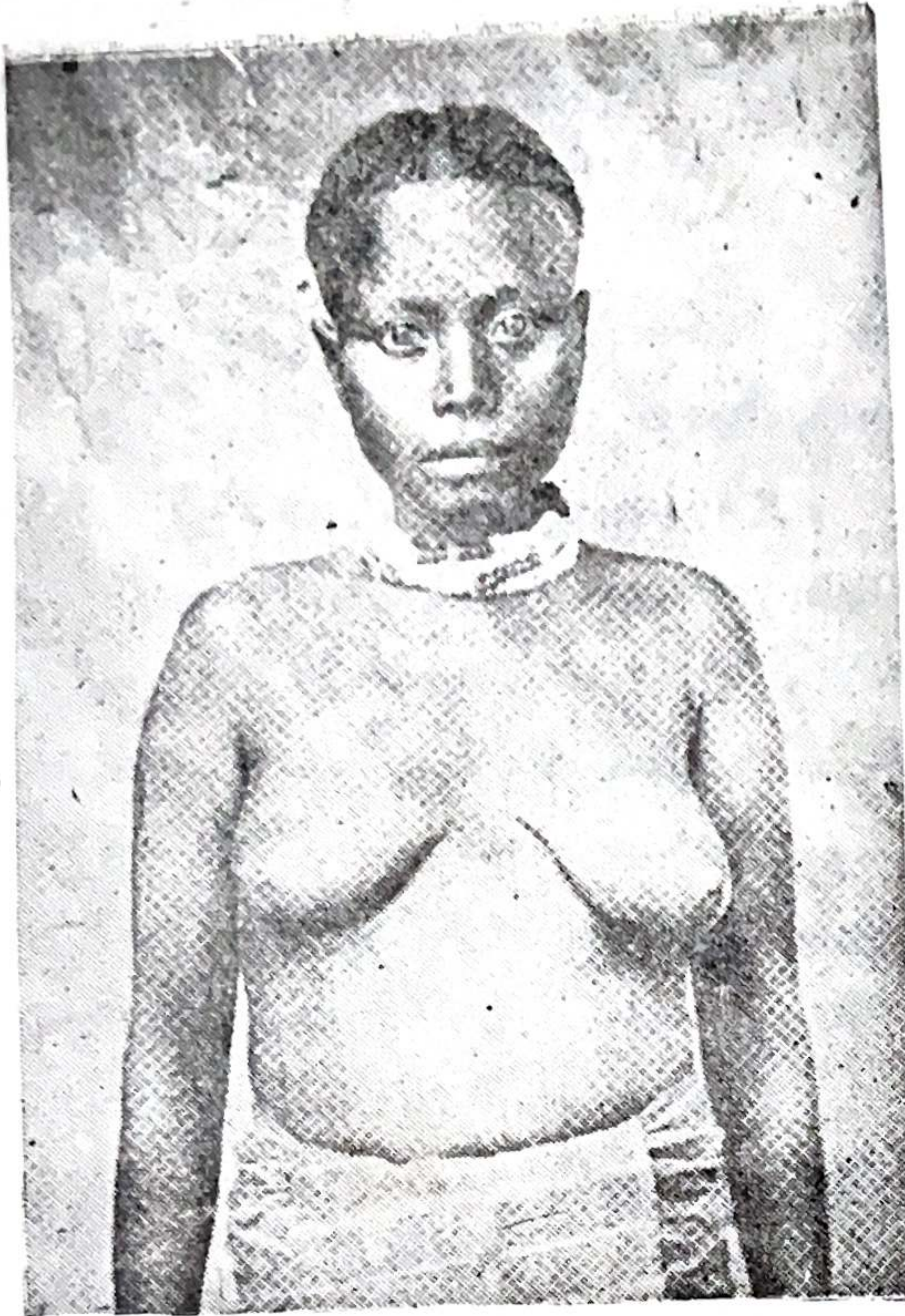
---

(١١) Ibid, p. 18

(١٢) Ibid, P. 17.

(١٣) Ibid; p. 17

(١٤) Ibid, p. 81.



صورة رقم /١١
امرأة متزوجة

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى أن ذلك النقص الشديد الذى ظهر فى عدد السكان بجزيرة الأندمان الكبرى لم يظهر فى جزيرة الأندمان الصغرى . وذلك لأنهم كانوا نادراً ما يتصلون بمستعمرة المجرمين وبقبائل جزيرة الأندمان الكبرى . وبذلك قدر لهم أن يتقوا شر تلك الامراض والاوبئة التى جلبها معه المستعمر الاوربى .

ولا شك أن هبوط عددالسكان بجزيرة الأندمان الكبرى كان له أثره الكبير فى تغيير أسلوب حياتهم mode of life . كما أن الخدمات التى أقامتها الحكومة لهم فى « پورت بلير Port Blair » كان لها أثرها فى هذه الناحية أيضاً (١٥) .

فقد أخذ الاهالى يفدون من كافة أنحاء جزيرة الأندمان الكبرى إلى پورت بلير إما طلباً للعلاج فى المستشفى أو للإقامة بالدار Home . كما بدأت السلطات بالجزيرة أيضا فى توزيع الارز والسكر والشاى والدخان وبعض الأدوات المصنوعة من الحديد . ولقد كان نتيجة لذلك أن الاهالى أصبحوا يتنقلون فى أرجاء الجزيرة بعد أن كانت كل قبيلة عادة لا تميل إلى مغادرة المنطقة الخاصة بها. أما سكان جزيرة الأندمان الصغرى ، فإن التغير فى أسلوب حياتهم كان ضئيلا نظراً لعدم الاتصال بالمستعمرة وبالقبائل فى جزيرة الأندمان الكبرى كما سبق وذكرنا من قبل (١٦) .

(١٥) Ibid, p. 19.
(١٦) Ibid, p. 20.

ثانيا ـ ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ ـ مدة الدراسة الحقلية : أجرى هذا البحث فى الفترة من سنة ١٩٠٦ حتى سنة ١٩٠٨ . وقد قدمت نتائج الدراسة كرسالة **thesis** إلى جامعة كمبردج . ثم قام راد كليف براون بعد ذلك بإعادة كتابة تقرير البحث من جديد (١٧) . وقد نشر فى سنة ١٩٢٢ ، أى فى نفس السنة التى نشر فيها مالينوسكى أول كتاب له عن جزر التروبرياند (١٨) .

٢ ـ قراءة ماكتب عن المنطقة : يذكر رادكليف براون أنه أطلع على كتابات الرحالة العرب وماركوپولو عن جزر الأندمان (١٩) . كما أنه قد استفاد كثيراً من كتابات البريطانيين الذين أقاموا بالمنطقة مثل مستر مان ومستر پورتمان (٢٠) . فالمستر مان **Mr. E. H. Man** كان ضابطاً بمستعمرة المجرمين فى پورت بلير لعدة سنوات . كما أنه أيضاً مشرفاً على دار الأندمانيين **The Andamanese Home** لمدة أربعة أعوام . وقد درس مستر مان خلال إقامته هناك لغة إحدى القبائل . كما أنه درس أيضا عادات بعض القبائل، وقد نشرت نتائج تلك الدراسة فى مجلة *The Journal of the Anthropological Institute* سنة ١٨٨٢ .

---

(١٧) **Ibid, p. vii.**

(١٨) *Argonauts of The Western Pacific.*

(١٩) **Radcliffe - Brown, Ibid, p. 7**

(٢٠) **Ibid, p. p. 20—21**

أما المستر بورتمان Mr. M. V. Portman فقد قضى عدة سنوات بالجزر ونشر عدة أبحاث عن لغات الأندمانيين سنة ١٨٩٨ وكذلك عن تاريخ العلاقات بين سكان جزر الأندمان وبريطانيا سنة ١٨٩٩ . وعلاوة على ما تقدم ، فقد قام مستر بورتمان بأخذ كثير من الصور الفوتوغرافية للأهالى . وقد أودعت مجموعة ممتازة من هذه الصور الفوتوغرافية فى المتحف البريطانى The British Museum.

٣ ـ وسيلة التخاطب مع الأهالى : لم يذكر راد كليف براون صراحة اللغة التى كان يستخدمها فى حديثه مع القبائل المختلفة بالجزر . ويبدو لنا أنه كان يعرف لغات بعض القبائل فاستخدمها فى مخاطبة أفرادها . بينما كانت هناك لغات لقبائل أخرى لم يتمكن من دراستها، ومن ثم فقد اعتمد على المترجمين ، فهو مثلا يذكر أنه قد اعتمد على أحد المترجمين عند حديثه مع أحد المسنين من الأهالى (٢١) .

٤ ـ الاقامة بالمنطقة : أقام رادكليف براون بجزر الأندمان مدة سنتين (سنة ١٩٠٦ ـ ١٩٠٨) . وفى أثناء تلك الفترة ، كان يختلط بالأهالى ويلاحظ عاداتهم ، كما أنه قد اعتمد على المخبرين أيضاً . ففى الفصل الرابع الخاص بالأساطير ، نجد أنه قد اعتمد اعتماداً يكاد يكون كليا على المخبرين للحصول على الأساطير (٢٢) . كذلك نجد أنه قد اعتمد كلية على المخبرين عندما أراد

---

(٢١) Ibid, p. 176 . وفى صفحة ١٨٢ من نفس المرجع نجده يشير الى وجود مترجم كان يقوم بترجمة أقوال المخبرين له .

(٢٢) Ibid, p. 188.

أن يتعرف على التنظيم الاجتماعى الذى كان موجودا بالجزر قبل مجىء الاستعمار الأوربى (٢٣) .

٥ ـ نشر نتائج الدراسة : نشر كتاب « سكان جزر الأندمان *The Andaman Islanders* » لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، أى بعد مرور أربعة عشر عاما على انتهاء رادكليف براون من الدراسة الحقلية فى جزر الأندمان. ويبرر المؤلف ذلك التأخير فى نشر نتائج البحث بانشغاله فترة من الزمن فى بحث حقلى آخر كان يقوم به فى غرب استراليا (٢٤) .

ويشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول . أما المقدمة فإنها تحتوى على دراسة للجزر من حيث الموقع الجغرافى والبيئة الطبيعية والسكان والاستعمار الأوربى وما أحدثه من تغير فى منطقة البحث . وفى الفصل الأول يحدثنا المؤلف عن « التنظيم الاجتماعى » . وقد قدم لنا فى البداية صورة للتنظيم الاجتماعى Social organization الذى كان موجوداً بالجزر قبل مجىء الاستعمار الأوربى إليها . كما درس فى هذا الفصل أيضا الجريمة والملكية والقرابة والزواج . ويشتمل الفصل الثانى على دراسة للعادات الشعائرية Ceremonial Customs مثل عملية تشريط الجسم the operation of scarification وحفلات التأهيل *initiation* Ceremonies والموت وشعائر الجنازات والبكاء والرقص والغناء .

ويتناول الفصل الثالث بالدراسة المعتقدات الدينية والسحرية . أما الفصل الرابع فقد عرض فيه المؤلف للأساطير . وقد خصص المؤلف الفصل الخامس

---

(٢٣) Ibid, p. 22.

(٢٤) Ibid, p. vii

لتفسير بعض المعتقدات والعادات التي سبق وقام بوصفها في الفصلين الثاني (العادات الشعائرية) والثالث (المعتقدات الدينية والسحرية). لم يهتم المؤلف في هذا الفصل بدراسة أصل العادات the origin of the Customs ولكنه درس وظيفتها الاجتماعية في الوقت الحاضر. أما الفصل السادس، فهو يحتوى على تفسير للأساطير التي سبق وقدمها في الفصل الرابع.

* * *

وفيما يلي بعض الملاحظات عن وجهة نظر راد كليف براون بالنسبة للطريقة الأنثروبولوجية:

١ ـ الفصل بين الوصف والتفسير: كان ريفرز في كتابه عن التودا يفصل بين الوصف والتفسير. وقد تأثر راد كليف براون بطريقة أستاذه ريفرز عندما كان يكتب نتائج بحثه عن جزر الأندمان. فقد خصص بعض الفصول ـ كما رأينا ـ لوصف الحقائق، ثم أتبعها بعد ذلك بفصلين لتفسير الحقائق التي قام بوصفها في الفصول السابقة.

٢ ـ رفض استخدام التاريخ الظني (٢٥): أوضح راد كليف براون موقفه صراحة بالنسبة للتركيبات الافتراضية the hypothetical reconstructions of the past وهو يؤكد أن التاريخ الظني لا يمكن أن يعطينا أية نتائج ذات أهمية حقيقية تساعدنا على فهم الحياة الانسانية والثقافية (٢٦). ويلاحظ أن مالينوسكي يتفق مع راد كليف براون بالنسبة لنبذ استخدام التاريخ الظني.

(٢٥) Ibid, p. 229

(٢٦) Ibid, p. vii.

٣ ـ عدم دراسة الجنس: لم يقم راد كليف براون بدراسة أفكار الاندمانيين المتعلقة بالجنس Sex، وبذلك وكما يقول هو نفسه، فقد ترك فراغاً كبيراً في الكتاب نتيجة لذلك. فالأهالي كانوا يبدون حياء شديداً عند حديثهم مع المستوطنين من البيض، ويحرصون على تجنب أية أشارة إلى المسائل الجنسية Sexual matters. كما يعترف صراحة أنه ـ أثناء إقامته بالجزر ـ لم يستطع أن يتبين مدى الأهمية البالغة لمعرفة أفكار الشعوب البدائية عن المسائل الجنسية لفهم عاداتهم.

وسوف نرى، في الفصول التالية، أن كثيرا من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد أبدوا أهتماما زائدا بدراسة سوسيولوجيا الجنس في المجتمعات البدائية. ومن هؤلاء العلماء نذكر ب. مالينوسكي في كتابه *The Sexual Life of Savages* وريموند فيرث في كتابه *We, The Tikopia*.

٤ ـ التعرف على أحدث النظريات: يدعو راد كليف براون الباحثين الحقليين أن يكونوا دائما على معرفة بأحدث النظريات في علم الاجتماع (٢٧). وهو يشير إلى البعض من الباحثين الذين يتوجهون لإجراء بحوثهم الحقلية دون أن يكونوا على علم بأحدث النظريات، وتكون النتيجة أنهم قد يهملون تسجيل بعض النقاط التي تهم المشتغلون بالنظرية السوسيولوجية.

(٢٧) Ibid, p. 231

ثالثا ـ عرض لبعض نتائج الدراسة

١ ــ الزواج (٢٨)

عندما يلاحظ والدى الفتى أنه متعلق بفتاة معينة ، فإنهم يأخذون على عاتقهم إتمام زواجه بها . وهم يبدءون بإيفاد رسول إلى أسرة الفتاة لمفاتحتها فى هذا الموضوع .

وبعد أن يصل الطرفان إلى اتفاق فى هذا الشأن تتبادل الأسرتان الهدايا، كما يتم تحديد ليلة الزفاف .وفيما يلى وصف لهذه الحفلة فى جزيرة الاندمان الكبرى :

يقوم الأهالى بإيقاد المشاعل فى ساحة الرقص حتى يستطيع أفراد الجماعة مشاهدة الحفلة. وتجلس العروس على سجادة فى طرف الساحة ، كما يجلس بالقرب منها أهلها وصديقاتها. أما العريس فإنه يجلس بين أهله وأصدقائه فى الطرف الآخر من الساحة .

ثم ينهض أحد الرجال، وهو يكون عادة من المسنين الذين يحظون باحترام كبير من جانب أفراد الجماعة، ويخاطب العروس مذكرا إياها بما يجب عليها نحو زوجها ، إنها يجب أن تكون صالحة ووفية لزوجها ، كما يجب عليها كذلك أن تراقب زوجها حتى لا يجرى وراء غيرها من النساء . ثم يتجه الرجل المسن بعد ذلك إلى العريس ويوجه إليه عدة نصائح ، تماما كما فعل مع الزوجة .

وبعد ذلك يمسك بيد العريس ويقوده ليجلس بجوار عروسه. وعندئذ يبكى الاهالى والأصدقاء بصوت مرتفع (٢٩)، كما يبدو الخجل الشديد على العروسين .

---

(٢٨) Ibid, p.p. 70—74.

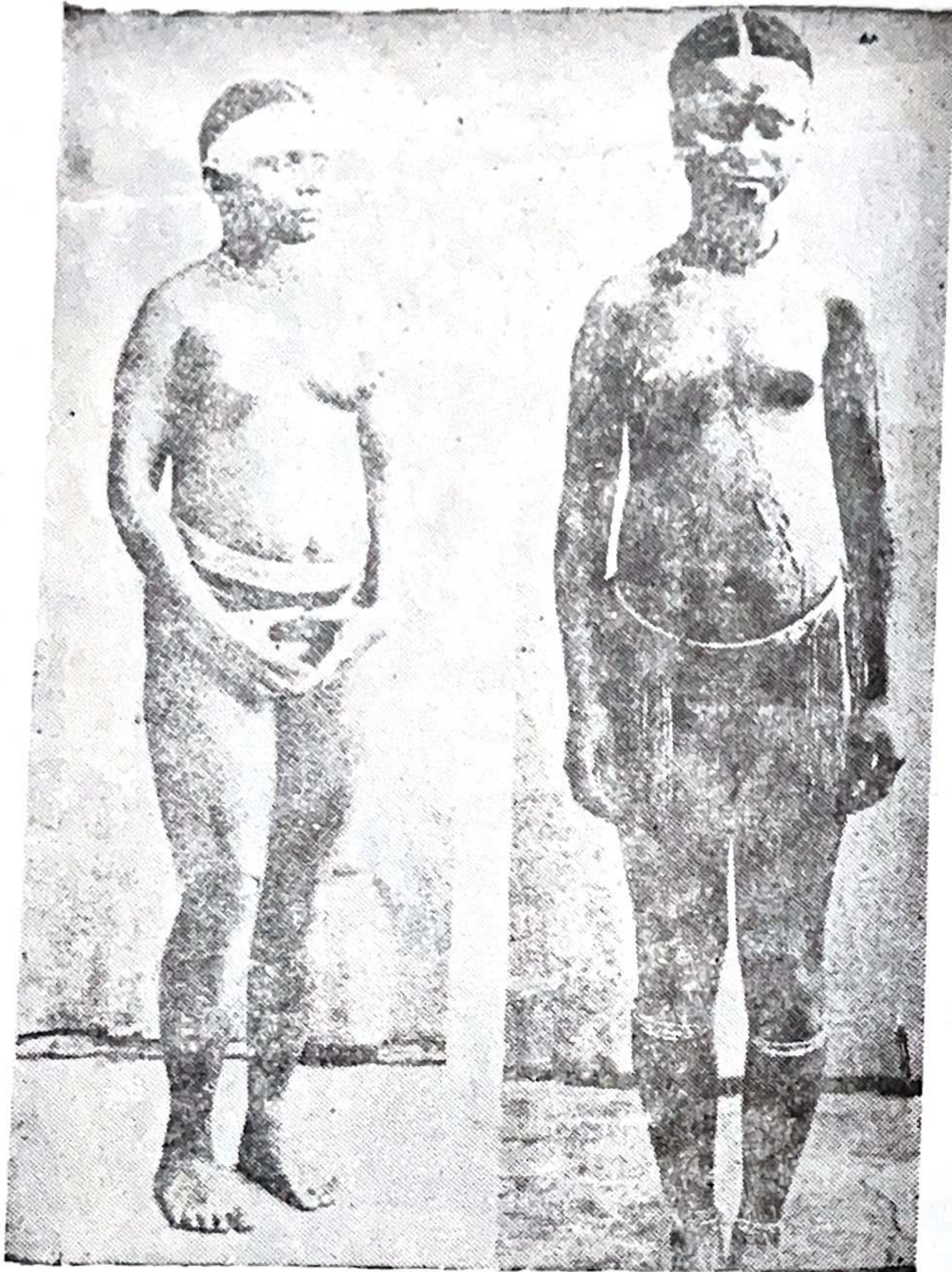
(٢٩) من دراسته لمجتمع الأندمانيين ، يخلص راد كليف براون إلى القول بأن بكاء =

وفى تلك اللحظة يكون خجل العريس شديدا لدرجة أنه كثيرا ما يحاول الفرار من جانب عروسه ، إلا أن أهله وأصدقاءه سرعان ما يمسكون به ويمنعونه من القيام بذلك . وبعد مرور بضعة دقائق يأخذ الرجل المسن يد العريس ويضعها حول عنق العروس ، كما يأخذ يد العروس ويضعها حول عنق العريس . وبعد مرور عدة دقائق يقترب الرجل المسن من العريس ويجعله يجلس على حجر عروسه عدة دقائق ثم تنتهى الحفلة بعد ذلك . ويتجه العروسان، وهما فى حالة من الخجل الشديد إلى الكوخ الجديد الذى تم إعداده لهما بمناسبة زواجهما. وفى اليوم التالى لحفلة الزفاف ،يقوم أصدقاء العروسين بتزيينهما بالطين الأبيض، كما أنهم يقدمون لهما الهدايا والطعام خلال الأيام الأولى للحياة الزوجية .

ويذكر راد كليف براون أن الانحلال الخلقى بين المتزوجات ، وقت اجراء البحث ، كان شائعا جدا ، كما أن أفراد المجتمع أنفسهم لا يبدون اهتماما كبيرا لذلك . فإذا أكتشف الزوج أن زوجته على علاقة برجل آخر ، فإنه يتشاجر معها ، لكنه لا يلبث أن يصفح عنها بعد ذلك. ونحن عند دراستنا لهذه الظاهرة، أى ظاهرة الانحلال الخلقى، يجب أن نأخذ فى الاعتبار الدور الخطير الذى قامت به مستعمرة المجرمين فى إفساد أخلاق الاهالى .

= الأقارب والأصدقاء ، فى عديد من المناسبات ، إنما يعتبر جزءا جوهريا من شعائرهم؛ فعندما يموت أحد الأهالى، فإن أهله وأصدقاءه يبكون . وعندما يقومون باستخراج عظام المتوفى من القبر ، فى نهاية فترة الحداد ، فإنهم يبكون أيضا . وهم يبكون كذلك أثناء حفلة الرقص التى تقام بمناسبة انتهاء فترة الحداد. وفى حفلات الزواج ، يبكى أقارب وأصدقاء العروسين. وعندما يتقابل صديقان أو قريبان ــ كانا قد افترقا عن بعضهما لعدة أسابيع ــ فإن أحدهما يجلس على حجر الآخر، كما يطوق كل منهما رقبة الآخر بذراعه وينخرطان فى البكاء لمدة دقيقتين أو ثلاث دقائق حتى يحل بهما التعب .

ويرى راد كليف براون أن الفرد ، فى كل هذه المناسبات ، يبكى بكاء حقيقيا real weeping . وهو يذكر أنه ــ ذات مرة ــ طلب من بعض الأهالى أن يفسروا له ذلك فما كان منهم إلا أن جلسوا على الأرض وبكوا بصوت عال ، كما انهمرت الدموع من عيونهم بغزارة . أنظر : Ibid. p.p. 116-117.



صورة رقم/١٢
امرأة متزوجة ، وقد ظهرت آثار تشريط الجلد على جسمها

صورة رقم/١٣
امرأة تضع الطين على جبهتها علامة على الحزن

٢ — الموت وشعائر الجنازات (٣٠)

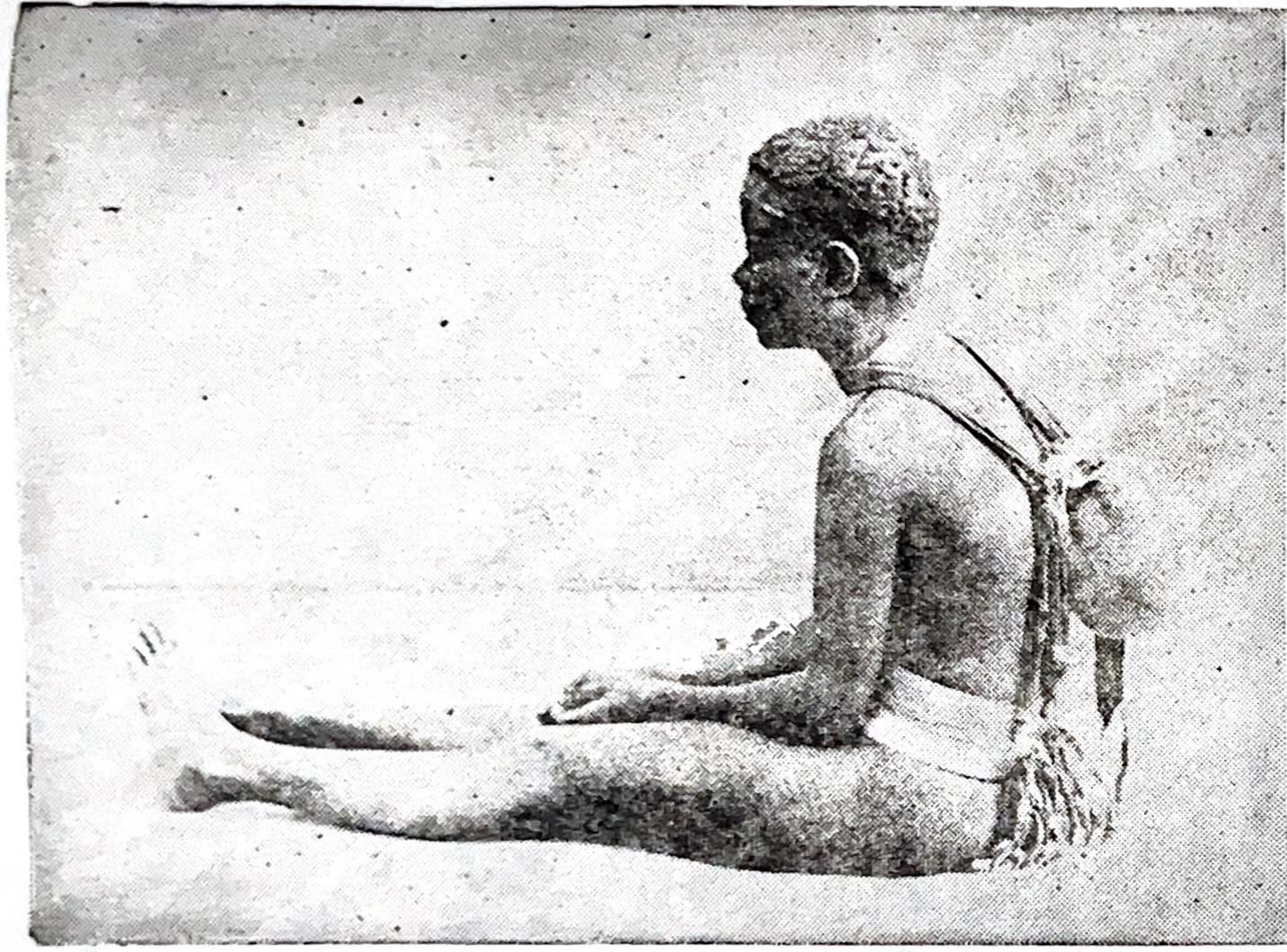
تعتقد القبائل التى تعيش فى جزيرة الاندمان الكبرى أن الأرواح the spirits التى تعيش فى الغابات والبحار هى التى تسبب المرض للإنسان .

وعندما يموت أحد من الاهالى ، فإن خبر الوفاة سرعان ماينتشر وتتجمع النسوة حول الجثة ويبكين بصوت مرتفع . حتى إذاما حل بهن الإعياء من شدة البكاء ، فإنهن ينصرفن من الكوخ . ثم يدخل الرجال ويجلسون حول الجثة وينخرطون فى البكاء . ويقوم جميع البالغين من أفراد المجتمع بتلطيخ أجسامهم بنوع معين من الطين ، كما يضع أقارب المتوفى وأصدقاؤه المخلصون بعضا من الطين فوق رءوسهم .

وإذا توفى أحد أفراد الجماعة وهو فى ريعان الشباب ، بعد مرض قصير ، فإن أقاربه وأصدقاءه ينتابهم الغضب الشديد من جراء ذلك . وهم يعبرون عن ذلك بطرق شتى . فالبعض منهم يطلق سهامه فى كافة الاتجاهات . كما يقوم البعض الآخر بتوجيه اللعنات إلى الأرواح التى يعتقدون أنها السبب فى وفاة صديقهم . وفى إحدى القرى بلغ الغضب بالأهالى أشده لوفاة قريب لهم ، فقاموا بقطع إحدى أشجار جوز الهند التى كانت تنمو فى قريتهم .

ويذكر راد كليف براون أن العادة قد جرت عندهم على دفن الميت فى نفس اليوم الذى تحدث فيه الوفاة . وإذا أجل الدفن لصبيحة اليوم التالى ، فإن جميع أفراد الجماعة يجب أن يظلوا مستيقظين طول الليل يبكون ويترنمون الترانيم الحزينة .

(٣٠) bid p.p. 106—113.



صورة رقم/١٤
فتاة تلبس جمجمة أختها .

ذلك أنهم يعتقدون أن الترانيم تطرد الأرواح التى سببت الوفاة من المنطقة .

ولإعداد الجثة للدفن تقوم بعض النسوة بنزع جميع الحلى منها . كما يحلقن شعر الرأس ويزين الجسم بعمل خطوط رفيعة من الطين الأبيض وخطوط من طلاء أحمر اللون(١٩) . ثم تثنى الساقان والذراعان بحيث تكون الركبتان تحت الذقن. كما تكون قبضتا اليدين ملاصقتين لخدى المتوفى. وبعد ذلك تلف الجثة فى حصيرة، ثم تربط الحصيرة بقطع من الحبال . ولكن قبل أن تربط الحبال يقوم أقارب المتوفى وأصدقاؤه بإلقاء نظرة أخيرة عليه .

ثم يقوم أفراد الجماعة بحمل الجثة بحيث تكون مدلاة فوق ظهره ويسير ومعه جميع أقارب المتوفى وأصدقاؤه إلى المكان الذى أختير للدفن . ويلاحظ أن النساء فى جزر الأندمان لا يسمح لهن بالاشتراك فى دفن الموتى .

وهناك طريقتان للدفن :

ا — الدفن فى الأرض

ب — الدفن فوق الأشجار

ويذكر راد كليف براون أن طريقة الدفن فوق الأشجار لا تحدث إلا إذا كان المتوفى شابا أو فتاة فى مقتبل العمر . وبالنسبة للدفن فى الأرض ، فقد جرت العاده ألا يستخدم القبر إلا مرة واحدة فقط . كما يلاحظ كذلك أنه لا توجد هناك مناطق مخصصة لدفن الموتى. والطريقة المتبعة فى الدفن فى الأرض هى كما يلى:

---

(٢٩) لاحظ مالينوسكى أيضا أن الأهالى فى جزر التروبرياند يقومون بتزيين جثث موتاهم . كما أنهم يقومون أيضا باستخراج بعض العظام من الجثة لاستخدامها فى أغراض مختلفة فالجمجمة تستخدم كوعاء ، أما العظم الفكى فإن زوجة المتوفى تلبسه حول رقبتها . انظر :

B Malinowski, *The Sexuol Life of Savages* (London. 1939), p. 133.

تحفر حفرة يتراوح عمقها بين ثلاثة وأربعة أقدام . ثم تقطع الحبال المربوطة وتوضع الجثة فى القبر على جانبها الأيمن وفى اتجاه الشرق . ويعتقد الأهالى أنهم إذا لم يراعوا ذلك فإن الشمس سوف تنقطع عن الشروق ويعم الكون الظلام . ويضع الأهالى تحت رأس المتوفى قطعة من الخشب ، كما توضع قطعتان من الخشب أيضا عند جانبيه . وفى بعض الأحيان يضعون فى القبر أيضا بعض ممتلكات المتوفى مثل عقده وحزامه ، وبعد ذلك يهيل الأهالى التراب فوق الجثة ، ثم يوقدون ناراً بجوار القبر . كما يضعون هناك إناء به ماء .

وبعد الانتهاء من دفن الميت ، يعود الأهالى إلى معسكرهم ليأخذوا ممتلكاتهم منه ، ثم يهجرونه إلى منطقة أخرى حتى تنتهى فترة الحداد ، وفى أثناء تلك الفترة يستمر أهل المتوفى فى تلطيخ أجسادهم بالطين ويمتنعون عن الرقص واستخدام الطلاء الأحمر للزينة . كما أنهم يمتنعون أيضا عن أكل بعض الأطعمة مثل الترسة ولحم الخنزير وأنواع معينة من الأسماك . وتستمر فترة الحداد عدة شهور ، وإن كانت مدتها تختلف من حالة إلى أخرى ، وفى جميع الأحوال يجب أن تكون الفترة كافية حتى يتحلل الجسد كلية ولا يبقى من الجثة إلا العظام فقط .

وتتلخص إجراءات إنهاء فترة الحداد فيما يلى :

ا ــ حفر القبر وإخراج عظام الميت منه .

ب ــ إقامة حفلة رقص يشترك فيها جميع أهل المتوفى .

ويجب على الأشخاص الذين يقومون بإخراج العظام أن يلطخوا أجسامهم بالطين . وبعد إخراجها من القبر يقوم الأهالى بغسلها فى البحر ثم يعودون بها إلى معسكرهم . وعندما يصلون إلى القرية تستقبلهم النسوة بالبكاء والعويل .

وبعد ذلك يقوم أهل المتوفى بتزيين الجمجمة the skull والعظم الفكى jaw bone بطلاء أحمر وطين أبيض ، كما يعمل لكل منها رباط حتى يمكن أن تلبس حول الرقبة إما من الأمام أو من الخلف . والصورة رقم/١٤ تبين إحدى الفتيات وهى تلبس جمجمة أختها حول عنقها . أما بقية العظام الأخرى ، فإنها تطلى باللونين الأحمر والأبيض وتحتفظ فى داخل الكوخ . ومن فوائد هذه العظام أنها تستخدم للوقاية من الأمراض وكذلك لعلاجها . فمثلا إذا مرض أحد الأهالى بصداع فإنه يضع بعض هذه العظام فوق رأسه .

وبعد إخراج العظام من القبر وتزيينها ، تقام حفلة رقص فى المساء . وفى هذا الاحتفال يزيل أهل المتوفى الطين من فوق أجسامهم ، ثم يطلونها باللونين الأحمر والأبيض . ويستمر الأهالى فى الغناء والرقص حتى مطلع الفجر . وبعد الانتهاء من هذه الحفلة يتحلل أهل المتوفى من كل المحرمات الخاصة بفترة الحداد .

٣ — الأساطير (٣٠)

يوجد لدى سكان جزر الأندمان مجموعة من الأساطير legends ، وهم يرددونها وينقلونها من مكان إلى مكان ومن زمن إلى زمن .

ولقد قام راد كليف براون بتسجيل بعض هذه الأساطير التى رواها له المخبرون من الأهالى. وهو يذكر أنه قد صادفته عدة صعاب أثناء قيامه بهذه العملية . ومن الصعوبات التى كانت تحول بينه وبين تقديم رواية واضحة أن الأسطورة الواحدة يكون لها أكثر من رواية version ، وكل رواية تختلف قليلا عن الرواية الأخرى . وإلى حد ما ، تكون هذه الاختلافات محلية . فكل قبيلة لها أساطيرها الخاصة بها بل ان أقسام القبيلة الواحدة قد يكون لها أساطير مختلفة أيضاً . وعلاوة على هذه الاختلافات المحلية . فهناك أيضا الاختلافات الفردية . فإذا قام اثنان من قبيلة واحدة برواية إحدى الأساطير ، فإن كلمات كل منهما تختلف عن كلمات الآخر ،كما أننا نجد ، إلى حد ما،أن كل منهما يرتب وقائع القصة بطريقة تخالف طريقة الآخر .

ومن دراسة رادكليف بروان للأساطير الأندمانية ، نجد أنها تدور حول موضوعات مختلفة ، نذكر منها :

— أصل الجنس البشرى .

— أصل الشمس .

— كيفية حصول الأسلاف الأولين على النار .

(٣٠) Ibid, p.p. 186—228.

— الموت .

— الليل .

— الوحوش والطيور والأسماك .

— تشريط جلد الانسان Scarifying the skin.

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الأسطورة الأندمانية تتسم بالميل إلى المبالغة تارة وإلى الإعجاز تارة أخرى ، كما أنها فى كثير من الأحيان تتخذ أبطالها من الحيوانات والطيور .

وسوف نعرض فيما يلى لبعض الأساطير عن أصل الجنس البشرى والحيوانات والطيور الأسماك والجريمة والصخور .

١ — أساطير عن أصل الجنس البشرى :

تقول إحدى الروايات : , كان الإنسان الأول يسمى Jutpu . وقد ولد فى داخل عقلة غابة هندية كبيرة bamboo ، تماما كما يخرج الطائر من البيضة . فلقد انشقت الغابة وخرج منها طفل صغير . وعندما أمطرت السماء بنى لنفسه كوخا صغيرا وعاش فيه كما أنه صنع لنفسه أقواسا وسهاما صغيرة . وكلما كبر الطفل بنى كوخا أكبر كما صنع أيضا أقواسا وسهاما أكبر . وذات يوم عثر على قطعة من الصوان ، فقام بتشريط جلده بها .

ولما كان Jutpu وحيدا ويعيش بمفرده ، فقد أخذ بعضا من الطين من عش للنمل الأبيض وصبه على هيئة امرأة ،وبعد قليل دبت الحياة فى التمثال وأصبح امرأة فعلا . فقام Jutpu بالزواج منها وسماها Kot ،

كما صنع Jutpu بعد ذلك أشخاصا آخرين من الطين . وهؤلاء هم أجداد الأندمانيين ancestors . ولقد علمهم Jutpu كيفية صناعة القوارب والأقواس والسهام وكذلك صيد الحيوانات والأسماك .

كما قامت Kot ، زوجة Jutpu ، بتعليم النساء كيفية صنع السلال وشباك الصيد والحصير والأحزمة وكذلك كيفية استخدام الطين لتزيين الجسم .

كما يوجد لدى بعض القبائل روايات مختلفة لأسطورة تذكر أن «المونيتور ليزرد the monitor lizard وهو نوع من السحالي ، هو الجد الأعلى the progenitor لكل الأندمانيين . أما كيف نشأ «المونيتور ليزرد» نفسه ، فإن جميع الروايات المختلفة للأسطورة لم تتعرض لذلك :

«في يوم من الأيام ، عندما كان سير مونيتور ليزرد Sir Monitor lizard أعزبا ، توجه إلى الغابة لصيد الخنازير . ثم تسلق شجرة ، إلا أنه لم يلبث أن لزق فيها ولم يستطع الخلاص منها . فحضرت إليه قطة وخلصته من الشجرة وساعدته على النزول إلى الأرض . فقام سير مونيتور ليزرد بالزواج من القطة وأنجب منها عددا من الأطفال . وهؤلاء الأطفال هم الأسلاف الأولون.

وتبين الأسطورة التالية أيضا كيفية حصول سير مونيتور ليزرد على زوجة :

« كان سير مونيتور ليزرد هو الجد الأول لكل الأندمانيين . وفي البداية لم يكن لديه زوجة . وذات يوم ، بينما كان يقوم بصيد الأسماك وجد قطعة من الخشب الأسود . فأخذها معه إلى كوخه ، ووضعها على منصة فوق النار . ثم جلس بجوار النار وبدأ يصنع لنفسه سهما . ونظرا إلى أنه كان مكبا على عمله ، فإنه لم يلاحظ ما كان يحدث بجانبه في ذلك الوقت . وبعد قليل سمع شخصا يضحك فنظر أمامه ، لقد تحولت قطعة الخشب إلى امرأة !! . فنهض سير مونيتور ليزرد

من مكانه وأنزلها من فوق المنصة وجلس بجوارها . وبعد ذلك تم الزواج بينهما وأنجبا كثيرا من الأطفال » .

كما تبين هذه الأسطورة أيضا نشأة المرأة الأولى في مجتمع الأندمان وزواج سير مونيتور ليزرد :

« في بداية الأمر كان كل الموجودين بالجزر رجالا فقط ، ولم يكن هناك نساء . وذات يوم حضر إلى المنطقة رجل يسمى Kolotat ليعيش فيها . فأمسك به سير مونيتور ليزرد وقطع أعضاءه التناسلية ، وحوله إلى امرأة . ثم تزوجها بعد ذلك وأنجب منها عددا من الأطفال . هؤلاء الأطفال هم الأجداد الأولون » .

ب ـ أساطير عن نشأة الحيوانات والأسماك والطيور :

تبين الأسطورة التالية نشأة الطيور والأسماك :

« ذات مرة ، غضب « سير برون Sir Prawn » (الجمبري) وقذف النيران على الناس (الأجداد) فتحولوا جميعا إلى طيور وأسماك . وقد طارت الطيور إلى الغابة ، أما الأسماك فإنها قفزت إلى البحر » .

والرواية التالية تشبه الرواية السابقة إلى حد كبير:

« بينما كان الناس نياما ، حضر Sir Sea—eagle وألقى عليهم النيران فهبوا مذعورين من نومهم وجروا في اتجاهات مختلفة . فأما الذين جروا إلى البحر فقد تحولوا إلى أسماك ، وأما الذين اتجهوا إلى الغابة فقد تحولوا إلى طيور » .

كما تبين هذه الأسطورة أيضاً نشأة الحيوانات والأسماك والطيور :

« فى أيام السلف الأولين توجه Sir Tree-lizard (Kolwot) إلى اجتماع كبير عقد فى الجزر . فقرر أن يقيم حفلة راقصة كبرى ودعا لحضورها جميع الناس الموجودين بالبلاد . وفى أثناء تلك الحفلة ، رقص Kolwot كثيرا حتى بدأ يتهيج . وحيث أنه كانت لديه قوة بدنية خارقة ، فقد انتاب الناس الرعب وحاولوا أن يمسكوا بذراعيه . الا أنه غضب منهم ودفعهم بشده بعيدا عنه . فسقط بعضهم فى الماء ، وهؤلاء تحولوا إلى أسماك . أما الباقون فقد سقطوا فوق عدة جزر وتحولوا إلى طيور وحيوانات . وأخيرا حضر Berep (نوع من الكبوريا) وأمسك بذراعيه حتى هدأت ثورته » .

ج — أسطورة عن وقوع أول جريمة قتل :

« كان Sir Crow (الغراب) هو أول من ظهر من الأندمانيين . وقد عاش مع زوجته Lady Dove (الحمامة) . وكان له صديق غير متزوج يدعى Sir Hawk (الصقر) . ولقد كان ذلك الصديق يحسد Sir Crow على زوجته ، وقرر أن يأخذها منه . ولما علم Sir Crow بذلك غضب غضبا شديدا وذهب إلى الغابة واختبأ هناك . وبعد قليل شاهد Sir Hawk يسير مع زوجته فى الطريق فأمسك Sir Crow قوسه وسهامه وقتلها » .

د — أسطورة عن كيفية تكوين الصخور القريبة من سطح البحر :

« وفى يوم من الأيام خرج الأهالى من بلدتهم فى قاربين وذهبوا ليصطادوا الترسة . وبينما كان الرجال غائبين عن البلدة ، قامت نساؤهم بإيقاد نار كبيرة فى فترة المساء . ولقد كان نتيجة لذلك أن القاربين وجميع الصيادين قد تحولوا إلى حجارة . وهكذا تكونت الصخور القريبة من سطح الماء والموجودة هناك الآن » .

٤ - الملكية فى جزر الأندمان

تقوم الحياة الاقتصادية على فكرة الملكية الفردية private property ، وإن كانت فى الواقع تقترب من نوع من الشيوعية Communism . والأرض land هى الشىء الوحيد المشاع بين أفراد الجماعة المحلية . بمعنى أن جميع أراضى الصيد الخاصة بالجماعة المحلية ملك للجماعة كلها ؛ وكل فرد من الجماعة له حق الصيد فى أى جزء من هذه الأرض .

ويوجد فى جزر الأندمان نوع من الملكية خاص بالشجر. فإذا شاهد أحد الرجال شجرة فى الغابة تصلح لبناء قارب له ، فإنه يصفها لأفراد الجماعة ويحدد موقعها ، ثم يخبرهم برغبته فى استخدامها لصناعة قارب له . وتعتبر الشجرة ، إعتبارا من هذا الوقت ، ملكا له . وقد تمر عدة سنوات دون أن ينتفع بها ؛ ومع ذلك فإن أحدا من أفراد الجماعة لايستطيع أن يقطعها للاستفادة بها قبل الحصول على إذن منه بذلك .

ويعتبر الطعام ملكية فردية ، ويخص الشخص (ذكرا كان أو أنثى) الذى حصل عليه . فإذا ماسدد أحد الرجال سهمه نحو خنزير ، فإن الخنزير يكون ملكا . كذلك تعتبر « الترسة » أو السمكة الكبيرة ملكا للشخص الذى صادها بحربته أو بصنارته . وإذا تسلق أحد الرجال شجرة وأحضر قرصا من الشهد ، فإن القرص يعتبر ملكا له . وإذا قامت امرأة بصيد الجمبرى بواسطة شبكتها فإنه يكون ملكا لها .

وإذا صنع الرجل لنفسه سلاحا ، فإنه يعتبر ملكا له . وهو حر يتصرف فيه كيفما يشاء.

هذا ويهمنا أن نشير هنا كذلك إلى أن الزوج لايستطيع أن يتصرف فى الملكية الشخصية لزوجته دون أن يحصل منها على إذن بذلك .

ورغما من أن كل الملكية المنقولة تعتبر ملكية فردية، إلا أن سكان جزر الأندمان لديهم عادات تجعلهم يقتربون من الشيوعية . ومن هذه العادات نذكر عادة تبادل الهدايا بصفة مستمرة فيما بينهم . فمثلا إذا التقى صديقان ، بعد غياب طويل ، فإن أول شىء يقومان به هو تبادل الهدايا فيما بينهما . وحتى فى الحياة اليومية العادية للقرية ، نجد أن هناك تبادل مستمر للهدايا بين الأهالى . كما أننا نجد أن الفتى (أو الفتاة) قد يقدم « شيئا » إلى أحد المسنين ، دون أن يأخذ منه شيئا آخر مقابل ذلك (أو حتى يتوقع ذلك) . ولكن بين الأنداد فى السن ، نجد أن الشخص الذى يقدم هدية ، يتوقع أن يحصل على شىء مساو تماما فى القيمة من الشخص الذى تسلم هديته . ويرى الأهالى أن الشخص الذى يرفض طلبا لأحد الأفراد يعتبر خارجا على الآداب الحسنة للجماعة .

ورغما من أن الطعام food يعتبر ملكية فردية ، كما سبق وأشرنا من قبل، إلا أن أفراد المجتمع يرون أن الشخص الذى يوجد لديه طعام يجب عليه أن يقدمه إلى الأشخاص الذين ليس لديهم طعام . فالرجل المتزوج يحتفظ لنفسه بما يكفيه من الطعام ، ثم يقوم بتوزيع مايتبقى بعد ذلك على أصدقائه . وإذا ما اصطاد أحد الفتيان العزاب خنزيرا فإنه ينبغى عليه أن يقدم أحسن الأجزاء إلى المسنين من أفراد الجماعة . إن سكان جزر الأندمان يقدرون الكرم generosity وهم يعتبرون ذلك من أسمى الفضائل وأنبلها (٣) .

(٣) Ibid, p.p. 41 - 43



صورة رقم /١٥
ب. مالينوسكي

الفصل السادس

سكان جزر التروبرياند
برونسلاو مالينوسكى

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد برونسلاو كاسبار مالينوسكى فى سنة ١٨٨٤ بمدينة «كراكاو Cracow» فى بولندة (١) . وكان أبوه من طبقة النبلاء ويعمل أستاذا بالجامعة . وفى سنة ١٩٠٨ حصل مالينوسكى على درجة الدكتوراه فى الطبيعة والرياضيات (٢) .

غير أنه مالبث أن قرر أن يغير مجرى حياته، فترك دراسة الطبيعة والرياضيات واتجه لدراسة الأنثروبولوجيا . وهو نفسه يذكر لنا أن قراءته لكتاب «سير جيمس فريزر Sir James Frazer» «الغصن الذهبى The Golden Bough» كانت من أهم العوامل التى أثرت فى حياته وجعلته يتجه لدراسة

(١) A. Kardiner and E. Preble, *They Studied Man* (A Mentor Book, 1963), p. 141.

(٢) Ibid.

الأنثروبولوجيا .

ورغما من الإعجاب الشديد الذى كان يبديه مالينوسكى نحو كتابات فريزر ، إلا أنه لم يتجه لدراسة الأنثروبولوجيا « من المكتبة From the library » كما كان يفعل فريزر .

وفى سنة ١٩١٠ توجه مالينوسكى إلى انجلترا للدراسة فى « مدرسة لندن للاقتصاد » The London School of Economies . وقد قضى هناك أربع سنوات دائبا على البحث والدراسة فى ذلك الميدان الجديد . وفى جامعة لندن تلقى مالينوسكى تدريبه فى الأنثروبولوجيا على يد الأستاذ سلجمان Seligman الذى كان يعتبر أعظم باحث حقلى Field worker فى ذلك الحين . كما تتلمذ مالينوسكى كذلك فى لندن على يد وستر مارك Westrmarck ، ريفرز Rivers ، هوبهوس Hobhouse (٣) .

وفى سنة ١٩١٤ سافر مالينوسكى إلى أستراليا . إلا أن الحرب العالمية الأولى مالبثت أن نشبت ، وكان لذلك أثره الكبير فى تقرير مجرى حياته العلمية . فقد قامت الحكومة الاسترالية باعتقاله حيث أنه كان نمساوى الجنسية . لكن مالينوسكى ، بدلا من أن يستكين للراحة ، تقدم للسلطات هناك يلتمس منها أن تسمح له بالقيام بأبحاثه الحقلية . وبالفعل تمت له الموافقة على طلبه ؛ بل إن الحكومة الاسترالية ساهمت أيضا فى التمويل الخاص بالبحث . وقد بقى

---

(٣) Ibid, p. 142

مالينوسكى فى استراليا مدة ستة سنوات (١٩١٤ — ١٩٢٠) وقام خلالها بدراسته المشهورة عن سكان جزر التروبرياند (٤) .

وفى سنة ١٩١٩ تزوج مالينوسكى فى مدينة ملبورن من « إلسى روسالين ماسون Elsie Rosaline Masson » وكان أبوها أستاذا للكيمياء بالجامعة فى أستراليا . وبعد زواجهما بفترة قصيرة ، غادرا استراليا وأقاما فى « كنارى أيلاندس Canary Islands » مدة سنة طلبا للراحة . ذلك أن مالينوسكى قد مرض مرضا شديدا فى أستراليا عندما بلغه خبر وفاة والدته التى كان يحبها حبا شديدا (٥) .

وفى سنة ١٩٢٤ عين مالينوسكى فى جامعة لندن ليقوم بتدريس الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وبعد ذلك بعدة سنوات (سنة ١٩٢٧) شغل مالينوسكى أول كرسى ينشأ للأنثروبولوجيا فى جامعة لندن (٦) .

وقد قام مالينوسكى بزيارة الولايات المتحدة عدة مرات (سنة ١٩٢٦ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٨) ودرس فى عدة جامعات بها . وقد ذاع صيته فى الدوائر العلمية هناك .

وفى مايو سنة ١٩٢٤ توجه مالينوسكى إلى جنوب إفريقية لحضور أحد المؤتمرات العلمية هناك . ثم قام بعد ذلك بجولة فى جنوب وشرق إفريقية

---

(٤) B. Malinowski, *Argonauts Of The Western Pacific* (New York, E. P. Dutton & Co - Inc., 1961), p. XiX,

(٥) Kardiner & Preble, p. 142.

(٦) R. Firth (Ed.), *Man And Culture*, (Routledge & Kegan Paul, London, 1968), p. 4.

استغرقت خمسة شهور درس خلالها قبائل السوازى ، البمبا ، الشاجا ، الماساى ، الماراجولى (٧) .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى قد حصل على الجنسية البريطانية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية (٨) .

وفى أثناء زيارته الأخيرة للولايات المتحدة ، نشبت الحرب العالمية الثانية ، فقرر مالينوسكى تأجيل العودة إلى انجلترا والبقاء للتدريس فى جامعة « يال yale » (٩) . وفى خلال عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ قام مالينوسكى بإجراء دراسة حقلية عن « الزابوتيك zapotec » فى المكسيك . وقد بلغت جملة الفترات التى قضاها هناك ، لإجراء تلك الدراسة الحقلية ، ثمانية شهور تقريبا .

وفى مايو سنة ١٩٤٢ توفى مالينوسكى فجأة فى نيوهافن بالولايات المتحدة بسبب نوبة قلبية (١٠) .

هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن كتب مالينوسكى كانت ممنوعة من التداول فى ألمانيا ، نظرا للعداء الشديد الذى كان يبديه نحو النازية .

كما يهمنا أن نشير هنا كذلك إلى أن مالينوسكى كان على صلة ، لعدة سنوات ، بالمعهد الدولى للغات والثقافات الإفريقية « the International Institute of African Languages and Cultures »

وجدير بالذكر أن ذلك المعهد قد بذل جهودا كبيرة للمساعدة فى إجراء

---

(٧) Ibid

(٨) Ibid, p. 13

(٩) Kardiner & Breble, p. 143.

(١٠) Ibid.



صورة رقم/١٦
فتاتان جميلتان من جزر التروبرياند

البحوث عن مشكلات الاستعمار والتغير الثقافى فى إفريقية (١١) .

ومن تلاميذه نذكر : ريموند فيرث ، لوسى مير ، س . ف نادل ، أ . ريتشاردز ، بورتيناى ، شابيرا . يقول إيفانز بريتشارد :

« لقد بدأ مالينوسكى يحاضر فى جامعة لندن سنة ١٩٢٤ . وكنت أنا والأستاذ فيرث — الذى يشغل الآن كرسى الأستاذية الذى كان يشغله مالينوسكى فى لندن — أول تلميذين يدرسان الأنثروبولوجيا على يديه فى ذلك العام . وفيما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٠ تتلمذ على يديه معظم الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الآخرين الذين يشغلون الآن كراسى الأستاذية فى بريطانيا العظمى والدومنيون . ونستطيع أن نقول بحق أن الدراسات الحقلية Field Studies الشاملة فى ميدان الأنثروبولوجيا الحديثة تدين - بطريق مباشر أو غير مباشر - إلى تعليمه ؛ فهو كان يؤكد ويصر على أننا لانستطيع أن نفهم الحياة الاجتماعية لأى شعب بدائى إلا اذا قمنا بدراستها دراسة مركزة ؛ كما أنه كان يؤكد أيضا أن القيام بدراسة حقلية مركزة واحدة على الأقل فى مجتمع بدائى يعتبر جزءا ضروريا من تدريب الأنثروبولوجى الاجتماعى » (١٢).

---

(١١) B. Malinowski, *The Dynamics of Culture Change*, (New Haven, Yale University Press, 1946). p. p. Vi - Vii.

(١٢) E, E., Evans-Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays*, (The Free Press, New york, 1966), p.p. 74 - 75.

أولا ـ لمحة عن جزر التروبرياند

تقع هذه المجموعة من الجزر شرق غينيا الجديدة(١٣). وهى تتكون من عدد من الجزر المرجانية تحيط بمستنقع كبير. وتربة الأرض خصبة، كما أن المستنقع غنى بالأسماك. ومن ثم فإن الأهالى يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك كما أنهم يشتغلون بالتجارة كذلك.

ويعيش الأهالى فى مجموعة من القرى. وتتكون كل قرية من عدد من الأكواخ يستخدم بعضها لسكن الأهالى، بينما يستخدم البعض الآخر كمخازن لليام yam. وفيما يلى وصف موجز لإحدى القرى(١٤). (شكل رقم/١). يوجد فى وسط القرية ساحة كبيرة ومستديرة تحيط بها حلقة ring من الأكواخ يستخدمها الأهالى لخزن اليام. كما يوجد أيضا خارج هذه الدائرة من مخازن اليام دائرة أخرى من الأكواخ يسكن فيها أهالى القرية. والمسافة التى بين الدائرتين تكون شارعا دائريا(١٥). ويستخدم الأهالى الساحة الموجودة فى وسط القرية للاحتفالات العامة، أما الشارع الدائرى، فإن الأهالى يقضون فيه أغلب أوقاتهم. فالنساء تعد الطعام هناك. وتتناول الأسر طعامها فيه أيضاً.. كما يشاهد الأهالى وهم جالسون يتجاذبون أطراف الحديث مع جيرانهم.

---

(١٣) B. Malinowoskj, *Argonauts of The Western Pacific*, P. xvi.

(١٤) القرية التى نصفها هنا هى قرية « أوماراكانا Omarakana »

(١٥) B. Malinowski, *The Sexual Iife of Savages* (London, 1639), p. 8.

وتسكن فى كل كوخ أسرة تتكون من الزوج والزوجة والأطفال الصغار ، أما البالغون فإنهم يقيمون عادة فى دور العزاب (١٦) . وبالنسبة لحكام القرى والأفراد من ذوى المكانة المالية ، فإنهم يبنون لأنفسهم أكواخا خاصة بهم علاوة على الأكواخ الخاصة بزوجاتهم .

وأرضية المسكن من الطين ؛ أما الأثاث فإنه غاية فى البساطة . فهو يتكون من عدد من الأسرة مصنوعة من الخشب ، وعدد من الأرفف لتضع عليها الأسرة شباك الصيد وأوانى طهى الطعام وغير ذلك من الأدوات المنزلية (١٧) . وفى العادة لا يستخدم الأهالى مساكنهم إلا البيت بها ليلا أو للاحتماء بداخلها فى ساعات سقوط الأمطار .

ومن الناحية الفيزيقية يتسم سكان تلك الجزر بالبشرة السمراء (١٨) والشعر المجعد . وأما بالنسبة للملابس ، فهم شبة عراه .

وبالنسبة لنظام الأسرة ، فإن النظام السائد هناك هو النظام الأمومى (١٩) . فالطفل ينتمى إلى عشيرة أمه ؛ وأما من حيث الميراث فإنه يرث خاله. والواقع أن علاقة الابن بأبيه tama تلفت النظر حقاً . فالأهالى لا يعترفون بوجود أية علاقة فسيولوجية بين الأب وإبنه ومن ثم فإنهم يرون أنه لا توجد علاقة قرابة بينهما . وبالرغم من ذلك فإن الأب يعيش مع أبنائه فى معيشة واحدة ويرعاهم فى حالات المرض كما أنه ينقذهم فى ساعات الخطر .

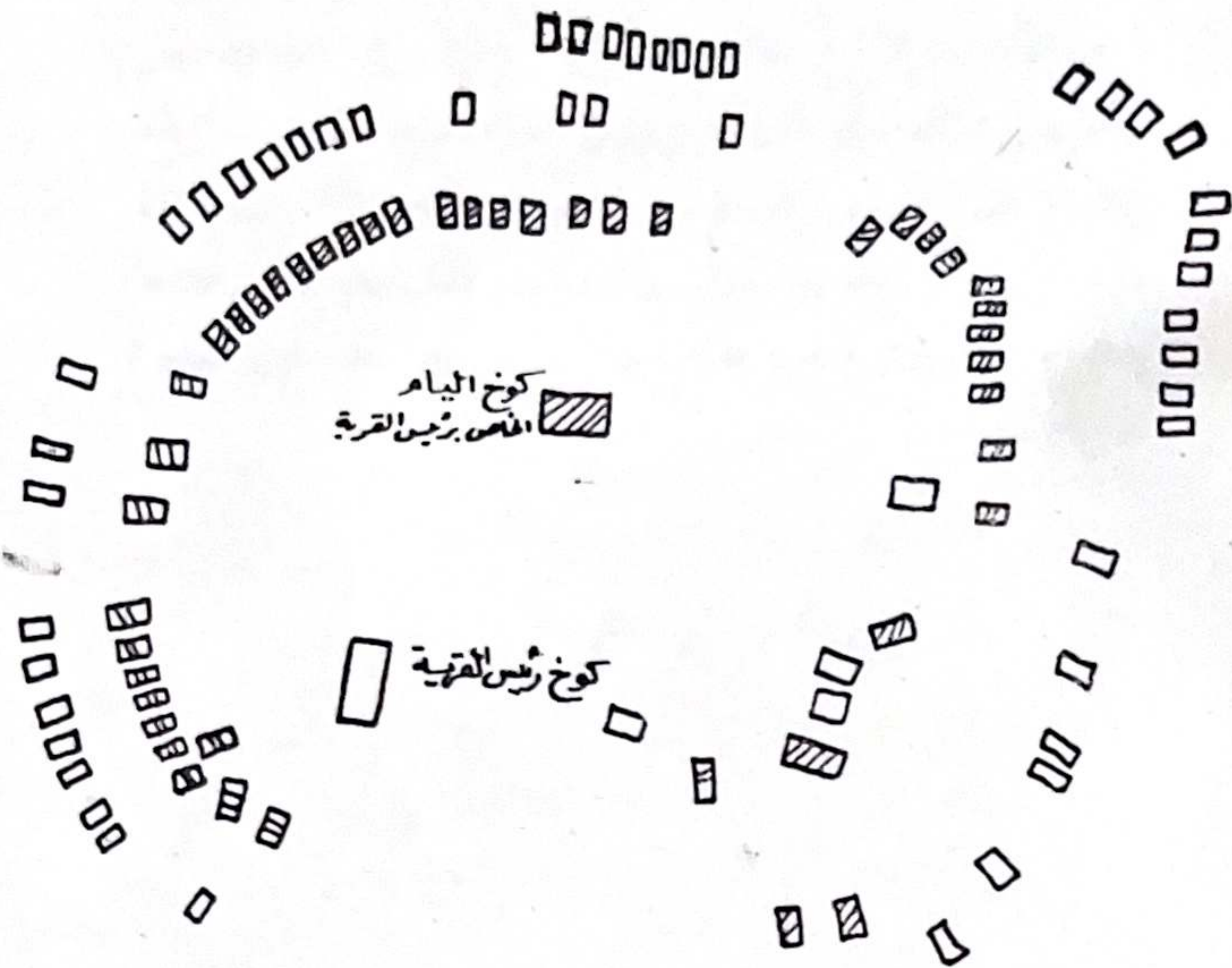
---

(١٦) Ibid, p. 61.

(١٧) Ibid, p. 18.

(١٨) *Argonauts* p. 18

(١٩) Ibid, p. 71.



شكل رقم ٧
قرية أوماراكانا

والعلاقات الجنسية تبدأ بين الجنسين فى سن مبكرة ، ومن ثم فإنه لا يوجد عذارى virgins بالمجتمع (٢٠) .

ويلعب السحر دوراً هاما فى حياة التروبرياندين . فهو ضرورى للزراعة ولحماية الأطفال وكذلك فى حالات الحب أيضا . وعلاوة على ما تقدم فإن السحر له أهميته فى صناعة السفن ، فهو لازم ليجعل السفينة سريعة وفى أمان . كذلك يعتقد الأهالى أن المرض والصحة والوفاة تنتج عن السحر (٢١) . ويذكر لنا مالينوسكى أن الرؤساء يستفيدون من قوة السحر للتغلب على أعدائهم فعندما يشك حاكم القرية فى وجود مؤامرات ضـــده ، فإنه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم .

(٢٠) Ibid, p. 53.
(٢١) Ibid, p. 77.

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — **تمويل البحث** : تلقى مالينوسكى منحا مالية من مصادر مختلفة هى : جامعة لندن، حكومة استراليا، الاستاذ سلجمان . وهو يذكر لنا أن سلجمان قدقدم له منحة مالية قدرها مائة جنيه، كما أنه قد أمده بآلة تصوير وفونوغراف وأدوات لقياس الجسم البشرى (٢٢) .

٢ — **قراءة ما كتب عن المنطقة** : قام مالينوسكى بالاطلاع على الأبحاث التى أجريت من قبل عن جزر التروبرياند . وهو يذكر لنا أنه قد استفاد بصفة خاصة من دراسات هادون وسلجمان عن المنطقة (٢٣) .

٣ — **التعرف على أحدث النظريات العلمية** : وعلاوة على الاطلاع على الدراسات السابقة عن المنطقة ، فإنه ينبغى على الباحث الحقلى أن يكون على معرفة تامة بأحدث النظريات فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية . فالباحث الحقلى، كما يرى مالينوسكى ، يعتمد كلية على النظريات العلمية . وهو يشير إلى أن نظريات فريزر ودوركايم وغيرهما من العلماء كانت دائما مصدر وحى وإلهام للباحثين الحقليين ، كما أنها قد قادتهم إلى الكثير من النتائج الجديدة .

٤ — **رفض استخدام التاريخ الظنى** : دعا مالينوسكى الباحثين إلى نبذ استخدام التاريخ الظنى . وهو فى هذه الناحية يتفق مع راد كليف براون .

٥ — **دراسة الأنثروبولوجيا الفيزيقية** : قبل سفر مالينوسكى إلى منطقة البحث ، قام ساحمان بتمويله بآلة تصوير وأدوات خاصة بقياس الجسم البشرى.

(٢٢) B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific*, p. XiX.

(٢٣) Ibid, p.p. 28 - 29.

وقد عرض لنا مالينوسكى فى تقاريره عن المنطقة عددا من الصور الفوتوغرافية للأهالى . إلا أننا نلاحظ أنه لم يقم بتضمينها قياسا للجسم البشرى . وقد قدم لنا إشارات موجزة عن الصفات الفيزيقية للأهالى ثم أحال القارىء الذى يرغب فى المزيد من المعلومات عن هذه الناحية إلى دراسات سلجمان عن المنطقة (٢٤) .

٦ — **مدة الدراسة الحقلية** : قام مالينوسكى بثلاث بعثات إلى غينيا الجديدة New Guinea . أما البعثة الأولى ، فقد قام بها فى الفترة من سبتمبر سنة ١٩١٤ حتى مارس سنة ١٩١٥ ، بناء على توجيه من أستاذه سلجمان . وقد قضى تلك الفترة أساسا فى جزيرة تولون Toulon Island . كما أنه قد قام خلال تلك البعثة أيضا بزيارة خاطفة إلى جزيرة وودلارك Woodlark Island.

وفى يونيو سنة ١٩١٥ غادر مالينوسكى استراليا متجها إلى جزر التروبرياند، وقد أقام بها حتى مايو سنة ١٩١٦ . ثم عاد مالينوسكى إلى تلك الجزر مرة ثانية فى أكتوبر سنة ١٩١٧ وظل بها حتى أكتوبر سنة ١٩١٨ . وبذلك يكون مالينوسكى قد قام ببعثتين الى جزر التروبرياند . وقد بلغت الجملة الكلية لفترة البحث الحقلى هناك عامين اثنين فقط (٢٥) .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى دراسة المادة التى جمعها من الميدان وكذلك فى الاطلاع على بعض الدراسات

(٢٤) Ibid, p. 28

(٢٥) R. Firth, *Man And Culture*, p. 77.



صوره رقم/١٧

مجموعة من الأهالى أمام كوخ أحد الزعماء فى قرية « أو مارا كانا » (على اليمين) . وقد ظهرت بالقرب منه الخيمة التى كان يقيم فيها مالينوسكى .

فى مجال تخصصه(٢٦) .

والذى لاشك فيه أن هذه البعثات الثلاث إلى غينيا الجديدة كان لها أثرها الكبير فى حياة مالينوسكى (٢٧) .

٧ — الاقامة فى قرى الأهالى : يرى مالينوسكى أنه يجب على الباحث أن يقيم فى قرى الأهالى وأن يبتعد قدر المستطاع عن الاختلاط بالمستوطنين من البيض . وهو يرى أن ذلك له فوائده العديدة . فكثير من آراء البيض كالمبشرين ورجال الإدارة والتجار تتسم بالتحيز . ومن ثم فهى لاتفيد الباحث فى كثير من الأحيان . وعلاوة على ماتقدم فإن شعور الباحث بالعزلة سوف يدفعه إلى الاندماج مع الأهالى وتكوين صداقات معهم ، وهذا بالتالى سوف يجعله على معرفة وثيقة بعاداتهم ومعتقداتهم .

٨ — إجراء الدراسة الحقلية بمفرده : لم يصطحب مالينوسكى فريقا من الباحثين عند ذهابه لإجراء البحث الحقلى فى جزر التروبرناند (كما هو الحال بالنسبة لبعثة جامعة كمبردج إلى مضايق توريس) ، كما أنه لم يصطحب معه زوجة (كما فعل سلجمان عند دراسته لقبائل جنوب السودان) ، وإنما نجد أنه قد ذهب بمفرده إلى هناك (تماما كما فعل رادكليف براون فى جزر الاندمان) . يقول مالينوسكى : (٢٨)

« Idid my work entirely alone»

---

(٢٦) Argonauts, p. xix

(٢٧) Robert Lowie, *The History of Ethnological Theory* (George G. Harrap & Co. Ltd, London, 1937), p 231.

(٢٨) *Argonauts* p. xvi

٩ — **وسيلة التخاطب مع الأهالى** : فى بداية الأمر استخدم مالينوسكى فى تخاطبه مع الأهالى Pidgin—English إلا أنه سرعان ماتبين أن ذلك لن يمكنه من التغلغل فى الحياة الاجتماعية وفهمها فهما سليما . ومن ثم فقد اتجه لدراسة لغة الأهالى ، واستخدمها فى التخاطب معهم (٢٩) . هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن مالينوسكى قد ضمن دراسته نصوصا عديدة بلغة الأهالى أنفسهم ، كما قدم الترجمة الانجليزية بجانبها .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى يتفق مع فرانز بواس فى هذه الناحية ؛ فهو (أى بواس) يصر على ضرورة إجادة الباحث الحقلى للغة المجتمع الذى يقوم بدراسته (٣٠) .

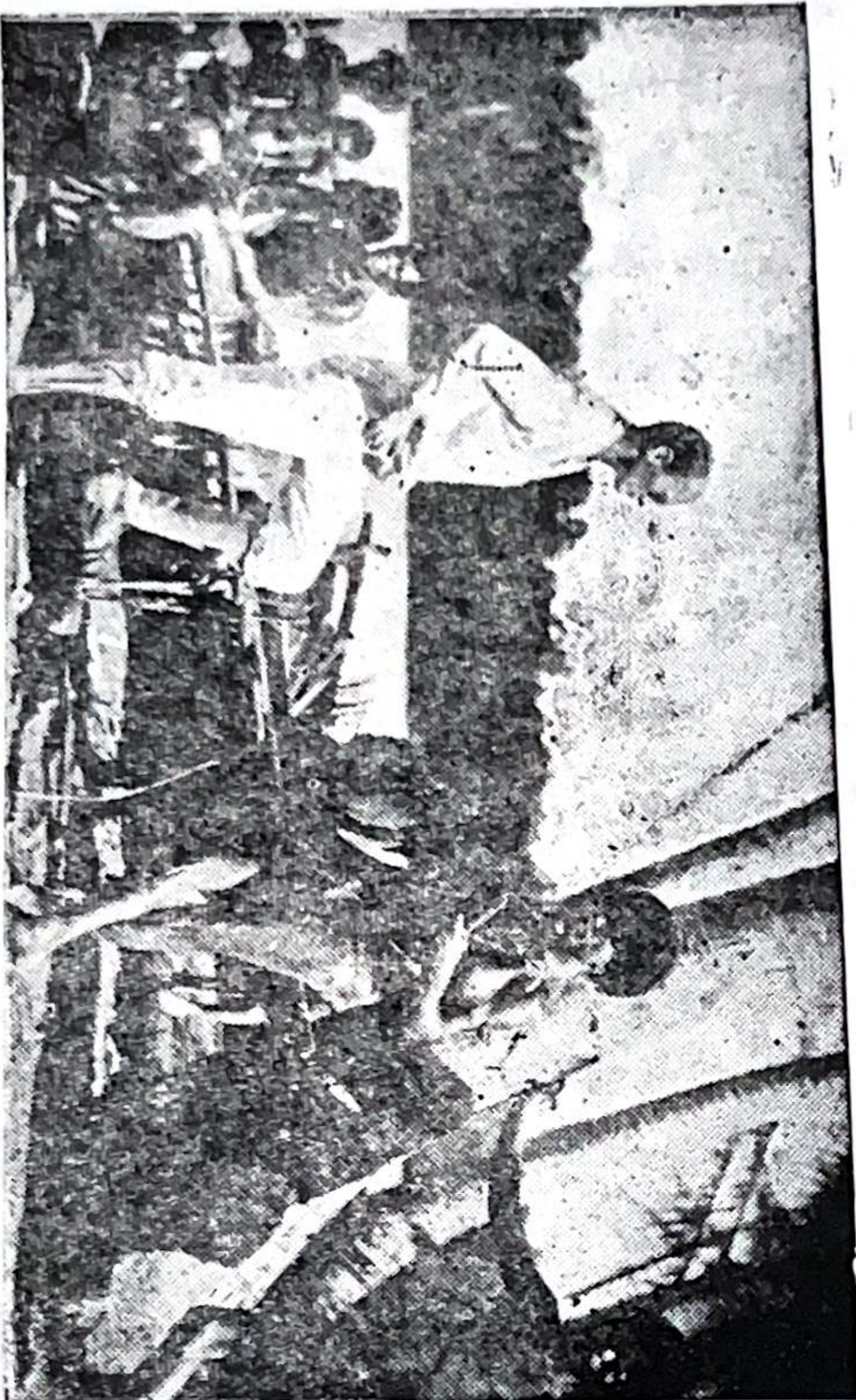
١٠ — **الملاحظة وأقوال المخبرين** : أشرنا من قبل إلى أن مالينوسكى قد أقام داخل قرى الأهالى أثناء فترة البحث الحقلى . وقد اعتمد أساسا فى جمع المعلومات على الملاحظة وتوجيه الأسئلة إلى المخبرين . وهو يحذر الباحثين الحقليين من الاعتماد فقط على أقوال المخبرين من الأهالى، بل يجب عليهم أن يتبعوا ذلك بالملاحظة حتى يمكن التأكد من صحة أقوال المخبرين وكذلك من مدى الفارق بين أقوالهم وبين السلوك الفعلى للأفراد . إن أقوال المخبرين قد تصف لنا النمط المثالى للسلوك ، لكنها قد لاتبين لنا حقيقة السلوك الفعلى للأفراد . ومن ثم فهو ينصح بأن يجمع الباحث دائما بين الملاحظة وتوجيه الأسئلة .

وعلاوة على ماتقدم ، فهو ينصح الباحثين الحقليين أن يقوموا أحيانا بوضع آلة التصوير والكراسة والقلم جانبا ، ثم يشتركون مع الأهالى فى

---

(٢٩) Ibid, p. xvi

(٣٠) R. Lowie, The History Of Ethnological Theory, p. 132



صورة رقم ١٨/
مالينوسكى يتحدث مع أحد المخبرين

أنشطتهم (كالألعاب والزيارات مثلا) . وهو يذكر لنا أنه كان يقوم بذلك فى كثير من الأحيان (٣١) .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن مالينوسكى قد استحال عليه فى بعض الأحيان أن يعتمد على الملاحظة كأداة لجمع البيانات ، واضطر إلى الاعتماد على أقوال المخبرين فقط . ومن الأمثلة على ذلك دراسته لحالات الانتحار (٣٢) التى حدثت فى الماضى وكذلك دراسته لبعض النواحى المتعلقة بالجنس (٣٣) .

ويرى مالينوسكى أنه يجب على الباحث أن يذكر لنا صراحة أى البيانات حصل عليها عن طريق الملاحظة وأيها قد حصل عليه عن طريق المخبرين(٣٤) .

١١ — الطريقة الجنيالوجية : كما استخدم مالينوسكى الجداول الجنيالوجية عند دراسة مصطلحات القرابة فى الأسرة ومدى انتشار بعض الظواهر بها . فمثلا نجده يقدم لنا جدولا جنيالوجيا لإحدى الأسر يوضح فيه مدى انتشار ظاهرة زواج الطفل من ابنة أخت أبيه (٣٥) .

١٢ — وسائل الايضاح : كما تدلنا الدراسة كذلك على أن مالينوسكى قد ضمن أبحاثه عن سكان جزر التروبرياند مجموعة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط . ولا شك أن ذلك كان له أثره الكبير فى توضيحها وتدعيمها .

---

(٣١) *Argonauts*. p. 21

(٣٢) *Crime and Custom in Savage Society*. p. 95

(٣٣) *The Sexual Life of Savages*. p. 238 & p. 282

(٣٤) *Argonauts*. p. 15

(٣٥) *The Sexual Life Of Savages*. p. 85

١٣ — نشر نتائج الدراسة : لم يقدم لنا مالينوسكى ، كما فعل بعض العلماء ، نتائج دراسته عن سكان جزر التروبرياند فى كتاب واحد . بل إنه نشر سلسلة من الكتب عالج فى كل واحد منها موضوعا رئيسيا (مثل النظام الاقتصادى ، الحياة الجنسية ، الجريمة . . . الخ) فى ضوء علاقاته بالحياة القبلية ككل **the tribal life as a whole**.

ومن هذه الكتب نذكر :

1 *Argonauts of The Western Pacific* وهذا هو أول كتاب نشره مالينوسكى عن سكان جزر التروبرياند . وقد ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، أى فى نفس السنة التى ظهر فيها كتاب رادكليف براون عن سكان جزر الاندمان . والموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب هو دراسة الاقتصاد فى أحد المجتمعات البدائية . ويتكون هذا الكتاب من مقدمة **Introduction** واثنين وعشرين فصلا . وقد أوضح مالينوسكى فى المقدمة (وهى بعنوان **The Subject, Method And scope of this Inquiry**) منهجه الذى اتبعه فى جمع البيانات من الميدان (٣٦) .

ويذكر لنا مالينوسكى أنه قد اعتمد — عند كتابة هذا الكتاب — على المادة التى قام بجمعها أثناء دراسته الحقلية عن الثقافة القبلية ككل . ذلك أنه يرى أن الجوانب المختلفة للمجتمع متشابكة بدرجة كبيرة بحيث أننا لا نستطيع أن نفهم جانبا واحدا منها دون أن نأخذ فى الاعتبار الجوانب الأخرى . وسوف يجد القارىء فى الكتاب بكل وضوح إشارات مستمرة للبناء الاجتماعى والسحر

---

(٣٦) *Argonauts*. p.p. 2—3

والميثولوجيا . الخ ، ورغما من أن الموضوع الرئيسى للكتاب إنما هو موضوع اقتصادى economic .

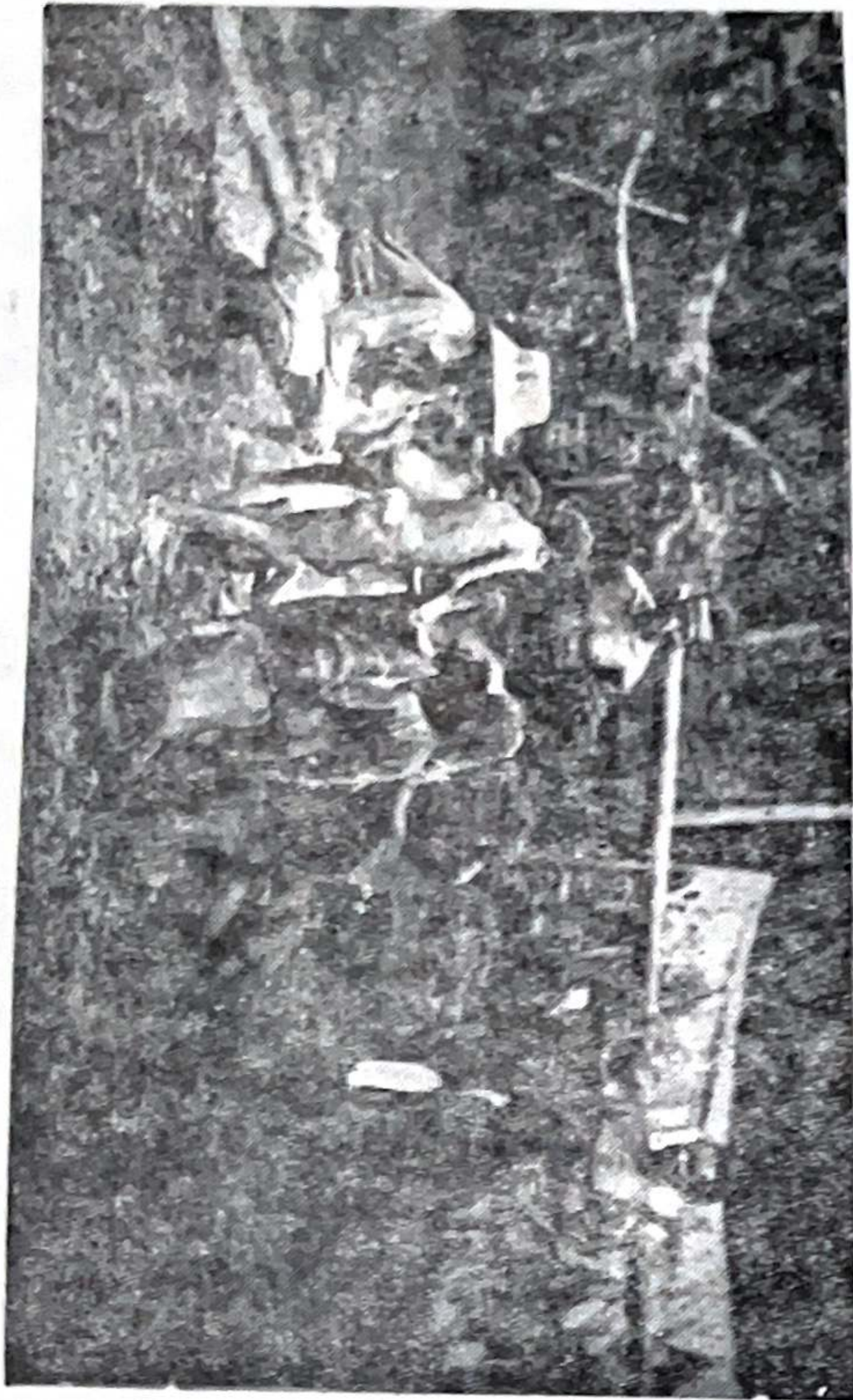
٢ ـ The Sexual Life Of Savages in North—Western Melanesia .

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٩ . ويحتوى الكتاب على أربعة عشر فصلا تبحث فى الحياة الجنسية . ومن هذه الموضوعات نذكر : العلاقة بين الجنسين ، منزلة المرأة ، الزواج ، الطلاق ، معتقدات الأهالى عن إنجاب الأطفال ، الحمل ، السحر الخاص بالحب ، الأحلام ، الأساطير . . الخ .

والواقع أن هذا البحث يعتبر دراسة علمية رائدة فى ميدان سوسيولوجيا الجنس Sociology of Sex . ولقد تبع مالينوفسكى فى هذه الناحية كثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ومن هؤلاء العلماء نذكر ريموند فيرث ، شابيرا ، مرجريت ميد (٢٧) .

ونحن إذا قارنا مالينوفسكى براد كليف براون فى هذه الناحية ، فسوف نجد أن راد كليف براون يعترف لنا صراحة بأنه كان سيىء الحظ لأنه لم يتمكن من دراسة الحياة الجنسية عند الأهالى فى جزر الأندمان . وهو يعلل ذلك بأسباب مختلفة . فالأهالى هناك ، مثلا ، كانوا يبدون حياء شديدا عند حديثهم مع الرجل الأبيض فى هذه الناحية . كما أن راد كليف براون لم يستطع —

(٢٧) R. Firth. We, The Tikopia (1936) ; I. Schapera, Married Life in An African Tribe (1939) ; M. Mead, Sex And Temperament In Three Primitive Societies (1950)



صورة رقم ١٩/ مالينوفسكى ومعه مجموعة من الأطفال

أثناء إقامته بالجزر أن يتبين مدى الأهمية البالغة لمعرفة أفكار الشعوب البدائية عن المسائل الجنسية .

٣ - *Crime and Custom in Savage Society*

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٦ . ويتكون هـذا الكتاب من قسمين رئيسيين . أما القسم الأول فقد خصصه المؤلف لدراسة القانون البدائى Primitive law والنظام order . أما القسم الثانى ، فقد خصصه لدراسة الجريمة والعقاب Punishment فى ذلك المجتمع.

٤ - *Coral Gardens and Their Magic*

يتكون هذا الكتاب من جزئين . وقد ظهر لأول مرة سنة ١٩٣٥ . وقد اهتم مالينوسكى فى هذا الكتاب بدراسة زراعة الحدائق والسحر .

ثالثا — عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

الانتحار

هناك وسائل مختلفة يلجأ إليها المنتحرون فى جزر التروبرياند . ومن هذه الوسائل نذكر : القفز من فوق قمم النخيل ، تعاطى السم الذى يستخرجه الأهالى من مرارة أنواع معينة من السمك ، تناول نباتات سامة. والسم الذى يستخرج من مرارة السمك لاشفاء منه ؛ فى حين أن النباتات السامة ليست مميتة ، ويمكن علاجها بتعاطى مواد مقيئة . ويذكر لنا مالينوسكى أن النباتات السامة كثيرا ماتستخدم فى حالات الخصام بين العشاق وكذلك فى حالات المنازعات الزوجية .

ويهمنا أن نشير هنا بشىء من الايجاز إلى بعض الأمثلة لحالات الانتحار فى ذلك المجتمع :

الحالة رقم ١ : ويحكى أن فتاة ، تدعى **Bomawaku** ، كانت مخطوبة لأحد الشبان هناك . لكنها كانت، فى نفس الوقت ، تعشق شابا من نفس عشيرتها clan . وكانت تلك الفتاة تلتقى بعشيقها فى بيت للعزاب دون أن تكترث بخطيبها . وذات يوم اكتشف خطيبها حقيقة الأمر ، فقام بسبها وإهانتها أمام الناس . وعلى أثر ذلك ارتدت الفتاة أبهى ثيابها وحليها وصعدت إلى قمة نخلة ، وهى تبكى بحزن وتصرخ بصوت مرتفع . ثم ألقت بنفسها من ذلك الارتفاع الشاهق وسرعان مالقيت حتفها (٣٨) .

---

(٣٨) *Crime and Custom in Savage Society*, p. 95

الحالة رقم ٢ : كان **Mwakenuwa** رجلا يتمتع بمكانة عالية فى المجتمع ، كما أنه كان مشهورا بقدراته السحرية الخارقة. كما يحكى عنه أيضا أنه كان متزوجا بعدة زوجات . غير أنه كان يحب إحدى زوجاته (وكانت تدعى **Isowa**) حبا شديدا . وذات يوم نشب خلاف حاد بينه وبين تلك الزوجة ، فقام بسبها بعبارات قاسية لا يجوز أن توجه من زوج إلى زوجته . ولم تحتمل الزوجة ذلك ، فصعدت على الفور إلى قمة نخلة وانتحرت انتقاما لكرامتها . وفى اليوم التالى — وبينما كان الأهالى يبكون حول جثة الزوجة المنتحرة — انتحر الزوج كذلك حزنا على موت زوجته . وقد وضع الأهالى جثته بجوار جثتها وأخذوا يبكونهما معا (٣٩) .

الحالة رقم ٣ : اتهم رجل زوجته بالزنى . فصعدت على الفور إلى قمة نخلة وانتحرت . ونتيجة لذلك فقد انتحر الزوج (٤٠) .

الحالة رقم ٤ : اتهمت زوجة زوجها بالزنى، فانتحر الزوج بواسطة السم (٤١) .

الحالة رقم ٥ : غادرت زوجة أحد الزعماء بيتها وهى غاضبة وتوجهت إلى قريتها . وعندما وصلت إلى هناك طلب منها أقاربها مغادرة القرية والعودة ثانية إلى زوجها . كما أنهم أيضا هددوها باستخدام القوة لإرغامها على ذلك . ولم تحتمل الزوجة ذلك الموقف من جانب أقاربها فتسلقت نخلة وانتحرت (٤٢) .

---

(٣٩) Ibid, p.p. 95-96

(٤٠) Ibid, p. 96

(٤١) Ibid.

(٤٢) Ibid, p. 97

الحالة رقم ٦ : سافر أحد الزعماء فى رحلة طويلة بعيدا عن القرية التى تعيش فيها زوجاته . وقد انتهزت إحدى الزوجات (وكانت تدعى **Bogonela**) فرصة غياب زوجها وأخذت تستقبل عشيقها فى كوخها . غير أن الزوجة الأكبر سنا للزعيم الغائب اكتشفت تلك العلاقة وأخذت تراقب الزوجة العاشقة . وذات ليلة سمعت (أى الزوجة الأكبر سنا) صوتا فى داخل كوخ الزوجة العاشقة ؛ فتوجهت إلى هناك وضبطت العاشقين معا . وسرعان ما انتشرت الفضيحة فى كل أرجاء القرية ؛ كما حضرت الكثيرات من النسوة من أقارب الزوج الغائب وقمن بسبها وإهانتها علانية . وعلى أثر ذلك ، تصرفت الزوجة المذنبة طبقا للعادات السائدة فى ذلك المجتمع . لقد ارتدت أحسن ملابسها ، كما تزينت بكل ماتملك من حلى ثمينة ثم تسلقت إلى قمة نخلة عالية توجد فى مكان بوسط القرية . وسرعان ماتجمع الكثير من الناس فى ذلك المكان . كما وقفت ابنتها الصغيرة تحت النخلة وهى تبكى وتصرخ . وبعد أن أوصت الزوجة المذنبة الزوجة الأكبر سنا برعاية ابنتها الصغيرة بعد وفاتها ألقت بنفسها من فوق قمة النخلة فماتت على الفور (٤٣) .

وهناك دوافع مختلفة للانتحار فى جزر التروبرياند ، نذكر منها : نكاح المحارم **incest** ، المنازعات العائلية ، الزنى **adultery** ، التكفير عن خطيئة ، سوء المعاملة .

---

(٤٣) *The Sexual Life of Savages*, p. lol

(٢)

دار العزاب

فى حديثه عن العلاقات الجنسية فى مرحلة ماقبل الزواج ، نجد أن مالينوسكى قد تناول بالدراسة بشىء من التفصيل « دار العزاب **Bukumatula** » وما تقوم به من دور فى الحياة الاجتماعية عند التروبرياندين . فهو يذكر لنا أن كل قرية بها عدد من الدور الخاصة بالعزاب . ويختلف هذا العدد من قرية إلى أخرى . فقرية « أومارا كانى » كان بها خمسة دور للعزاب وقت إجراء البحث ؛ أما قرية « كاسانى » فكان بها أربعة دور فقط . ويذكر لنا مالينوسكى أن عدد هذا النوع من المساكن قد تضاءل فى الوقت الحالى نتيجة لتأثير البعثات التبشيرية على الأهالى (٤٤) .

ولكن لماذا تقام بيوت العزاب ؟ فى مرحلة ماقبل الزواج توجد علاقات غرامية بين الفتيان والفتيات . ورغبة فى تمكين الفتى من مقابلة فتاته لإشباع رغباتهما الجنسية فى خلوة ، فقد أقيم فى كل قرية عدد من منازل العزاب لتحقيق ذلك الغرض .

ويخصص كل منزل لعدد من العشاق يختلف عددهم من مسكن إلى آخر ، فقد يكون هناك زوجان أو ثلاثة أو أربعة أزواج من العشاق .

---

(٤٤) يذكر لنا مالينوسكى أن دور العزاب فى قرية « أومارا كانى » تقع فى الحلقة الداخلية المحيطة بالساحة والتى تضم أيضا مخازن اليام والمساكن الخاصة برئيس القرية وأقاربه . كما أنه يشير كذلك إلى أن البعض من الأفراد قد اتجهوا أخيرا إلى إقامة بيوت العزاب فى الحلقة الخارجية التى تضم مساكن الأهالى .

والتنظيم الداخلى للدار بسيط للغاية . فالأثاث يتكون من عدد من الأسرة مغطاة بنوع من الحصير . ويختص كل فتى وفتـــاة بسرير معين للنوم عليه بصفة منتظمة .

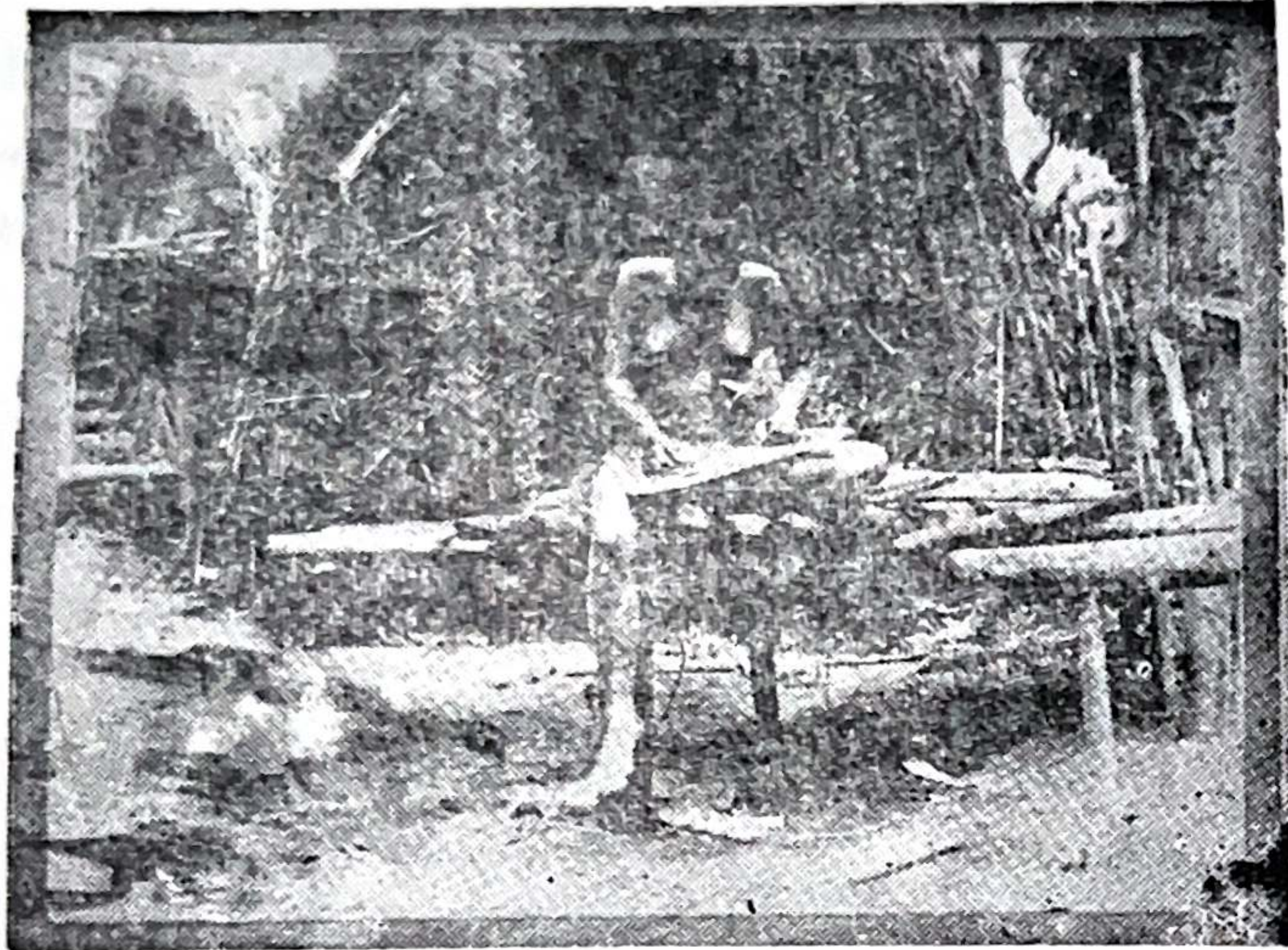
وإذا حدث ورفض العاشقان علاقتهما الغرامية ، فإن الفتاة هى التى تهجر دار العزاب وتبحث لها عن عشيق جديد تقضى معه وقتها وفى دار خاصة به .

وأما بالنسبة لملكية الدار ، فهى فى العادة تكون للجماعة التى تقيم فيها .

وقد يبدو لأول وهلة أن العلاقات السائدة داخل الدار هى نوع من الزواج الجماعى Group Marriage . ولكن الدراسة ، كما يرى مالينوسكى ، تبين عدم صحة ذلك . فكل فتى يختص بفتاة معينة . وهم لا يتبادلون الفتيات فيما بينهم ، كما أنهم كذلك لا يحبذون قيام الفتى بملاطفة عشيقة زميله بالدار أو محاولة والصيد فى أرض الغير . ويذكر مالينوسكى أن هناك نوع من الاتفاق بين المقيمين بالدار على احترام الحقوق الجنسية الخاصة بالغير ، كما أنه لا يجوز كلية مراقبة الغير وهم فى لحظة غرام مع فتياتهم .

ومما تجدر الإشارة اليه أيضا فى هذا المجال أن الصلة بين الفتى والفتاة داخل الدار إنما هى صلة غرامية بحتة . فالحب هو الذى جمع بينهما ، وهما يتقابلان بالدار لقضاء بعض الوقت وإشباع الغريزة الجنسية . وكثيرا ما تتطور هـذه العلاقات إلى مزيد من الارتباط بين العاشقين ، فيقرروا فى النهاية الاتفـــاق على الزواج .

وإذا ما اتفق الفتى مع فتاته على الزواج ، فإنه يجب عليـــه ألا يتناول معها أى طعام على الإطلاق . ذلك أن مثل هذا العمل ، فى نظر الأهالى ، يعتبر



صورة رقم / ٢٠

فتاة تجلس أمام دار للعزاب

تحقيرا للفتاة ، كما أنه يعتبر أيضا خروجا على الآداب (٤٥) !!

ومن طريف مارواه لنا مالينوسكى عن العشاق فى ذلك المجتمع أن الفتى إذا خرج مع فتاته فى نزهة خلوية ، فإنهما يسليان أنفسهما بجمع الأصداف وقطف الزهور وتدخين التبغ . كذلك يقوم الفتى « بتفلية » شعر عشيقته وأكل ماقد يستخرجه من القمل !! كما تقوم الفتاة أيضا بتفلية شعر حبيبها وأكل ماقد تعثر عليه من قمل . ولا يرى الأهالى أية غضاضة فى ممارسة هذه المادة !! وعلى العكس من ذلك ، فهم يرون أنها تدخل السرور فى نفوس العاشقين !! (٤٦) .

(٤٥) The Sexual Life of Savages p.p.59—64

(٤٦) Ibid, p. 275

(٣)

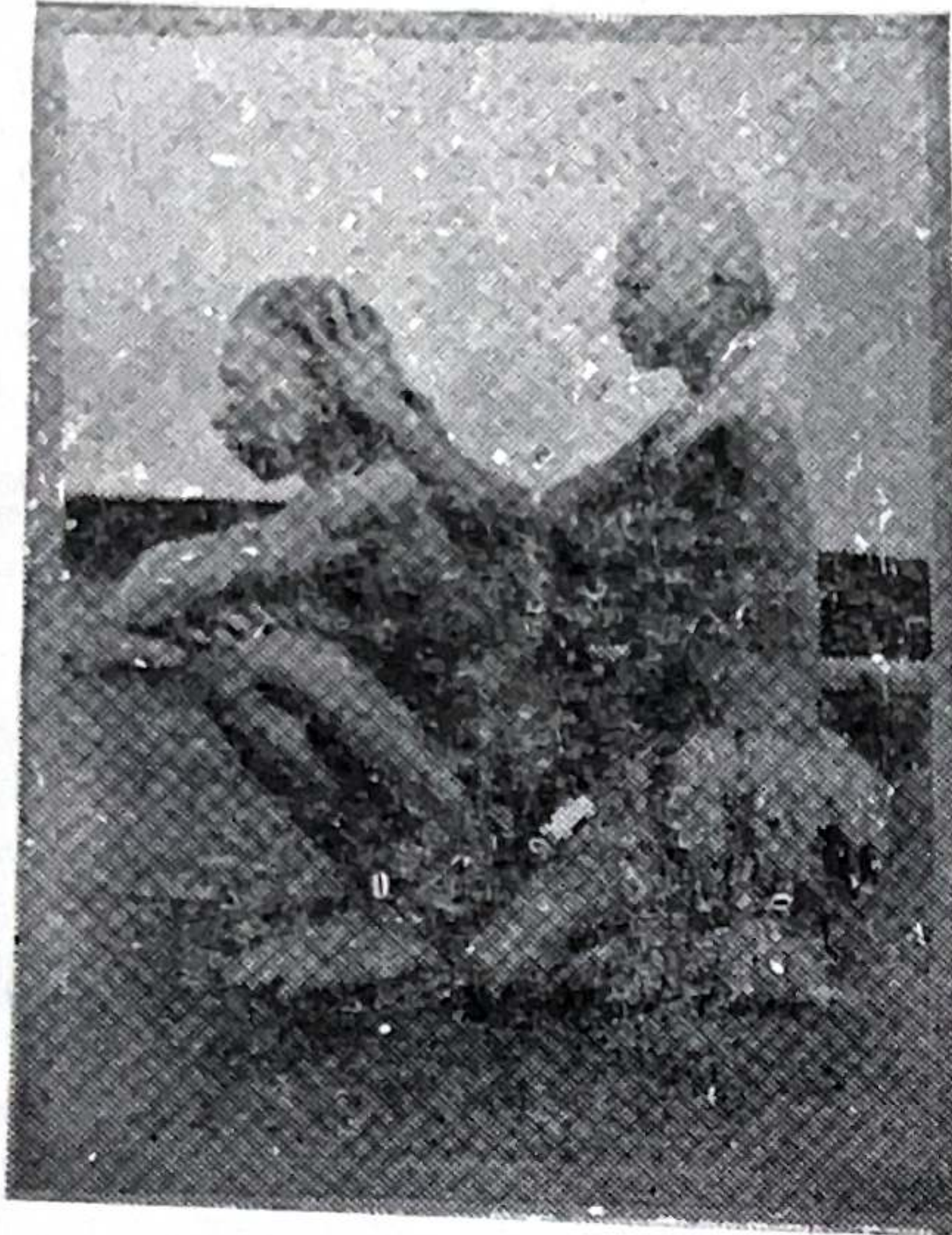
الزواج والطلاق

بالرغم من الحرية التى يتمتع بها الشباب فى ممارسة العلاقات الجنسية ، كما سبق وأوضحنا من قبل عند حديثنا عن دار العزاب، إلا أنهم بصفة عامة يميلون إلى الزواج وتكوين أسر خاصة ٤٣.

هذا وتدلنا الدراسة على أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية وعاطفية تلعب دورها فى هذه الناحية . فالفرد فى جزر التروبرياند لا يحظى بالمكانة الكاملة Full Status فى الحياة الاجتماعية إلا إذا كان متزوجا . والواقع أنه لا يوجد هناك من البالغين من يعيش بلا زواج إلا إذا كان المرء أبلها idiot أو أبرصا أو عليلا لا يرجى شفاؤه أو كان من الأرامل الطاعنين فى السن . وإذا ماهجرت الزوجة بيتها ، وفقد الزوج الأمل فى استردادها فإنه سرعان ما يبحث له عن زوجة جديدة . وإذا ما توفيت الزوجة فإن الزوج ، بعد انتهاء فترة الحداد ، سرعان مايتزوج مرة أخرى . ولا يختلف الأمر بالنسبة للمرأة فى هذه الناحية، فهى فى حالة الطلاق أو وفاة الزوج تبحث لنفسها عن شريك جديد لحياتها .

كما يعتبر الجانب الاقتصادى من أهم العوامل التى تدفع الشبان إلى الزواج، حيث أن القانون القبلى يلزم أسرة الفتاة أن تقدم منحة اقتصادية للزوج كل عام. وعلاوة على ماتقدم، فهناك أيضا الميل الطبيعى من ناحية الرجل ليكون له بيت مستقل وأسرة خاصة به وأطفال يعيشون فى كنفه.

وهناك أيضا الإخلاص والحب للمرأة التى أحبها الرجل وقضى معها وقتا من



صورة رقم/٢١

امرأة تفلى رأس زوجها

حياته . فذلك يدفعه إلى العمل على الارتباط بها والعيش معها تحت سقف واحد .

ولا بد للفتى الذى يريد الزواج أن يحصل على موافقة أسرة الفتاة قبل الزواج . وفى بعض الأحيان ترفض الأسرة طلب الفتى إما لأنه ينتمى إلى طبقة اجتماعية أدنى من طبقتهم وإما بسبب كسله الشديد أو لأن الأسرة ترغب فى تزويج ابنتها إلى شخص آخر . وفى بعض الأحوال نجد أن الفتى والفتاة يعترضان على قرار الأسرة ، فتنتقل الفتاة للإقامة فى مسكن والدى الفتى ، أو يعمد الإثنان إلى الفرار إلى قرية أخرى . ويقوم البعض من أقارب الفتى بالتوسط لدى أسرة الفتاة لعلها توافق على إتمام الزواج . وفى حالة رفض الوساطة ، فإن أسرة الفتاة تتوجه إلى المنزل الذى تقيم فيه الفتاة وتنتزعها منه انتزاعا . وكثيراً ما تحدث اشتباكات عنيفة بين أسرة الفتاة من جراء ذلك .

وفى الأحوال العادية ، وبعد أن يحصل الفتى على موافقة أسرة الفتاة ، تتبادل الأسرتان الهدايا . وبعد ذلك بعدة أيام تتوجه الفتاة من تلقاء نفسها مع فتاها إلى مسكن أسرته بدلا من أن تتوجه إلى مسكن أسرتها (*) ، فتقيم معه هناك وتتناول معه الطعام ، وترافقه حيثما سار أثناء النهار ، وعندئذ ينتشر الخبر « لقد تزوج الفتى فتاته » .

وعلاوة على الطريقة السابقة للزواج ، فهناك أيضا الزواج عن طريق الخطوبة فى مرحلة الطفولة المبكرة infant betrothal . وإذا كانت الطريقة التى تحدثنا عنها من قبل تقوم على حرية الاختيار والتجربة والعلاقات القوية التى تمت على مر

(*) يهمنا أن نشير إلى أن الزواج فى جزر التروبرياند يتم دون أية احتفالات ، بعكس ما هو متبع عندنا فى مجتمعنا المصرى . وبالنسبة لإقامة الفتى والفتاة ، فإنهما يقيمان بعضا من الوقت مع والدى الفتى ، ثم ينتقلان بعد ذلك إلى كوخ مستقل .

الأيام بين الفتى والفتاة ، فإن الزواج القائم على الخطبة فى مرحلة الطفولة يختلف كل الاختلاف . فهو يعتمد على الاتفاق الذى يتم عادة بين الأسرتين .

وبعد أن يتم الزواج ، فإنه يجب على أسرة الفتاة أن تقدم للزوج منحة اقتصادية بصفة منتظمة كل عام . ويستمر تقديمها طالما أن الزوجة تعيش مع زوجها . ويتوقف حجم هذه المنحة على مكانة the status الشريكين من الناحية الاجتماعية . إلا أنها بصفة عامة ينبغى ألا تقل عن نصف ما تمتلكه أسرة متوسطة فى خلال عام .

وإذا كان الزوج يتلقى منحة اقتصادية من أسرة زوجته كل عام ، فإنه ينبغى عليه هو أيضاً أن يقدم المنح الاقتصادية لأسر أخواته المتزوجات بصفة منتظمة فى كل عام . ومن أجل ذلك ، فإن البعض من الفتيان يضعون فى الاعتبار عدد الإخوة الذكور للزوجة إذا ما فكر فى الإقبال على الزواج فكلما كثر عددهم كلما زادت المنح الإقتصادية التى تقدم له .

وعلاوة على المنح الاقتصادية ، فإن أسرة الزوجة تقدم للزوج العديد من الخدمات فى مختلف المناسبات ، فهى تساعده عندما يريد أن يصنع لنفسه قاربا أو عندما يريد أن يبنى لنفسه مسكنا جديداً . كما أنهم يساهمون بجهودهم معه فى الإعداد عند سفره لصيد الأسماك . وفى حالة مرض الزوج فإن أسرة الزوجة تقوم بالسهر على حياته ليلا ونهارا لحمايته من شرور السحرة Sorcerers . وبالإضافة إلى ما تقدم فهم يقفون بجواره فى حالات الخطر يشدون أزره ضد أعدائه .

وهنا نتساءل : ماهى الأسباب القانونية والاجتماعية التى تدفع المرء إلى أن يقدم هذه المنح الاقتصادية بانتظام فى كل عام ؟ يرى مالينوسكى أن ذلك مرده

ولا شك إلى العادات القبلية tribal Customs السائدة وكذلك إلى الاعتزاز أو التباهى . إذ لا يوجد عند التروبرياندين أية عقوبات محددة definite punishments توقع على الفرد فى حالة عدم قيامه بتأدية ذلك . وكل ما فى الأمر أن المجتمع يحتقر ذلك الشخص ويزدريه .

ويذكر لنا مالينوسكى أن الزواج المونوجامى monogamy هو النمط الشائع فى ذلك المجتمع . ولكن يوجد إلى جانب ذلك نظام تعدد الزوجات polygamy الذى ينتشر بين الرؤساء وكذلك الأشخاص ذوى الأهمية فى المجتمع كالسحرة المشهورين مثلا .

وبالنسبة للطلاق ، فإنه لا يعتبر أمرا نادرا فى مجتمع التروبرياندين . وهو يرجع إلى أسباب مختلفة نذكر منها : سوء المعاملة ، الخيانة الزوجية ، وقوع الزوج أو الزوجة فى غرام شخص آخر ، كسل الزوج ، الغيرة ، الكره ، فقد الرجل عمله ، والمشاجرات بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة .

والإجراءات الخاصة بالطلاق غاية فى البساطة . فالزوجة تغادر منزل زوجها ومعها ممتلكاتها الشخصية وتتجه إلى منزل أمها أو إلى منزل إحدى قريباتها وتقيم هناك . وفى خلال إقامتها هناك تتمتع الزوجة بالحرية الكاملة فى إشباع رغباتها الجنسية . ويحاول الزوج من جانبه استمالة زوجته وإقناعها للعودة إليه مرة ثانية ؛ وهى قد تتوافق أو قد ترفض العودة نهائيا . هذا ويشير مالينوسكى إلى أن الزوجة بعد انفصالها عن زوجها وبصفة خاصة إذا كانت لا تزال شابة تعود مرة أخرى إلى سابق حياتها التى كانت تحياها قبل الزواج ، فتغشى دور العزاب لإشباع رغباتها الجنسية مع أحد الشبان هناك . وكثيرا ما تنتهى العلاقة داخل الدار إلى زواج جديد .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الأطفال فى حالة الطلاق يهجرون المنزل مع أمهم ويقيمون فى مسكن قريب لهم من ناحية الأم (٤٧) .

---

(٤٧) Ibid, p.p. 65—125

(٤)

الموت وشعائر الجنازات (٤٨)

عند وفاة الزوج ، فإن الزوجة تحزن عليه كثيراً ، ولا تغادر منزلها إلا بعد مرور فترة طويلة من الحداد. هذا ويشير مالينوسكي إلى أن التفرقة تبدو واضحة بين أقارب المتوفى من ناحية الأم وبين زوجته وأطفاله وأصهاره وأصدقائه من ناحية أخرى من حيث كيفية التعبير عن حزنهم على المتوفى. فالأقارب من ناحية الأم يمتنعون كلية عن لمس جثة المتوفى أو حتى الاقتراب منها لأن ذلك في نظرهم محرم عليهم. كما أنه لا يسمح لهم أن يقوموا بغسل الجثة أو تزويقها أو تهشيكها أو دفنها . وهم يعتقدون أن مجرد الاقتراب من الجثة أو لمسها يؤدي أولا محالة إلى إصابتهم بالعلل الخطيرة وموتهم . كما ينبغي عليهم كذلك ألا يظهروا حزنهم عليه بارتداء زى معين أو بتزيين أجسامهم ، وإنما يكتفون بالبكاء تعبيرا عن حزنهم وألمهم . أما الزوجة والأطفال وأقارب الزوجة وأصدقاء المتوفى، فإنهم يعبرون عن حزنهم بالولولة بصوت مرتفع ، ويصبغ أجسامهم بالهباب Soot كما أنهم يحلقون شعر الرأس كذلك .

وبعد حدوث الوفاة يقوم الأهالي باتخاذ الخطوات التالية لدفن الجثة :

تغسل الجثة وتنقش بعض الخطوط على الوجه ، ثم تزين بالعديد من الحلى كالأساور والعقود . وبعد ذلك تسد فتحات الجسم بألياف من القشرة الخارجية لجوز الهند . كما تربط الساقان معا وكذلك يربط الذراعان إلى الجانبين .

---

(٤٨) Ibid, P. p. 126 – 130



صورة رقم /٢٢

جثة فتاة جميلة ماتت فجأة . وقد وقف زوجها ليسندها حتى يتمكن مالينوسكى من تصويرها.



صورة رقم/٢٣

جثة امرأة بعد إخراجها من القبر

بغرض فحصها لاكتشاف أية علامات خاصة بالسحر

وبعد ذلك توضع الجثة على ركب عدد من النساء اللائى يجلسن على أرضية الكوخ ، أما الزوج فإنه يجلس معهن ليمسك برأسها . وتقوم النساء بتهشيك الجثة ويملسن عليها بأيديهن ويطبطبن ويحركن الرأس والأطراف . وتستمر النساء فى تحريك الجثة والعمل على جعلها تتلوى مع إيقاع نواحهن وعويلهن الذى لا ينقطع .

ويمتلىء الكوخ بالنائحين الذين يترنمون الترانيم الحزينة . وتنهمر الدموع مدراراً من أعينهن ، كما يتدفق المخاط من أنوفهن . أما خارج الكوخ ، فإن البعض من النساء يقمن بالرقص وهن يمسكن فى أيديهن بعضاً من مخلفات المتوفى.

وفى خلال ذلك يقوم أبناء المتوفى بحفر قبر له خارج القرية . وبعد مرور عدة ساعات على الوفاة توضع الجثة فى القبر بعد لفها بالحصير . ثم يغطى القبر بعد ذلك بكتل من الخشب . وتجلس الزوجة فوق هذه الكتل من الخشب لتسهر على الجثة . ويجلس معها كذلك ابنتها وإخوتها، وقريباتها وصديقاتها وأقرباؤها. كما يتجمع هنا أيضاً عدد كبير من الأهالى .

وعند غروب الشمس فى اليوم التالى للدفن تستخرج الجثة من القبر، ويقوم الأهالى بفحصها ليتبينوا وجود أية علامات خاصة بالسحر(٤٩). والصورة رقم/٢٣ تبين لنا جثة امرأة وقد أخرجت من قبرها وقت غروب الشمس بعد دفنها فى اليوم السابق .

وفى اليوم التالى ، وقبيل طلوع النهار ، يستخرج أبناء المتوفى الجثة من القبر

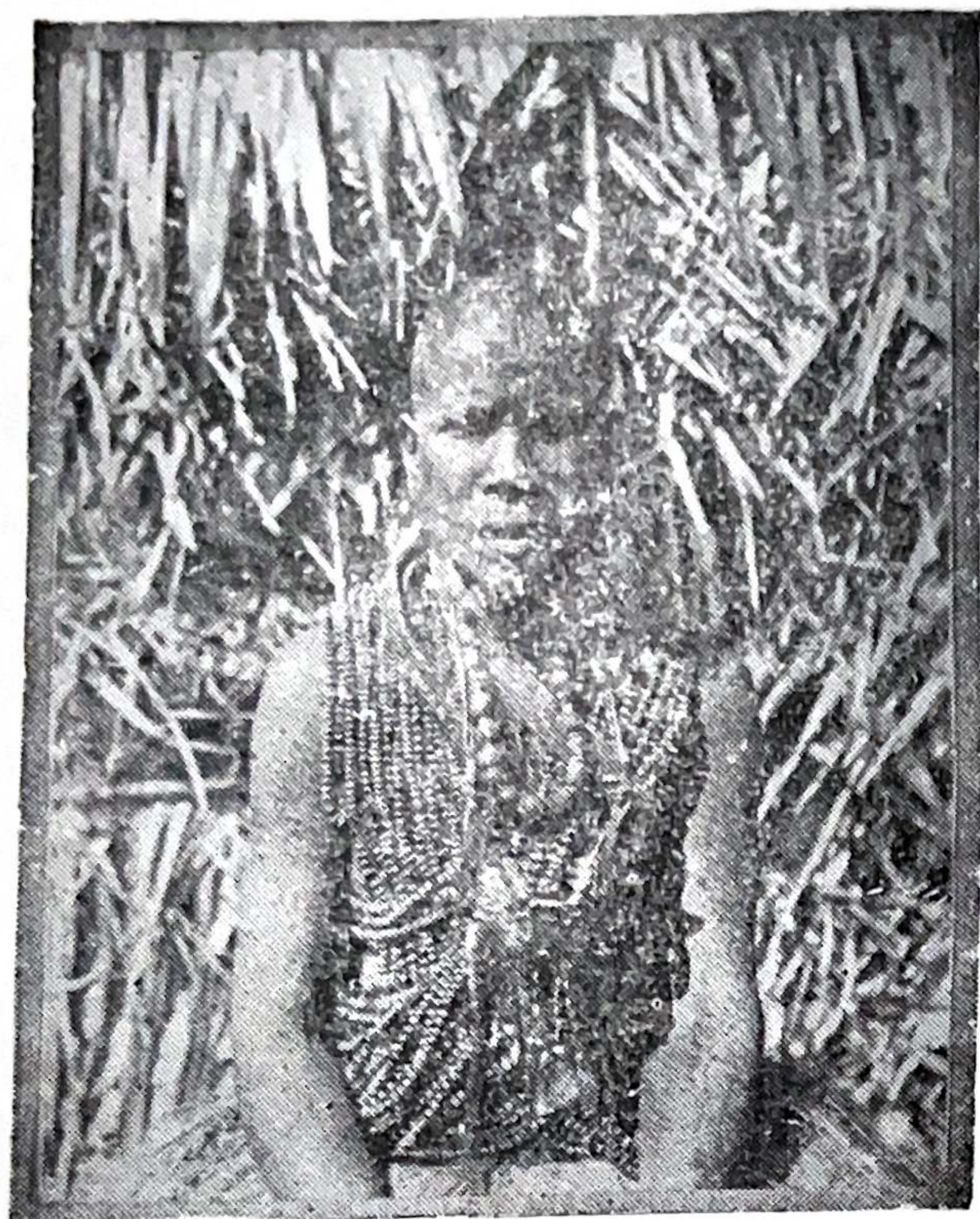
---

(٤٩) بعد دفن الجثة بفترة تتراوح بين ١٢ ، ٢٤ ساعة ، وبالضبط عند أول غروب شمس بعد الدفن ، يفتح القبر وتستخرج الجثة ثم يقوم الأهالى بفحصها وفحصها بغرض اكتشاف ما قد يوجد عليها من علامات تدل على السحر . فمثلا إذا وجدت خدوش على —

مرة ثانية ، ويقومون باستخراج بعض العظام منها ، ثم تدفن الجثة ثانية بعد ذلك . وهم يحتفظون لأنفسهم ببعض العظام ويقومون بتوزيع البعض الآخر على أقاربهم . ويرى الأهالي أن عملية استئصال عظام الموتى والاحتفاظ بها كمخلفات إنما هي نوع من التقوى والورع والاحترام الزائد لشخص المتوفى . وهم يقومون بذلك عن طيب خاطر بالرغم من أن الجثة تكون قد بدأت في التعفن .

وتوزع العظام على الزوجة والأقارب ، وهم يستخدمونها في أغراض مختلفة . فالزوجة تأخذ الجمجمة the skull لتستخدمها كوعاء ، أما العظم الفكي the jaw bone فإنها تضعه حول رقبتها كحلية ornament . وبالنسبة للأقارب من ناحية الزوجة وأقارب وأصدقاء المتوفى ، فإنهم يأخذون أظافره وأسنانه وشعره ويحملونها كنوع من الزينة. أما أقارب المتوفى من ناحية الأم، فإن استخدام عظام المتوفى محرم عليهم تحريماً باتاً strictly tabooed . وإذا لم يقم هؤلاء الأقارب من جانبهم بمراعاة ذلك ، فإنهم يعتقدون أن بطونهم سوف تنتفخ ، وربما أدى ذلك إلى موتهم .

= كتفي المتوفى ، فذلك يعني أن المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع إحدى النساء الأمر الذي أثار غضب أحد الرؤساء أو السحرة ضده ، فاستخدم السحر لقتله . كذلك إذا وجد عدد كبير من النمل على الجثة ، فإن معناه أيضاً أن المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع إحدى النساء . ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة قد أصدرت أوامرها بمنع ممارسة هذه العادة ، إلا أن الأهالي لازالوا يمارسونها سراً وبصفة خاصة في القرى البعيدة .



صورة رقم/٢٤

أرملة في فترة الحداد . ويلاحظ أنها قد حلقت شعر رأسها وصبغت وجهها بالهباب . أما الصدر فهو مغطى بمجموعة كبيرة من الخرز الأسود. كما يتدلى على صدرها أيضا العظم الفكي لزوجها المتوفى.



صورة رقم /٢٥
العظم الفكي للزوج
بعد تزيينه

(٥)

العلاقة بين عالم الأرواح وإنجاب الأطفال

يعتقد التروبريانديون أن هناك علاقة وثيقة بين عالم الأرواح spirit world وعملية إنجاب الأطفال . ومن أجل ذلك فقد قام مالينوسكي بدراسة رحلة الروح بعد خروجها من الجسد وعلاقة ذلك بالأحيــاء من سكان الجزر . فالأهالى يعتقدون أن الروح تتجه بعـــد الموت إلى جزيرة الموتى The Island Of the Dead والتى يطلقون عليها اسم « توما Tuma » . وفى تلك الجـزيرة تحيا الروح حياة سعيدة وشبيهة بحياتنا الدنيا ؛ وإن كانت تتسم بأنهـــا أكثر سعادة .

لكن الروح قد تضيق بهذه السعادة الدائمة وترغب فى العودة إلى الجزر مرة ثانية . وفى هذه الحالة فإن عمر روح الشخص المتوفى يصغر بحيث تصبح الروح طفلة « spirit—child » . وهذه الأرواح الأطفال أو الصغيرة جداً فى السن spirit—children هى المصدر الوحيد للحياة بالنسبة للبشرية . فالروح تعود مرة ثانية إلى جزر التروبرياند وتدخل فى رحم womb المرأة . لكنها لا تتجه إلى أى امرأة ، بل إلى رحم امرأة تكون من نفس العشيرة الخاصة بالزوج .

ولكن كيف تتسلل أرواح الأسلاف إلى رحم المرأة ؟ يقول أحد المخبرين من أهل الجزر : « إن الفتاة العذراء لا تحمل لأنه لا يوجد طريق مفتوح أمام الأرواح لتدخل . ولكن حينما تتسع فتحة رحم المرأة ، فإن الروح يمكن أن تتسلل إلى الداخل » . وهكذا يتبين لنا أن التروبرياندين يعتقدون أن الحمل ينتج

من دخول أرواح الأسلاف فى رحم المرأة ، وأن الزواج والمعاشرة الجنسية هما الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها إزالة العوائق التى تعترض سبيل تلك الأرواح دون أن يكون لهما هما نفسهما دخل فى عملية الإنجاب . وبعبارة أخرى، يعتقد الأهالى أنه لا توجد صلة بيولوجية بين الأب والابن (٥٠) .

---

(٥٠) يعتقد الأهالى كذلك أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها دون حاجة الى التزاوج مع الذكور من الحيوانات .

ويذكر لنا مالينوسكى أن هناك نوعان من الخنازير بالجزر . ويعيش النوع الأول منها فى القرى مع الأهالى . أما النوع الثانى فهو من النوع البرى الذى يعيش فى الغابات، وبالنسبة الخنازير التى تعيش فى القرية ، فإن الأهالى يقومون بخصى الذكور منها حتى تحتفظ بقوتها . أما الإناث فإن الأهالى يدعونها تتجول فى أطراف القرية وفى الغابات حيث تكون لديها الفرصة مهيأة للتزاوج مع الذكور من الخنازير البرية . وبذلك تكون جميع الخنازير التى تلدها إناث خنازير القرية من نسل خنازير الغابة وحينما ذكر مالينوسكى هذه الحقيقة للاهالى عارضوها بشدة وأكدوا له أن خنازير الغابة لا دخل لها فى حمل الإناث ، حيث أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها

ومما رواه مالينوسكى فى هذا الشأن أيضا أن أحد التجار الأوربيين قد أحضر الى الجزر سلالة ممتازة من الخنازير . وقد تلهف الأهالى على الحصول عليها ، فكانوا يشترون الخنزير الواحد منها مقابل خمسة من الخنازير التى يربونها فى قراهم . الا أنهم بعد حصولهم على هذا النوع الممتاز من الخنازير ، لم يفكروا على الاطلاق فى إحضار ذكور من الخنازير من نفس السلالة للتزاوج معها . وعلاوة على ما تقدم ، فقد قام الكثير من الأهالى بخصى الذكور من هذه السلالة . وحينما لفت نظرهم أحد التجار من البيض، وأوضح لهم خطورة ذلك على مستوى السلالة ، فإنهم لم يحاولوا فهم ما قاله لهم ، واستمروا فى خصى الذكور من هذه السلالة الممتازة

ومما هو جدير بالملاحظة فى هذه الناحية أيضا أن الأهالى يعتقدون أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها وليس بسبب الأرواح كما هو الحال بالنسبة للمرأة .

ويذكر لنا مالينوسكى أن اتجاه الأهالى نحو أطفالهم يقدم لنا شاهداً جديداً على إثبات جهلهم بالعلاقة الفسيولوجية بين الأب وإبنه . فالزوج الذى يسافر بعيداً عن زوجته لمدة عامين مثلا ، ثم يعود بعد ذلك ليجدها قد أنجبت له طفلا أو طفلين يتهلل وجهه فرحا وبشرا لدى سماعه الخبر ، ولا يمكن أن يجول فى خاطره أبدا أن يتهمها بالزنا مع رجل آخر !! (٥١) .

Ibid. p. p. 140-172 (٥١)

الفصل السابع

قبائل جنوب السودان

ش . ج . سلجمان

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ش . ج سلجمان Charles Gabriel Seligman هو أحد رواد الأنثروبولوجيا فى بريطانيا . وقد ولد فى لندن ١٨٧٣ . وفى بداية حياته درس الطب ، وتخصص لفترة من الزمن فى الأبحاث الباثولوجية (١) .

وفى سنة ١٨٩٨ تحول سلجمان إلى ميدان الأنثروبولوجيا وانضم إلى بعثة جامعة كمبردج الأنثروبولوجية إلى مضايق توريس (١٨٩٨ — ١٨٩٩)
the Cambridge Anthrpological Expedition to Torres Straits

ويذكر لنا أ . هادون A. Haddon . رئيس البعثة ـ أن سلجمان قد تقدم بطلبه للانضمام للبعثة بعد أن تم اختيار جميع أفرادها، ومن ثم فإنه ـ أى هادون ـ

(١) *Encyclopaedia Britannica* Vol. 20 (1968), p. 192.

لم يكن راغبا فى بداية الأمر فى قبوله عضوا بها . إلا أنه مالبث أن غير رأيه ووافق على إضافته إلى أعضاء البعثة إزاء الإلحاح الشديد من جانب سلجمان .

ومن الموضوعات التى اهتم سلجمان بدراستها أثناء إقامة البعثة هناك نذكر :

الأمراض بالمنطقة ووسائل العلاج التى كان يستخدمها الأهالى ، العادات الخاصة بالبلوغ عند المرأة فى الجزر الغربية لمضايق توريس .

وفى سنة ١٩٠٥ تزوج سلجمان « برنداز . سلجمان Brenda Z. Seligman » التى كانت متخصصة فى علم الحيوان .

وفى خلال عامى ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ درس سلجمان وزوجته « الفيداس the Veddas » فى سيلان .

وفى سنة ١٩٠٩ توجه سلجمان وزوجته ـ بناء على طلب من حكومة السودان ـ لدراسة قبائل جنوب السودان . وتحقيقا لذلك الغرض ، فقد قاما بثلاث بعثات expeditions خلال الفترة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٢ . ونظرا للمرض الشديد الذى ألم بسلجمان ، فقد عهدت حكومة السودان إلى إيفانز بريتشارد E. E. Evans — Pritchard (وهو أحد تلاميذ سلجمان) القيام بمواصلة الدراسة الحقلية فى جنوب السودان . فدرس قبائل الأزاندى (١٩٢٦-١٩٣٠) وقبائل النوير (١٩٣٠ - ١٩٣٦) . وهذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن سلجمان وزوجته ـ فى كتابهما الذى نشر عن قبائل جنوب السودان (١٩٣٢) ـ قد اعتمدا كثيرا على نتائج أبحاث إيفانز بريتشارد هناك (٢) (الأزاندى والنوير) . والذى

(٢) C.G. Seligman and B Z Seligman. *Pagan Tribes of The Nilotic Sudan.* (London. 1982). p. xiii.



صورة رقم / ٢٦
ش.ج سلجمان (١٨٧٣ — ١٩٤٠)

لاشك فيه أن دراسة سلجمان وزوجته عن قبائل جنوب السودان تعتبر من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة فى إفريقية . يقول إيفانز بريتشارد وريموند فيرث و ب. مالينوسكى وشابيرا فى « المقدمة Preface » التى كتبوها لكتاب « مقالات مهداة إلى ش. ج سلجمان » (٣) :

« No administrator or theoretical Worker on the cultures of Africa could do without *Pegan Tribes Of The Nilotic Sudan* »

وعلاوة على الأبحاث الحقلية، فقد قام سلجمان بتدريس الإثنولوجيا فى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية . ومن تلاميذه نذكر : ب مالينوسكى (٤)، إ. إ. إيفانز بريتشارد (٥)، ماير فورتس (٦)، س. ف. نادل (٧). وقد ظل سلجمان يعمل فى مدرسة لندن من سنة ١٩١٠ حتى تقاعد سنة ١٩٣٤ (٨) .

---

(٣) E. E. Evans-Pritchard and associates (Ed.). *Essays Presented to C G. Seligman*. (London. 1934). p. ix

(٤) Abram Kardiner & Preble. *They Studied Man*. p. 142.

(٥) F.E. - Evans Pritchard. *Witchcraft, Oracles and Magic Among the Azande*, (Oxford. 1937). p. vii

(٦) M. Fortes. *The Dynamics of Clanship Among the Tallensi*. (the Oxford University Press. 1945). p. xiv.

(٧) S F. Nadel. *A Black Byzantium*. (the Oxford Clarendon Press. 1946), p. xii.

(٨) تقديرا لجهود سلجمان ، واعترافا بفضله ، نشرت جماعة من علماء الأنثروبولوجيا فى سنة ١٩٣٤ كتابا بعنوان « دراسات مهداة الى ش.ج سلجمان » . ومن الذين شاركوا فى إعداد ذلك الكتاب نذكر : أ.ه.ادون ، إ.إ. إفانز بريتشارد، ريموند فيرث، ب مالينوسكى، شابيرا ، وستومارك . أنظر :

E.B. Evans.Pritchard and associates (Ed.). *Essays Presented to C. G. Seligman*, (London. 1934).

وفى سنة ١٩٣٨ ، كان سلجمان أستاذا زائرا visiting Professor ، فى جامعة يال Yale University ، بالولايات المتحدة . وفى سنة ١٩٤٠ توفى سلجمان فى اكسفورد .

ومن مؤلفات سلجمان نذكر :

The Melanesians of British New Guinea (1910) ; *The Veddas* (with B. Z. Seligman), (1911) ; *Pagan Tribes of the Nilotic Sudan* (with Brenda Z. Seligman) , (1932).

أولا — ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — **الغرض من البحث :** يذكر ساجمان وزوجته أن قبائل جنوب السودان لها عاداتها وتقاليدها وأديانها ولغاتها المختلفة ، وأنه لابد للحاكم من أن يتعرف على كل ذلك بطريقة علمية . ورغبة من الحكومة فى تحقيق هذا الهدف ، فقد اقترح Sir James Currie ، مدير التعليم بحكومة السودان فى ذلك الحين ، القيام بإجراء دراسة أنثروبولوجية عن القبائل الوثنية فى جنوب السودان . وقد عهدت الحكومة إلى ساجمان وزوجته القيام بتلك الدراسة ، وقدمت لهما كل ما يلزم من تمويل لإجراء البحث .

٢ — **مجال البحث :** بلغت مساحة السودان وقت إجراء البحث ، حوالى مليون ميل مربع ، كما بلغت المسافة من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب حوالى ١٢٠٠ ميل تقريباً . وبالنسبة للعرض فإن أكبر عرض من الشرق إلى الغرب قد بلغ ١٠٠٠ ميل تقريباً . وينقسم السودان إلى قسمين رئيسيين :

ا — السودان الشمالى : وسكان هذه المنطقة يدينون بالدين الإسلامى ويتحدثون اللغة العربية ، كما أن الكثير منهم يرجعون بنسبهم إلى أصل عربى .

ب — السودان الجنوبى . ويختلف سكان هذه المنطقة عن أهـل الشمال اختلافا كبيرا من ناحية اللغة والعادات والدين . والمنطقة التى شملها البحث تنحصر ما بين خط عرض ١٢ شمالا وخط عرض ٤ شمال خط الاستواء . ومن القبائل التى درسها ساجمان وزوجته نذكر الشيلوك The Shilluk ، الدنكا The Dinka ، النوير The Nuer ، البارى The Bari ، اللوتوكو The Lotuko ، النوبا The Nuba ، دارفور Darfur ، الأزاندى The Azande .

٣ — **خطة الدراسة :** كانت الخطة العامة التى اتبعها المؤلفان لعرض البيانات فى الكتاب (بالنسبة للقبائل التى أمكن جمع معلومات كافية عنها) هى تقسيم المعلومات إلى خمسة أقسام رئيسية هى :

ا — تنظيم الحياة العامة **Regulation of public life** .

ب — القرابة والحياة الأسرية والزواج **kinship, family life and marriage**

جـ — الدين **Religion**

د — إنزال المطر **Rain-making**

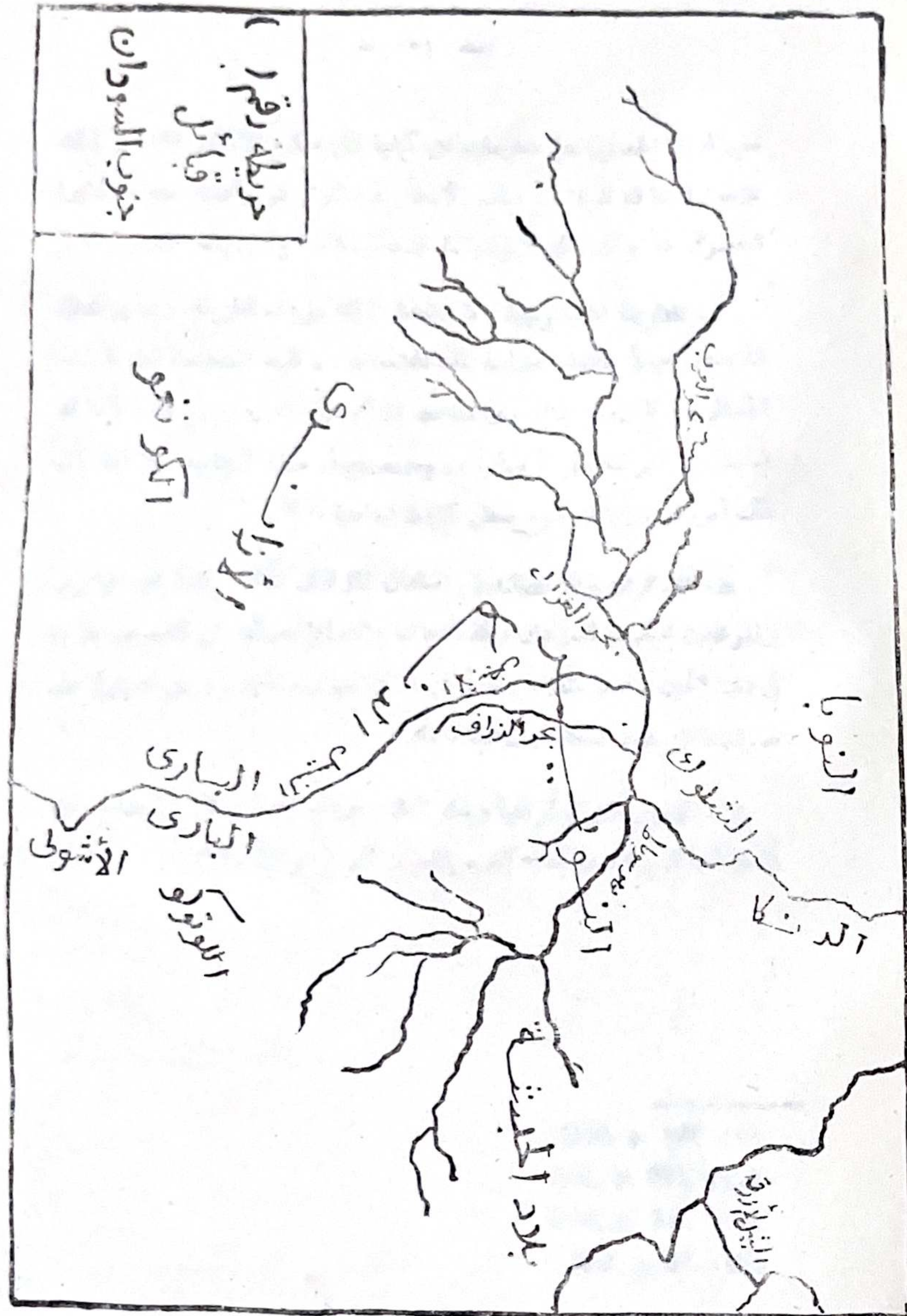
هـ — الموت وشعائر الجنازات **Death and funeral rites** .

وأما بالنسبة للقبائل التى لم يمكن جمع بيانات كافية عنها ، فقد كانت المعلومات كلها تكتب تحت عنوان واحد فقط . فمثلا بالنسبة لقبائل دار فونج «Darfung» نلاحظ أن المعلومات كلها تحت عنوان واحد دار فونج Darfung ولم يقم المؤلفان بتقسيمها إلى خمسة أقسام ، كما هو الحال مثلا بالنسبة لقبائل الدنكا أو النوير .

ويذكر لنا المؤلفان أنهما قد أبديا إهتماما خاصا بدراسة المعتقدات الدينية ، ذلك أننا لا نستطيع - بأية حال من الأحوال - أن نتفهم أى جانب من جوانب الحياة القبلية فى تلك المنطقة دون فهم سليم للمعتقدات الدينية .

كما نلاحظ كذلك أنهما قد اهتما بدراسة الخصائص الطبيعية للأهالى ، فكانا يقومان بقياسهم وأخذ صور فوتوغرافية لهم .

هذا ويقرر المؤلفان أنهما لم يتمكنا من دراسة بعض الجوانب العامة الخاصة بالسحر . ذلك أن مثل هذه الدراسة تحتاج ولا شك إلى معرفة خاصة بلغة المجتمع المراد دراسته .



٤ — مدة الدراسة الحقلية : قام ساجمان وزوجته بثلاث بعثات تنقلا خلالها في ربوع تلك المنطقة في الفترة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٢ . وبالنسبة للبعثة الأولى ، فقد كانت في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠ وكانت من الشمال إلى الجنوب على طول نهر النيل . وفي خلال تلك البعثة زارا منطقة النوبا أيضا . أما البعثة الثانية ، فقد تمت في عامي ١٩١١ و ١٩١٢ ؛ وكانت أساسا من الشرق إلى الغرب . ولم يتمكن سلجمان وزوجته من القيام بالبعثة الثالثة (١٩٢١-١٩٢٢) إلا بعد مرور عدة سنوات ؛ وقد درسا خلالها قبائل الباري واللوتوكو .

ونظرا للمرض الشديد الذي ألم بسلجمان في السنوات التالية ، فإنهما لم يتمكنا من مواصلة أبحاثهما في جنوب السودان ، وعهد إلى إيفانز بريتشارد القيام بذلك كما سبق وأشرنا من قبل .

٥ ـ وسائل جمع البيانات : اعتمد المؤلفان على وسائل كثيرة لجمع المادة من الميدان ، وسوف نشير إليها بشيء من الإيجاز :

ا ـ قراءة ماكتب عن المنطقة : فهما قد استفادا كثيرا من الاطلاع على المذكرات التي كتبها المبشرون والإداريون والعسكريون الذين أقاموا بمنطقة البحث . كما يعتبر إيفانز بريتشارد من المصادر الهامة التي تم الاعتماد عليها .

ب ـ الملاحظة وتوجيه الأسئلة : زار المؤلفان غالبية المناطق في الجنوب ، واعتمدا أساسا على الملاحظة وتوجيه الأسئلة

جـ ـ الاستعانة بالمخبرين : وبالنسبة للحالات الماضية التي كان يستحيل فيها القيام بالملاحظة ، كان المؤلفان يعتمدان على المسنين من الأهالي ممن لهم خبرة بالموضوع المراد بحثه . ومثلا نلاحظ أنهما قد استعانا بأحد صانعي الأمطار

حينما أرادا الحصول على معلومات عن كيفية قتل صانع الأمطار (٩) . وكذلك نلاحظ أنهما قد تقابلا مع صانع الأمطار عند اللوتوكو وتحدثا معه كثيرا للحصول على بيانات عن كيفية إقامة الشعائر الخاصة بإنزال المطر عندهم (١٠) .

د – الطريقة الجنيالوجية . كما اعتمدا كذلك على هذه الطريقة، وهما يؤكدان لنا مدى أهميتها بالنسبة لدراسة تلك المجتمعات : « لقد استخدمنا الطريقة الجنيالوجية كلما أمكن ذلك ؛ واتضحت لنا أهميتها الكبرى . ومع ذلك فإننا قد امتنعنا عن نشر سلاسل الأنساب genealogies فى هذا الكتاب ، إلا إذا كان ذلك أمرا ضروريا لتوضيح بعض النقاط الخاصة (١١) .

هـ – المذكرات والاحصاءات : استعان المؤلفان كذلك بمذكرات المبشرين والموظفين بحكومة السودان وكذلك بالسجلات الإحصائية التى كانت موجودة فى ذلك الحين . فهما مثلا قد رجعا إلى تعداد أجرى سنة ١٩٠٣ عن الشيلوك عند حديثهما عن عدد السكان والماشية (١٢) .

و – الصور الفوتوغرافية والخرائط . وبالنسبة لوسائل الإيضاح ، فإننا نلاحظ أن التقرير قد دعم بعدد كبير من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط .

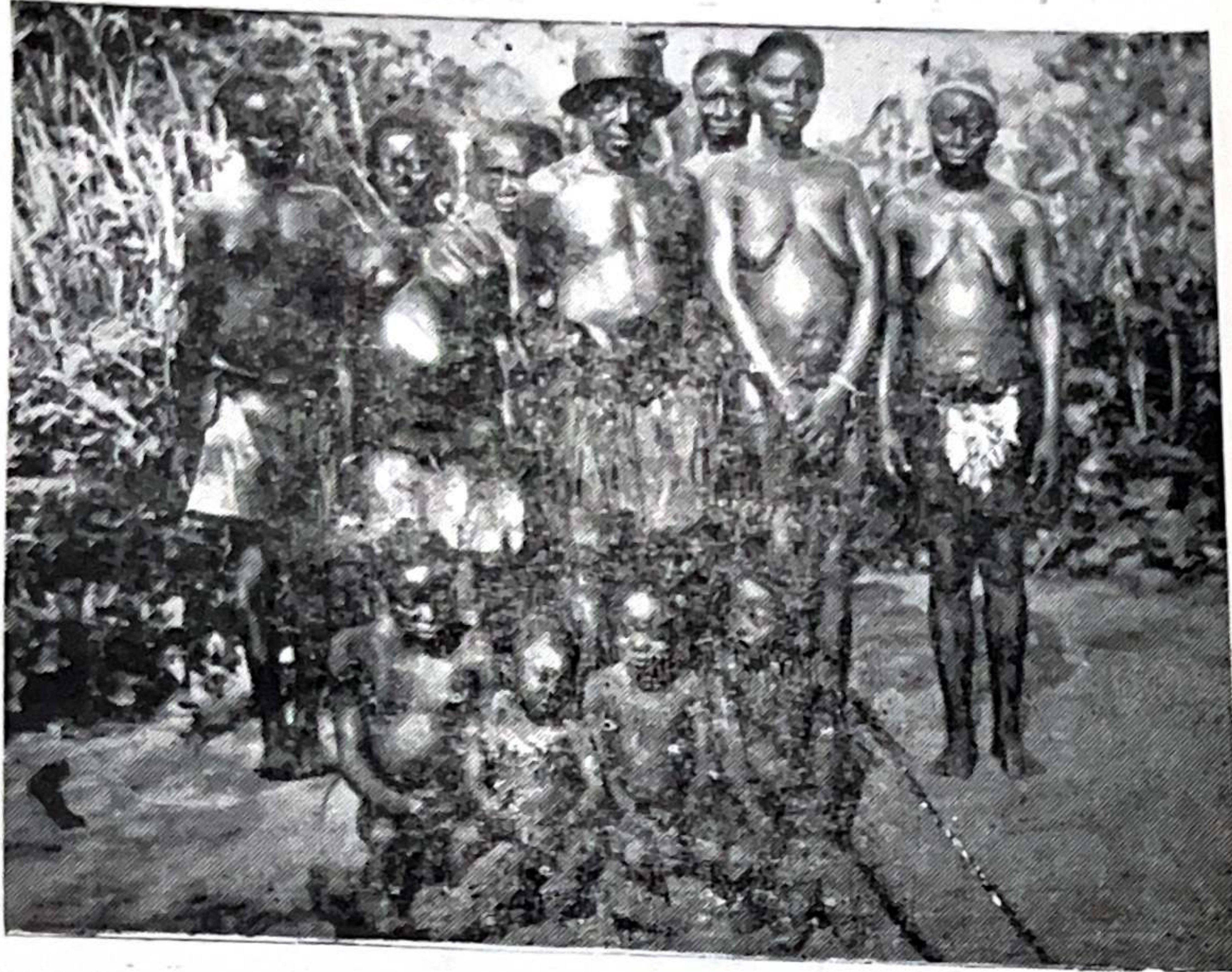
---

(٩) Ibid, p. 197

(١٠) Ibid. p. 328.

(١١) Ibid, p. XII.

(١٢) Ibid. p. 37.



صورة رقم/ ٢٧
رجل من قبائل الأزاندى ومعه بعض زوجاته

ثانيا - عرض لبعض نتائج البحث

أشرنا من قبل، عند حديثنا عن خطة الدراسة بالنسبة للمجتمعات التى جمعت عنها معلومات وافية، أن ساجمان وزوجته كانا يقسمان المادة إلى خمسة أقسام تحت العناوين الآتية: تنظيم الحياة العامة، التزاوج والحياة الأسرية والزواج، الدين، إنزال المطر، الموت وشعائر الجنازات.

وسوف أعرض فى الصفحات التالية الدراسة عن قبائل الدنكا The Dinka كمثال يوضح ذلك (١٣):

١ - تنظيم الحياة العامة: ينقسم الدنكاويون إلى عدة قبائل مستقلة لكل منها إقليمها الخاص بها، كما تنقسم كل قبيلة إلى عدة عشائر. ويوجد فى إقليم كل قبيلة عدة قرى متفرقة. ولا يوجد لدى قبائل الدنكا شخص له السلطة الروحية والزمنية على جميع القبائل، كما هو الحال بالنسبة لذلك عند قبائل الشيلوك. وإنما يوجد فى كل قبيلة، صانع الأمطار ban bith، الذى يعتبر أهم شخص فيها. فهو الرئيس الدينى للقبيلة، كما أنه لديه سلطات دنيوية واسعة. وهناك أيضا الرئيس المسئول عن الماشية ban wut، ويختص بقيادة القبيلة أثناء الحروب، كما أنه هو المسئول عن تقسيم المراعى وتوجيه تحركات الأهالى إليها فى المناطق المختلفة الخاصة بالقبيلة. وبالنسبة للغة، فإن القبائل تتكلم لهجات مختلفة للغة مشتركة.

(١٣) Ibid, p. p. 135–205.

وتتألف الطواطم totems عند الدنكا من حيوانات ونباتات وأشياء طبيعية . والطواطم الحيوانية أكثر انتشاراً من الطواطم النباتية ؛ أما الطواطم غير الحية فهى نادرة .

ومن الطواطم الحيوانية نذكر الثعبان والفيل والتمساح وفرس النهر والأسد والنمر وابن آوى .

ومن الطيور نذكر البومة والحدأة والباشون .

ومن الطواطم النباتية نذكر الخيرزان وأنواع معينة من الاعشاب والأشجار والنخيل تنمو عندهم فى بلادهم . وأما بالنسبة للطواطم غير الحية ، فهناك النار والسحب والمطر .

ولكن ماهى حقيقة الصلة بين الحيوان الطوطم والعشيرة؟ يذكر لنا المؤلفان أن الأهالى لديهم معتقدات كثيرة فى هذا الشأن . فهناك عشائر تعتقد أن الصلة بينها وبين الحيوان الطوطم قد نتجت عن ميثاق بين الحيوان الطوطم وأحد الأجداد . ومن الأمثلة على ذلك عشيرة Luel . فأفراد هذه العشيرة يتخذون التمساح طوطماً لهم. وهم يرددون الأسطورة التالية لتفسير صلتهم بالتمساح (١٤):

« منذ زمن بعيد وجد Luel بيضا لأحد التماسيح. فأخذه معه فى قاربه واتجه به إلى كوخه حيث دفنه فى أرضية الكوخ .وذات ليلة ، فقس البيض وخرجت منه التماسيح الصغار . وعندئذ حضرت التمساح الأم وقادت صغارها إلى النهر . لكنها قبل خروجها من الكوخ خاطبت Luel قائلة : أرجو ألا تلحقوا الأذى بنا ، ونحن بدورنا لن نؤذيكم . كما ينبغى عليكم أن تحزنوا إذا رأيتكم شخصا يقتل أحدا منا ».

(١٤) Ibid, p. 144

وهناك عشائر أخرى تعتقـــد أن الجد الأكبر للعشيرة كان توأما للحيوان الطوطم . فمثلا يعتقد أفراد عشيرة Yicol أن مؤسس العشيرة كان توأما لأسد .

ونظراً لوجود تلك الصلة القوية بين أفراد العشيرة وفصيلة الحيوان الطوطم ، فإنه يتعين عليهم ألا يلحقوا به أذى كما ينبغى أن يظهروا له الاحترام بشتى الطرق . فأفراد العشيرة التى تتخذ نوعا من الشجر طوطما لها يعتقدون أن الرجل الذى يجرؤ على قطع الشجر الطوطم سوف يموت لا محالة . وإذا حدث وألقى أحد أفراد العشيرة خشبها فى النار ، فإن الدخان سوف يدخل فى عينيه ويؤدى إلى إصابته بالعمى . وقد جرت العادة عند أفراد عشيرة الأسد أن يذبحوا له إحدى الأغنام ويتركوها خارج القرية ، ثم يبتهلون ليحضر الأسد ويأكل اللحم الذى قدموه له .

٢ — **القرابة والحياة الأسرية والزواج** : قبل أن يخطب الرجل فتاته التى يريد الزواج بها ، يجب عليه أن يحصل على موافقة رفاقه فى طبقة العمر ، وهم يرافقونه عند ذهابه إلى منزل والد الفتاة لخطبتها .

ويتكون المهر bride - wealth عند العشائر التى تشتغل بالرعى من عدد من الماشية ، أما عند العشائر التى تشتغل بصناعة الحديد فإنه يتكون من قطع من الحديد .

وليس من الضرورى أن يؤجل الفتى زواجه حتى يتم تسديد المهر كله . ولكن يمكن الاتفاق عليه ودفع جزء منه ، ثم يسدد الباقى بعد إتمام الزواج . وفيما يلى بيان بالمهر الذى قدمه أحد أفراد الدنكا إلى زوجته ، مع ملاحظة أن أفراد ..

العشيرة التى ينتمى إليها هـذا الفتى يشتهرون بالفقر ولا يملكون إلا القليل من الماشية :

عدد

١ بقرة أسمها Ayang ومعها ابنتها .

١ عجلة بقر (شبة) أسمها Nalith .

٢ شاه .

وعلاوة على ما تقدم فإن العريس قد قدم أيضا حربتين لصيد فرس النهر وثلاث صفائح من السمن وكميات كبيرة من الأسماك .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الفتى قد حصل على هذا المهر من أقاربه . فلقد قدم له والده البقرة Ayang والشبة Nalith ، كما ساهم كذلك فى دفع باقى المهر عدد من أقاربه .

وبعد دفع المهر إلى أسرة الفتاة ، فقد تم توزيعه بين أفرادها . فالأم أخذت البقرة Ayang . أما الأب فقد أخذ ابنتها ، كما أخذ ابن شقيق والد العروس الشبة Nalith .

وهكذا يتضح لنا أن الفرد لكى يتزوج لابد أن يعتمد على أقاربه للحصول على المهر ؛ ذلك أن بقاء الفتى دون زواج بسبب عدم المقدرة على دفع المهر أمر يسىء إلى جميع أفراد العشيرة .

وفى العادة تنحصر أسباب الطلاق عند الدنكا فى العقم وعدم الوفاء للزوج وعدم مقدرة الزوجة على طهى الطعام جيدا . ولا يعتبر زنا الزوجة مبررا

الطلاق ، فالزانى يجب عليه أن يدفع للزوج غرامة تتراوح بين خمسة و ثمانية رءوس من الماشية .

وعندما تغادر الزوجة منزل أسرتها لتعيش فى منزل زوجها ، فإن أمها تعطيها حلة ومحركين للحساء وعدد من الملاعق .

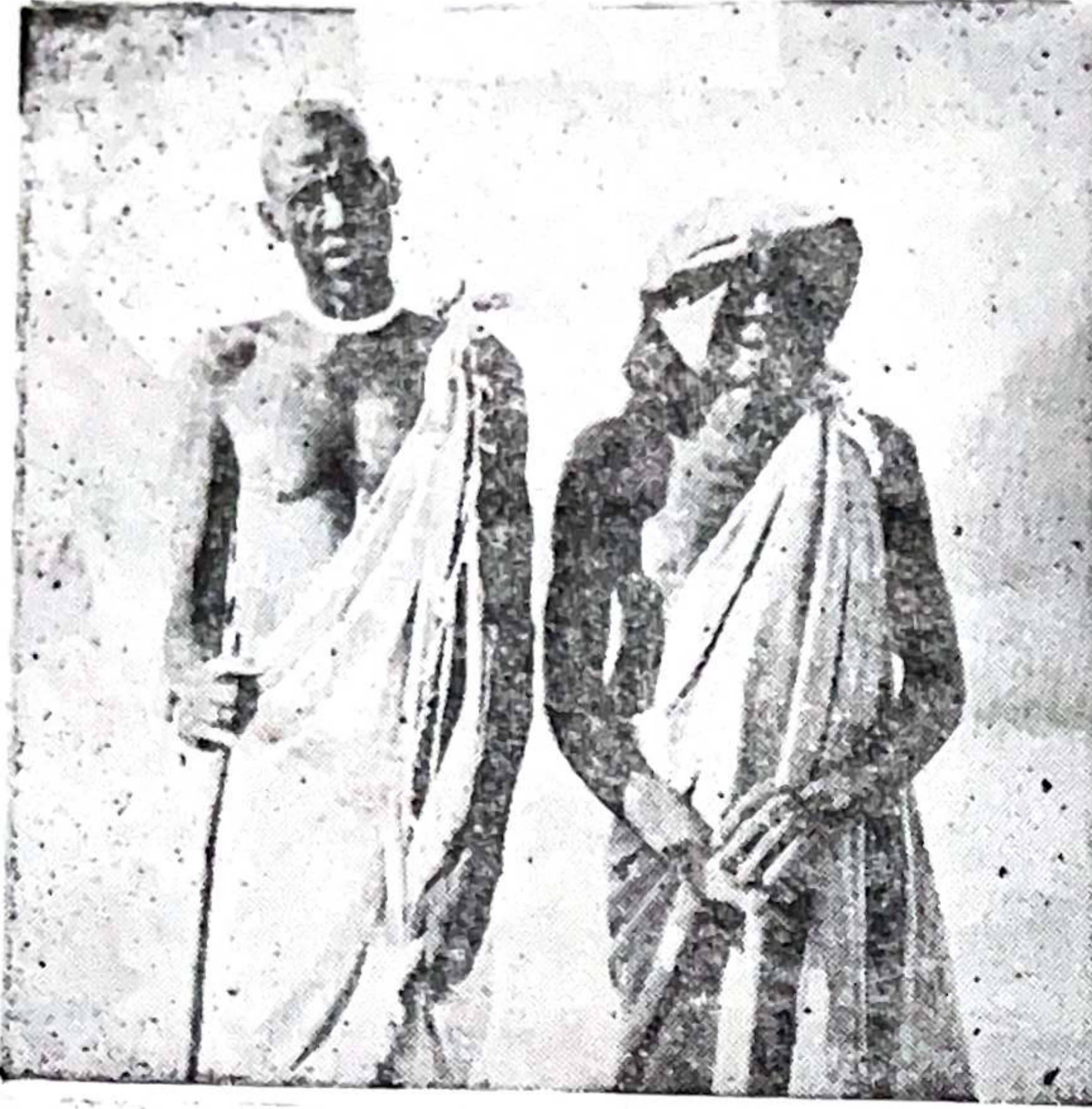
وفى أثناء فترة الحمل والرضاعة تمتنع المرأة عن أكل أنواع معينة من الطعام food taboos مثل لحم الجاموس وأنواع معينة من السحالى . كما يحرم عليها كذلك أكل لحم الميتة ، علماً بأن ذلك ليس محرماً فى مجتمع الدنكا . وإذا لم تراع المرأة هذه القواعد ، فإن طفلها قد يموت بسبب ذلك .

وبالنسبة لتسمية الأطفال ، فقد جرت العادة على أن يسمى الأهالى أطفالهم بأسماء الأجدادوأقارب الأب وأقارب الأم . وهم لا يسمون الطفل عقب ولادته مباشرة وإنما يتركونه بلا تسمية حتى يبدأيحبو . وتوضح لنا دراسة سلاسل الانساب أن كثيراً من الأطفال قد سموا بأسماء تدل على حوادث وقعت وقت تسميتهم . فمثلا سمى أحد الأطفال باسم « Alwot » ومعناه «مطيروبارد» ، وذلك لأنه ولد فى فصل الأمطار أثناء أنتقال الأسرة إلى القرية الخاصة بفصل الأمطار .

ومن مظاهر التغير بالمنطقة (وقت إجراء البحث) أن الختان Circumcision قد أخذ ينتشر بين بعض العشائر هناك . ولا شك أنهم قد تعلموا ذلك من العرب خلال السنوات القليلة الماضية (١٥) .

(١٥) يذكر سلجمان أن الختان قد بدأ ينتشر أيضا فى بلاد الأزندى وكذلك عند قبائل البونجو المتاخمة للأزاندى . وقبل اجراء هذه العملية عند الأزاندى يجب على الأب أن يستعير أحد العرافين . وعادة يتم الختان فى سن تتراوح بين ٩ و ١٤ سنة . أنظر :

Seligman; Ibid p. p. 518 - 519.



صورة رقم / ٢٨
رجلان من قبائل الشيلوك



صورة رقم / ٢٩
مساكن الدنكا فى فصل الأمطار . ويلاحظ أنها قد أقيمت على ركائز من خشب الأشجار .

(٣)

الدين

يرى سلجمان أن قبائل الدنكا والنوير تعتبر أكثر قبائل جنـوب السودان تدينا . والدنكا يعبدون إلها يوجـد فى السماء يدعى « Nhialic » . وهو الذى خلق العالم ونظم الكون ، كما أنه هـو الذى يرسل الأمطار « من مكان الأمطار فى السماء » .

ويعتقد الدنكا أيضاً فى وجود كائن روحى آخر يسمى « دنجديت » « Dengdit » ، وهو يلى « Nhialic » فى المكانة . وهنـاك أيضاً أرواح الأسلاف ancestral spirits التى يقدسها الأهالى ويعتبرونها جزءاً أساسياً من ديانتهم .

وبالنسبة للصلاة prayer فإنه لا توجد لديهم مجموعة محددة من النماذج أو الصيغ ، وإنما هم يبتهلون إلى الله فى عبارات عادية بسيطة كى يجيب لهـم حاجتهم .

ويقدم الأهالى القرابين إلى « دنجديت » عند أحد الأضرحة shrines التى تنتشر فى مختلف أرجاء بلاد الدنكا . ويتكون الضريح من ثلاثة أكـواخ ، ويعتقد الأهالى أن أحدها هو مقام أو منزل « دنجديت » . وتحتوى الأضرحة على أشياء مقدسة مثل الحراب والدروع والأوانى . . الخ . ويعتقد الأهالى أن « دنجديت » هو الذى أحضر كل هذه الأشياء عندما هبط إلى الأرض منذ زمن بعيد . ولا تفتح أبواب الأضرحة إلا نادراً كما أنه لا يسمح لأحد بدخولها إلا لخدام الضريح فقط . وحينما يرغب أحـد الأهالى فى تحقيق إحدى الأمنيات ، كأن يرزق طفلاً مثلا ، فإنه يأخذ معه قرباناً من الماشية ويطلب من « دنجديت »

أن يحققها له . وقد جرت العادة على أنه لايجوز لأى فرد أن يذبح القربان إلا إذا حضر «دنجديت» فى المنام لأحد خدام الضريح وأمره بقبولها . وقبل أن يغادر مقدم القربان المكان يقوم أحد الخدام بأخذ مقدار من التراب من المنطقة المحيطة بالضريح ويخلطه بالزيت ، ثم يدعك به جسم مقدم القربان .

ويعتقد الأهالى أن كل إنسان يوجد بداخله «روح atiep» . وعند الوفاة تقفز الروح من الجسد ، لكنها تظل قريبة من مسكن المتوفى أو من المكان الذى دفن فيه فترة من الزمن . ويرى الأهالى أن الأرواح التى تحوم حول مساكنهم هى التى تسبب الأحلام . فقد تحضر روح الأب أو الأم أو أحد الأجداد فى المنام وتطلب طعاماً . وفى هذه الحالة يصنع الطعام (من دقيق ممزوج بالسمن) ويوضع فى إناء ثم يترك فى أحد أركان الكوخ حتى المساء . وعندئذ يقوم الرجل بأكل الطعام إما بمفرده أو بالاشتراك مع أحد أفراد عشيرته . وإذا لم يقم المرء بتلبية طلب الأرواح ، فإنها قد تسبب المرض له أو لزوجته أو لأولاده .

ولكن إذا كانت الأرواح فى حالة غضبها ، ترسل الأمراض وسوء الحظ إلى الأحياء من الأقارب ، فإنها هى التى تحميهم من الكوارث وتقدم لهم المساعدات فى أوقات المحن والشدائد . فإذا ماتقدم رجل لصيد أحد أفراس النهر ، فإنه يتوسل إلى أرواح أجداده أن تساعده . وهم يعتقدون أن الروح تسمع النداء وتهب لنجدته فتدخل فى جسده وتمده بالقوة اللازمة . وبعد إنتهاء العملية وزوال الخطر ، تسارع الروح بالخروج من الجسد .

ونظراً لأن الأهالى يعتقدون أن الأرواح هى التى تسبب المرض لهم ، فإن الوسيلة الوحيدة للعلاج عندهم هى تقديم الذبائح قربانا لدنجديت أو لأرواح

أسلافهم . ويوجد فى بلاد الدنكا أفراد من الجنسين لديهم القدرة على رؤية الأرواح والاتصال بها ، وهم يطلقون عليهم «tiet» . ويعزو الأهالى ما لدى هؤلاء الأفراد من قوى إلى حلول أرواح الأسلاف فى جسدهم . وهذه المهنة ، فى العادة ، تكون وراثية . فعند وفاة أحدهم تخرج الروح من جسده (روح السلف الحالة فى جسده) وتحل فى جسد أحد من أقاربه يحدده هو شخصياً قبيل وفاته . ومن مظاهر حلول روح أحد الأسلاف فى جسم الانسان الإصابة بالارتجاف وفقدان الوعى فى بعض الأحيان . ويلجأ الأهالى إلى هؤلاء الأفراد لتشخيص الأمراض وعلاجها . وتتلخص طريقة العلاج فى تحديد الروح التى سببت المرض أولا ، ثم تحديد خطوات العلاج الذى ينحصر أساساً فى تقديم القرابين من الماشية . وعلاوة على علاج المرضى ، فإن الأهالى قد يقصدونهم للاستشارة فى حالات ضياع الماشية وكذلك بالنسبة لما قد يعترضهم من مشكلات فى حياتهم اليومية .

(٤)

إنزال المطر

تعتقد قبائل الدنكا أن «صانع الأمطار *ban bith*» لديه الحكمة وبعد النظر أكثر من غيره من أفراد القبيلة (١٦) . وهم يرجعون ذلك إلى حلول روح

(١٦) من دراسة سلجمان لصانع الأمطار عند الدنكا ، نلاحظ أن جميع صناع الأمطار الذين أشار اليهم كانوا جميعا من الذكور . ويهمنا أن نوضح أن ذلك لايعنى أن هذه الوظيفة قاصرة على الرجال فقط ، فعند قبائل اللوتوكو ، كما ذكر سلجمان نفسه ، نجد أن كثيرا من صناع الأمطار كانوا من النساء Women rain — makers .

أنظر سلجمان : Ibid, p. p. 326 — 327



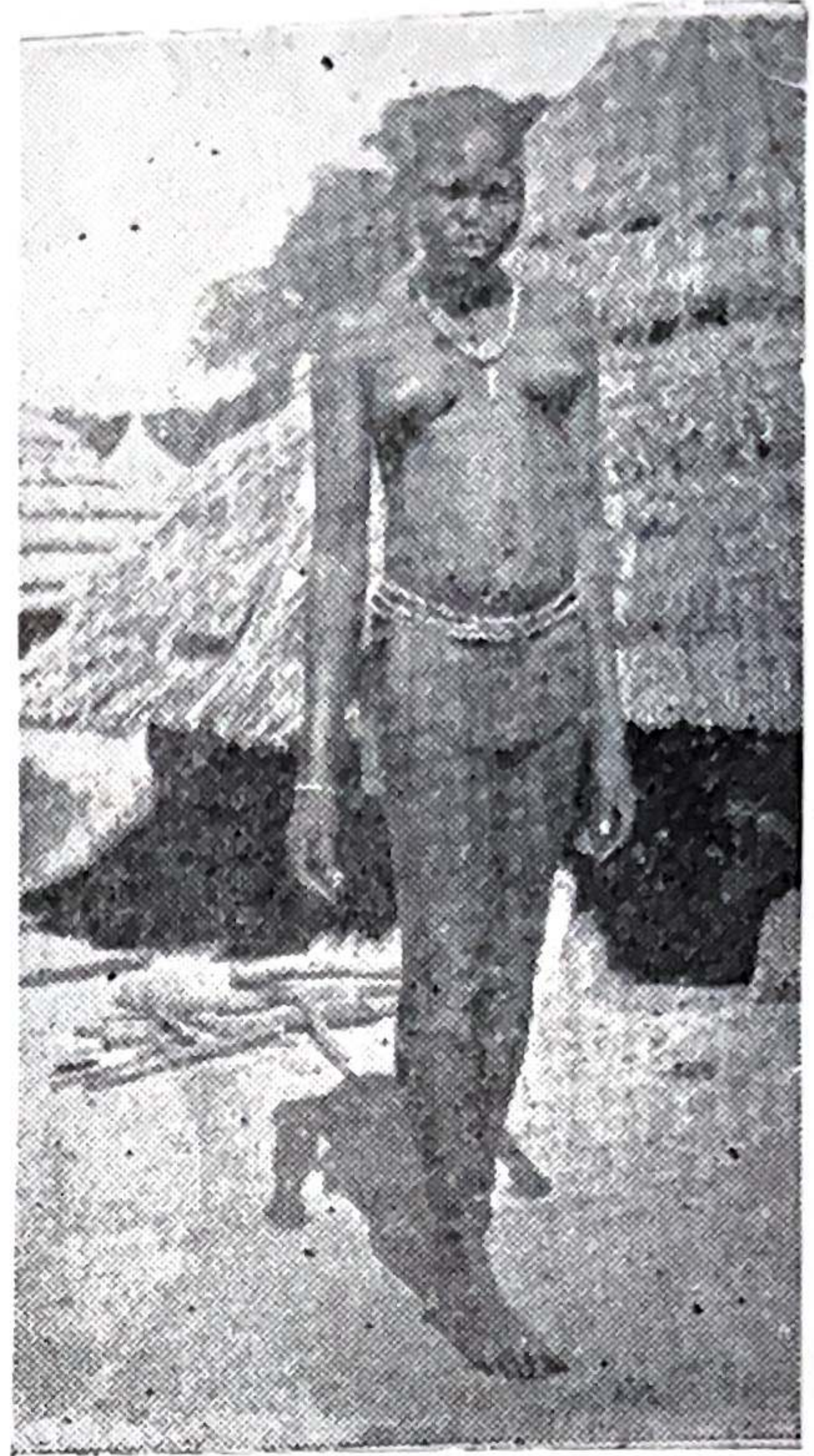
صورة رقم/ ٣٠
صانعة الأمطار عند اللوتوكو (إلى اليسار) ومعها إحدى النساء

أحد الأسلاف العظام the pirit of a great ancestor في جسده. كما يعتقدون أيضاً أن «صانع الأمطار Rain — maker» لديه قدرات عديدة. فهو يستطيع أن يشفى المرضى إذا ما حرك إحدى حرابه المقدسة فوق رءوسهم. وهو القادر على أن يهلك أعداءه إذا ما صب عليهم اللعنات. وعلاوة على ما تقدم فهو الذى يستطيع أن ينزل الأمطار إذا ما اشتد الجفاف. ففى شهر أبريل تقريباً من كل عام يتجه إليه الأهالى ويرجونه أن يتوسل إلى الروح الخاصة بالمطر «لربيو Lerpio» لكى ترسل لهم الأمطار. وفى بعض الأحيان يرفض صانع الأمطار طلبهم بحجة أن الروح الخاصة بالمطر لن تستجيب لدعائه. وفى أحيان أخرى يطلب منها ضحية، ويخبرهم أنه سوف يقوم بالدعاء لجلب الأمطار بعد ذبحها.

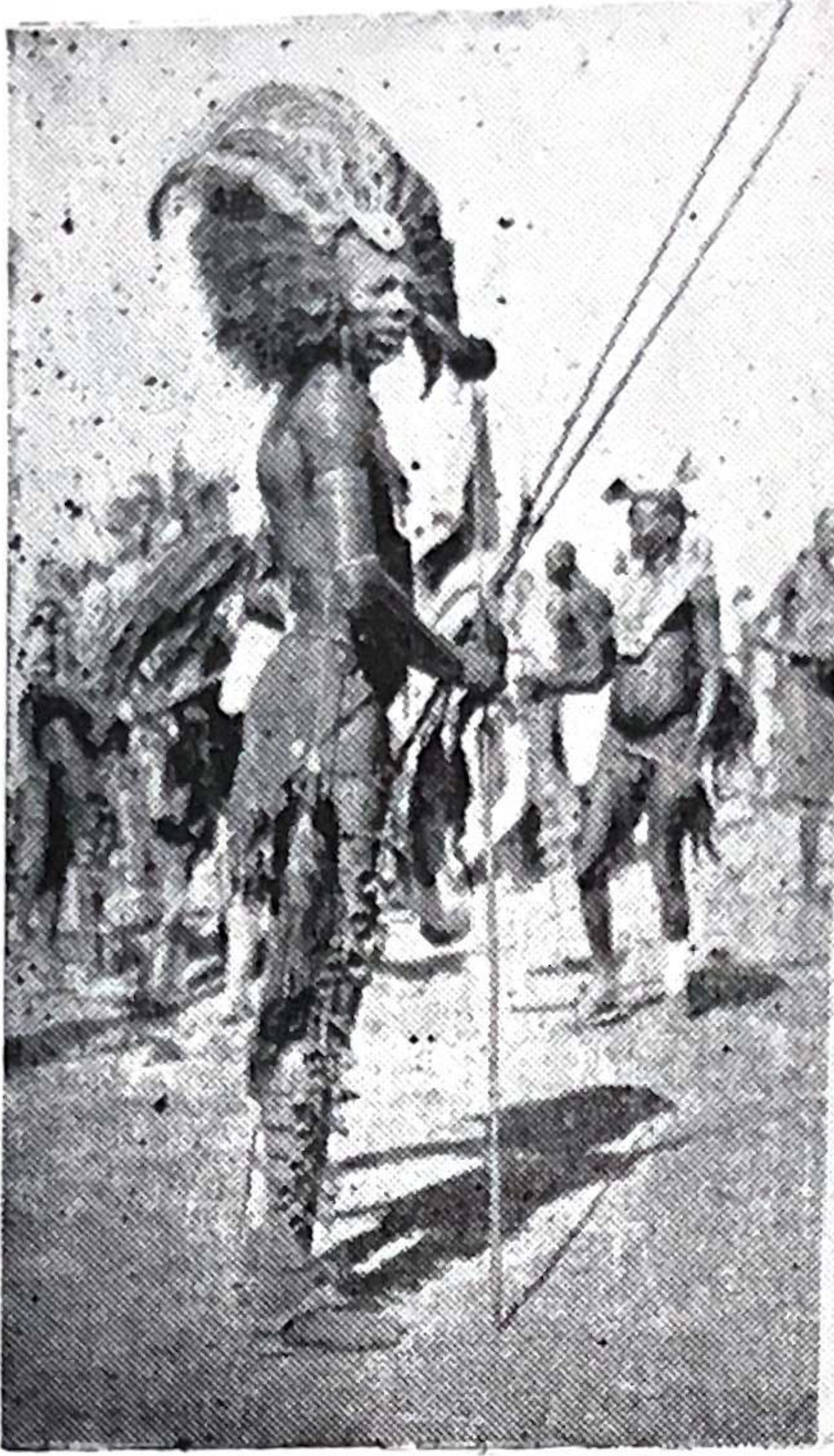
ويعتقد الأهالى أن الروح الخاصة بالمطر «لربيو» تقيم بصفة دائمة فى الضريح الخاص بالمطر rain - shrine.

ويحتوى الضريح على حربة مقدسة يطلقون عليها اسم «لربيو» أيضاً. ويوجد أمام الضريح عمود مصنوع من الخشب أو الأبنوس يضع عليه الأهالى قرون الثيران التى يذبحونها قرباناً لروح المطر.

وتقام الطقوس الدينية الخاصة بإنزال المطر حول الضريح. ففى الصباح يحضر الأهالى ثورين ويقوم صانع الأمطار بسحبهما باليد مرتين حول الضريح. ثم يربطهما بعد ذلك فى العمود المقام أمام الضريح. ويدق الأهالى الطبول كما يرقص الرجال والنساء والأولاد والبنات حول الضريح. ويظل الأمر كذلك حتى يتبول الثوران، وعندئذ يتزاحم الناس ليأخذ كل منهم قدراً من البول



صورة رقم/ ٣١
فتاه من قبائل البارى



صورة رقم/٣٢
رجل من قبائل الباري وهو
يرتدى حلة الرقص

ويدلك به جسده . وبعد ذلك ينطرف الحاضرون ما عدا المسنون منهم. ثم يقوم صانع الأمطار بقتل الثورين بحربته . وأثناء إعداد الذبيحة يترنم الحاضرون « ياسلفنا لربيو ، لقد أحضرنا لك قربانا . ونحن نرجو أن تشملنا برضاك وتعمل على إنزال الأمطار لنا » .

ويقوم الأهالى بجمع دم الضحية فى وعاء ثم يطهى على النار ليأكله المسنون من أفراد العشيرة . كما يطهى لحم الضحية أيضاً ، ويأكل الأهالى جزءاً منه ويضعون الجزء الباقى داخل ضريح المطر . وأما القرون فإنها تعلق على العمود الموجود أمام الضريح .

(٥)

الموت وشعائر الجنازات

تختلف طريقة دفن الموتى من عشيرة إلى أخرى ، بل ومن شخص إلى آخر .

فعند « البور Bor » يحفر إخوة المتوفى قبرا له خارج الكوخ ، وبالذات على يمين باب الكوخ . ثم يقومون بحمل الجثة ويضعونها فى القبر على جانبها الأيمن . وهم عادة يضعون تحتها وفوقها بعض جلود الحيوان ، ثم يهيلون عليها التراب بعد ذلك .

هذا بالنسبة لعامة الشعب عندهم ، أما إذا كان المتوفى من الرؤساء ، فإن الأشخاص الذين يحفرون القبر يظلون فوقه أو بالقرب منه مدة ثمانية أيام .



صورة رقم / ٣٢
مجموعة من الرجال من قبائل الباريا

ويذبح أهل المتوفى لهم بقرة يأكلون منها طوال هذه الفترة . ويجب على أهل الميت أن يمتنعوا عن شرب اللبن خلال فترة الحداد .

وعند « السيك Cic » يتم دفن الموتى من الرجال خارج الكوخ سواء على يمين الباب أو على يساره ، فى حين أن المرأة تدفن داخل الكوخ (١٧) . أما الرئيس المسئول عن الماشية bau wut ، فإنه يدفن فى حظيرة الماشية . وينثر الأهالى الرماد وروث الماشية فوق قبره ، كما أنهم يصبون اللبن عليه أيضاً .

عند وفاة أحد أفراد العشيرة ، فإن إخوته ، بالاشتراك مع بعض أفراد العشيرة ، يقومون بحفر قبر له . وتوضع الجثة على جانبها الأيمن وبحيث تكون يد المتوفى اليمنى تحت رأسه . ويضع أهل المتوفى جلد أحد الحيوانات تحت الجثة ، كما يضعون أيضا قطعة من فروة الغنم فوق أذنه لتمنع التراب من الدخول فيها .

---

(١٧) يهمنا أن نشير إلى أن عادة دفن الموتى داخل المنازل توجد أيضاً عند الأزاندى فى جنوب السودان وكذلك عند سكان جزيرة تيكوبيا فقط. الأزاندى يحفر الأهالى قبراً للموتى داخل المنزل يتراوح عمقه بين ٦ و ٧ أقدام ، ثم توضع الجثة فيه وبجانبها قطع من العقود وخواتم وسكاكين . وبعد ذلك يهال عليها التراب . وفى حالة وفاة الزوجة فإن الزوج يهجر المسكن ويذهب ليقيم مع أحد أقاربه . كما أن الزوجة اذا توفى زوجها تهجر المسكن كذلك .

أنظر : Seligman, Ibid; p. p. 534.535.

وعند سكان تيكوبيا Tikopia يدفن الأهالى موتاهم داخل مساكنهم . وهم يخصصون مكاناً معيناً بداخلها لدفن الموتى من الأسرة يطلقون عليه إسم «ماتاناهو» ولكنهم لا يهجرونه منازلهم بعد حدوث الوفاة ، كما هو الحال عند الأزاندى . انظر :

Raymond Firth, *We, The Tikopia*, (London 1957) p p. 76 - 77.

ويتجمع أقارب المتوفى حول القبر يعبرون عن حزنهم لمصابهم . ومن مظاهر الحزن عندهم أنهم يضعون التراب فوق رؤوسهم ويرفعون أصواتهم بالعويل. ويظل والد المتوفى وإخوته حول القبر مدة أربعة أيام ليلا ونهاراً . وفى خلال تلك الفترة يمتنعون عن شرب اللبن والاقتراب من البقر. وبعد انتهاء هذه الفترة يقومون بالاستحمام ويحل لهم شرب اللبن بعد ذلك .

وهذا ويهمنا أن نشير إلى أن الأهالى قد اعتادوا أن يضعوا قلة الماء ، التى كان يشرب منها المتوفى أثناء حياته ، مقلوبة فوق القبر . كما جرت العادة كذلك على وضع حرابه وعصيه فوق القبر لمدة أربعة أيام ، ثم يقومون بعد ذلك بتوزيعها على أقاربه من الذكور .



صورة رقم / ٣٤
نائب أحد الأمراء يمسك سكينا فى يده

الفصل الثامن

قبائل الأزاندى

إ. إ. إيفانز بريتشارد

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد إيفانز بريتشارد سنة ١٩٠٢ (١) . وبعد أن حصل على درجته الجامعية الاولى من جامعة أكسفورد ، توجه إلى جامعة لندن لدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وقد تتلمذ هناك على مالينوسكى ؛ كما اتصل أيضا بسلجمان ونشأت بينهما صداقة وطيدة . ولا شك أن حياته العلمية قد تأثرت إلى حد بعيد نتيجة لتلك الصلة القوية التى نشأت بينه وبين أستاذه سلجمان ؛ فهو يعتبر المسئول الأول عن توجيهه لدراسة قبائل جنوب السودان فى الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩١٦ .

وفى سنة ١٩٣١ حضر إيفانز بريتشارد إلى مصر وقام بتدريس علم الاجتماع بالجامعة المصرية بالقاهرة (١٩٣١ — ١٩٣٤) . وقد تعلم اللغة العربية خلال إقامته بالقاهرة ، كما درس تاريخ العرب أيضا .

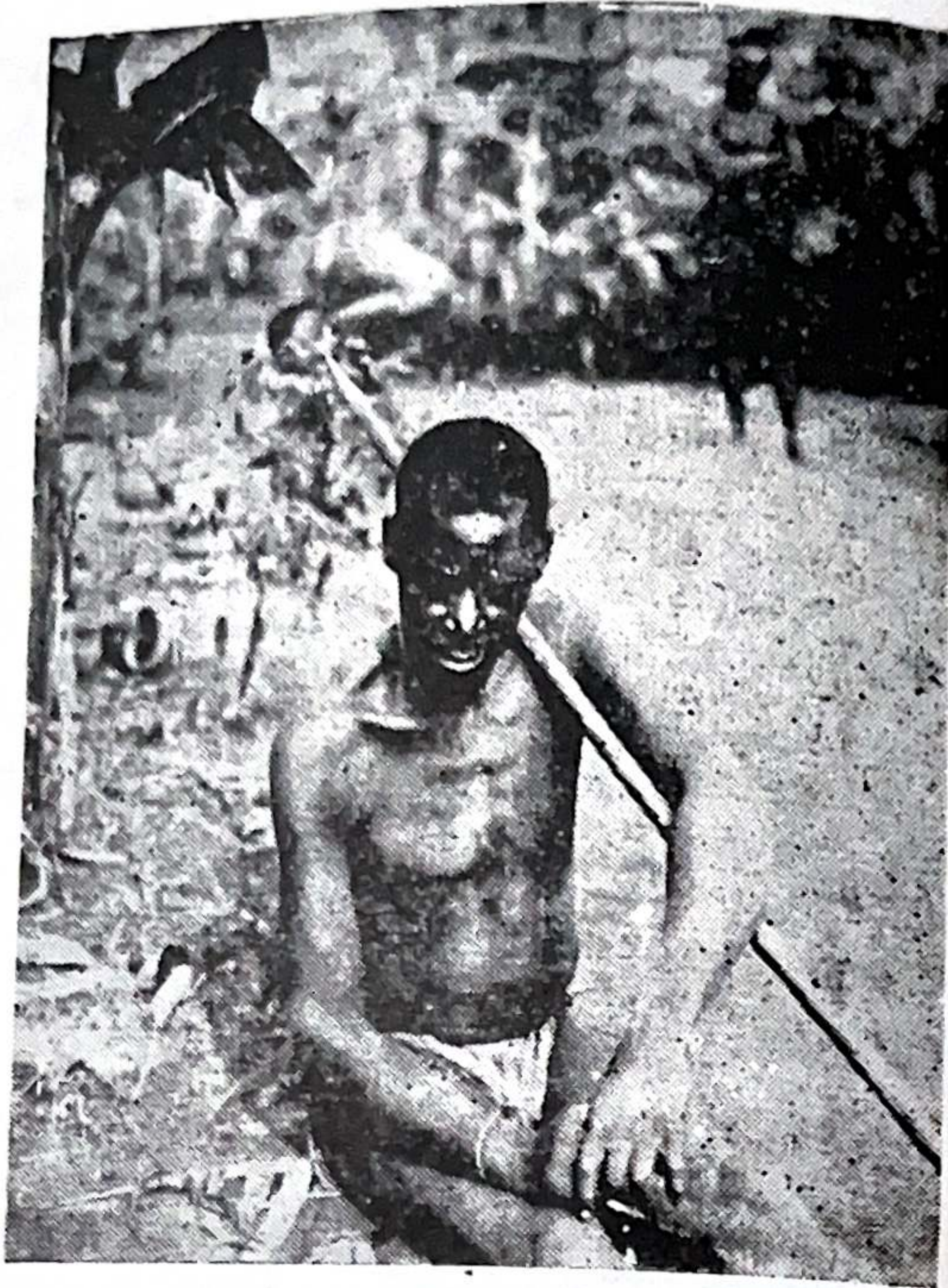
(١) البيانات المذكورة هنا من تاريخ ميلاد الأستاذ إيفانز بريتشارد وكذلك من الجامعات التى درس بها قد حصلت عليها من خطابه الذى أرسله إلى بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٦٨ .

وفى سنة ١٩٤٢ عينته الحكومة البريطانية فى وظيفة سياسية فى برقة ، وقضى هناك مدة عامين زار خلالها كثيرا من المناطق وتعرف على أحوال البدو . كما اهتم أيضا خلال تلك الفترة بدراسة تاريخ السنوسيين ؛ وقد نشرت نتائج الدراسة فى سنة ١٩٤٩ .

هذا ويهمنا أن نشير كذلك إلى أن الأستاذ إيفانز بريتشارد قد مارس التدريس بالجامعات فترة طويله من الزمن .

ومن مؤلفاته نذكر :

Witchcraft Oracles And Magic Among The Azande; The Nuer . A Description of The Modes of Livelihood And Political Institutions of A Nilotic People; Kinship And Marriage Among The Nuer; Nuer Religion; Social Anthropology and Other Essays; African Political Systems **(Edited with M. Fortes).**



صورة رقم/ ٣٥

رجل أعمى

أولا – لمحة عن منطقة الأزاندى

يعيش الأزاندى the Azande (نيام نيام Nyam-Nyam) فى أقصى جنوب السودان . وتتسم المنطقة التى يعيشون فيها بوجود الأعشاب الطويلة (السفانا) والغابات ، كما ترتفع درجة الحرارة وتسقط الأمطار فى أغلب شهور السنة . ويكثر هناك ذباب « تسى تسى tsetse » الذى يسبب مرض النـــوم Sleeping sickness . والمهنة الأساسية عندهم هى الزراعة ، وهم يتبعون فى زراعتهم طريقة الزراعة المتنقلة Shifting agriculture . ومن الظواهر الغريبة فى حياة الأزاندى عدم وجود الماشية Cattle عندهم(٢) ؛ فمن المعلوم أن الزراعة ترتبط دائما بتربية الماشية فى معظم الحضارات . ومن النباتات التى توجد هناك نذكر الذرة والبطاطا والفول السودانى والموز . ويحرص الأهالى على تربية الدجاج فى مساكنهم وبصفة خاصة لأغراض تتعلق بالعين الشريرة (٣) .

وقد اشتهر الأزاندى بمهارتهم فى الصناعة ، ويوجد بينهم صناع مهرة فى الحدادة وصناعة الفخار والنقش على الخشب . ومن ناحية الملبس فهم أنصاف(٤) عراة .

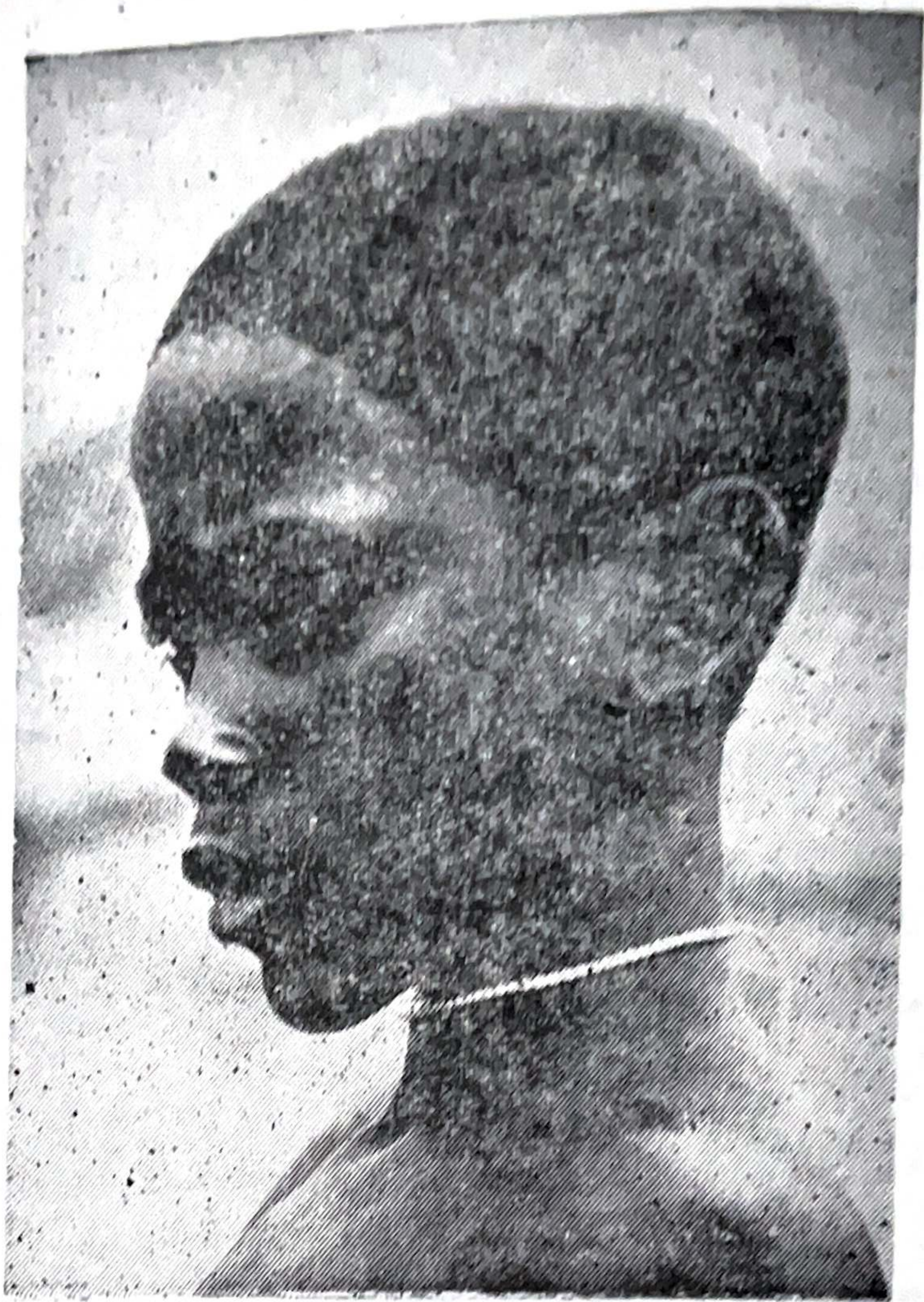
ويذكر إيفانز بريتشارد — اعتماداً على خبرته الشخصية وكذلك بناء على أقوال غيره من الانجليز الذين يعيشون بالمنطقة — أن الأزاندى يتسمون بالمرح والوداعة ودماثة الخلق والكرم . كما يذكر أيضا أنهم يستطيعون التكيف بسهولة مع الظروف

---

(٢) E. E. Evans-Pritchard, *Witchcraft, Oracles, And Magic Among The Azande* (Oxford. 1937), p. 17.

(٣) Ibid, p. 281.

(٤) فى عام ١٩٥٤ زار الاستاذ الدكتور على احمد عيسى (استاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة الاسكندرية سابقا) منطقة الأزاندى ، وبعد عودته من هناك ألقى محاضرة =



صورة رقم/٣٦
ولد من الأزاندى

التى قد تطرأ على حياتهم، وأن يقلدوا سلوك غيرهم ممن يرون أنهم أسمى منهم من الناحية الثقافية (٥).

وفى الماضى كان الأزاندى يعيشون فى مساكن غير متقاربة، ومن ثم فإنهم لم يعرفوا نظام الحياة القروية قبيل دخول الحكم المصرى الانجليزى. لكن الحكومة قد أجبرت الكثيرين على التجمع والسكن فى مستعمرات أقامتها لهم (٦).

وتتكون الأسرة من الزوج والزوجة (أو الزوجات) والأطفال. ويلاحظ أن المسنين يتمتعون بمكانة عالية، كما يلاحظ كذلك أن مكانة المرأة أدنى كثيرا من مكانة الرجل. وينتشر هناك نظام تعدد الزوجات وبصفة خاصة بين الرؤساء.

ومن الناحية الطبقية. ينقسم مجتمع الأزاندى إلى ثلاث طبقات classes هى: طبقة الأفونجارا Avongara وهى أعلى طبقة بالمجتمع، ثم طبقة «الامبامو Ambamo» ثم طبقة الأورو Auro». وطبقة الأفونجارا طبقة مغلقة؛ فالمرتبة الاجتماعية بالنسبة لأفرادها ترجع إلى عامل المولد birth فقط. وتنفرد هذه الطبقة بالحكم فى البلاد، ويتسم أفرادها بميلهم إلى التعالى والمحافظة على القديم، كما أنهم يحتقرون رعاياهم ويكرهون غزاتهم الأوربيين. وعلاوة على ما تقدم، فإنهم يحتقرون العمل لإنتاج الطعام، وهم يعتمدون على الشعب Commoners

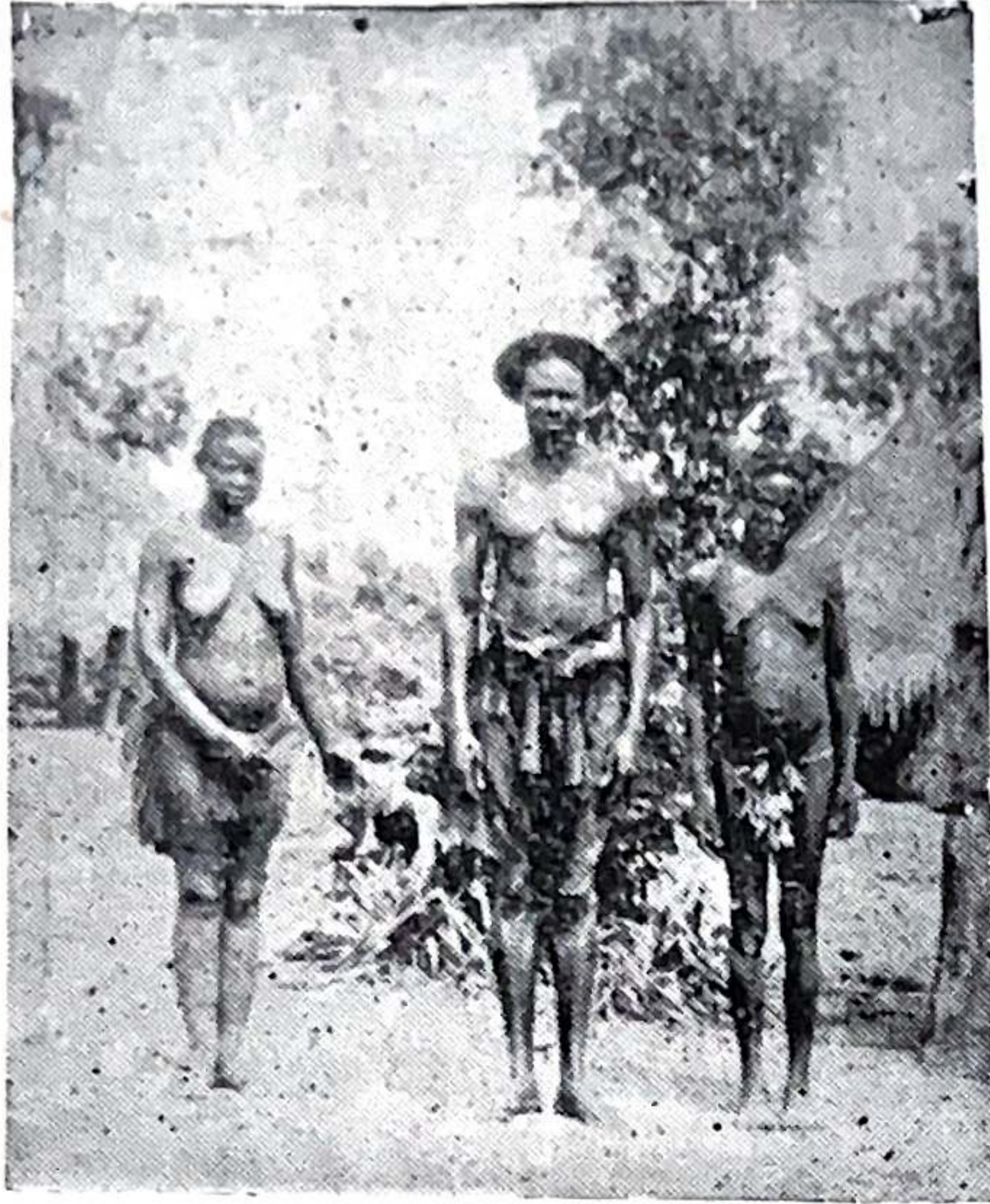
---

= من الأزاندى وعرض عددا من الصور الفوتوغرافية لهم. وقد اتضح لنا أن الكثير من الأهالى لازالوا أنصاف عراة بالرغم من إدخال زراعة القطن بالمنطقة. انظر:

على احمد عيسى: نتائج بعثة جامعة الاسكندرية إلى مجتمع الأزاندى «نيام نيام». المحاضرة السابعة من المحاضرات العامة فى العام الجامعى ١٩٥٦/٥٥)، ص ١٥.

(٥) Evans—Pritchard, op. cit. p. 13.

(٦) Ibid; p. p. 14-15



صورة رقم / ٢٧
رجل يقف أمام مسكنه ومعه اثنتان من زوجاته

الحصول على ضروريات الحياة. ويذكر إيفانز بريتشارد أن الرجل الانجليزى الذى يعيش فى بلاد الأزاندى يستطيع أن يميز بسهولة بين الفرد من طبقة الأفو نجارا وغيره من عامة الشعب وذلك بملاحظة طريقة المشى وطريقة الحديث وتعبيرات الوجه والأيدى التى لم تتعود الكدح سعيا وراء الرزق.

ويعتقد الأزاندى فى تأثير العين الشريرة وقدرة العرافين والسحرة؛ ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة أثناء حياتهم اليومية.

هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن إيفانز بريتشارد لم يغفل دراسة التطور الذى طرأ على حياة الأزاندى نتيجة لدخول الحكم المصرى الانجليزى هناك سنة ١٩٠٥ عندما قتل آخر ملوكهم على يد القوات الحكومية. فطبقة الأفو نجارا قد قل نفوذها بانتهاء حكم ملوكهم. كما أن القوانين الجديدة لا تعترف بالعين الشريرة witchcraft ولا بالعرافين Oracles، هذا فضلا عن أنها لا تسمح بالأخذ بالثأر بسبب العين الشريرة. ولقد أثر الحكم الجديد أيضا على الأسلوب التقليدى لحياتهم. فالحكومة قد منعت الأهالى من عبور حدود السودان سواء بغرض التجارة أو لزيارة الأقارب، كما أجبر الكثير منهم على هجر مساكنهم المتباعدة عن بعضها والانتقال إلى المستعمرات Settlements التى أقامتها الحكومة لهم.

ثانياً - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - تمويل البحث: قدمت حكومة السودان الجانب الأكبر من نفقات البعثات، كما حصل إيفانز بريتشارد أيضا على منحة من الجمعية الملكية The Royal Socity. وعلاوة على مساهمة الحكومة فى نفقات البعثات، فإنها قد ساهمت فى نشر نتائج البحث أيضاً (٧).

٢ - الغرض من البحث: يشير سلجمان Seligman فى مقدمته(٨) التى كتبها لكتاب Witchcraft, Oracles And magic Among The Azande أن إيفانز بريتشارد قد تتلمذ على يديه فى جامعة لندن. كما يشير كذلك إلى أنه يعتبر المسئول الأول عن توجيهه لدراسة قبائل السودان الجنوبى. فعندما اشتد به المرض، اقترح على الحكومة أن تعهد إلى إيفانز بريتشارد بمواصلة تلك الأبحاث هناك. وقد وافقت الحكومة على ذلك الاقتراح. وبذلك قدر له أن يتجه إلى السودان وأن يعمل هناك لمدة عشر سنوات خلال الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٦.

٣ - مدة الدراسة الحقلية: أجرى هذا البحث فى الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٠. وقد بلغت جملة الشهور التى قضاها هناك خلال تلك المدة عشرون شهراً فقط. ويلاحظ أنه كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى تحليل المادة التى جمعها من الميدان واستشارة العلماء للاستفادة بآرائهم. ومن العلماء الذين

---

(٧) Ibid, p. vii

(٨) Ibid, p p. xv-xxv.



صورة رقم /٣٨
أول مخبر لإيفانز بريتشارد فى بلاد الأزاندى

استشارهم تذكر ساجان وشابيرا Sel apera وفورتس Fortes (٩) . ويذكر إيفانز بريتشارد أن الحكومة قد قدمت له كافة التسهيلات اللازمة ومنحته حرية التنقل بين أرجاء المنطقة فى أى وقت يشاء . كما أنه يذكر بالفضل أيضاً رجال الإدارة وأعضاء البعثات التبشيرية the mission staffs لمـا قدموه من مساعدات (١٠) .

٤ - **وسائل جمع البيانات** : يذكر إيفانز بريتشارد أنه قد اعتمد كثيراً على القاموس الذى أعده الأب Lagae والأب Van den plas عن لغة الأزاندى(١١) . كما يذكر أيضاً أنه اطلع على المقالات التى نشرها الأب Lagae فى مجلة *Sudan Notes and Records* عن العرافين والعادات المتعلقة بالولادة .

وعلاوة على ماتقدم ، فقد اطلع على ماكتبه الرحالة والعسكريون عن المنطقة واستفاد منها (١٢) .

كما أقام إيفانز بريتشارد بمنطقة البحث مدة عشرين شهراً استخدم خلالها لغة الأزاندى أنفسهم واعتمد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة لجمع البيانات. وفى كثير من الأحيان نجد أنه كان يلجأ إلى الملاحظة بالمشاركة حتى يتمكن من التعرف على

---

(٩) Ibid, p. viii.

(١٠) Ibid, p. vii

(١١) Ibid, p. 5.

(١٢) من كتب الرحالة التى رجع اليها واستفاد منها نذكر :

Wilhelm Junker, *Travels in Africa during the years 1879—1883.*

بعض جوانب حياتهم الاجتماعية بطريقة سليمة . فهو مثلا يذكر أنه قد وجد أن أفضل طريقة لملاحظة عملية استشارة السم ، هى القيام بنفس العمليات التى يقوم بها الأهالى فى هذا الشأن . ومن ثم فإنه كان دائما يحتفظ عنده فى مسكنه بكميات من السم العراف لاستشاراته الخاصة وكذلك من أجل جيرانه الذين كانوا كثيراً مايحضرون إلى مسكنه ومعهم الدجاج لاستشارة السم العراف فيما يتعلق بمشاكلهم التى تواجههم فى حياتهم . وبذلك كانت لديه الفرصة مهيأة لان يرى مثل هذه العملية وهى تجرى أمامه فى مسكنه عديداً من المرات . وفى أثناء ملاحظة عملية الاستشارة ، كان يسأل الأهالى عن النقاط التى قد تكون غامضة بالنسبة له (١٣) .

وبالنسبة لدراسة الحالات الماضية والتى لم يعد لها وجود وقت إجراء البحث فقد رجع ايفانز بريتشارد إلى المسنين من الأهالى للحصول على بيانات عنها .

كذلك نجد أنه قد اعتمد على المخبرين informants لدراسة الموضوعات التى تعذر عليه شخصياً ملاحظتها وقت إجراء البحث . ومن الأمثلة على ذلك دراسته لطريقة جمع السم العراف فى الكونغو البلجيكى . فهو يذكر أنه كان ينوى أن يسافر إلى الكونغو لملاحظة ذلك بنفسه ، إلا أن المرض الشديد الذى أصابه قد حال دون إتمام ذلك (١٤) . ومن ثم فقد اعتمد على أقوال المخبرين من الأهالى . هذا ويهمنا أن نشير إلى أنه كان يعتمد على المخبرين من ذوى الخبرة الطويلة بالموضوعات التى يرغب فى الاستفسار عنها . فمثلا نجده يحصل على

---

(١٣) Ibid, p.p 269 - 270.

(١٤) Ibid, p. 270

معلومات عن الرحلات التى يقوم بها الأهالى لجمع «البنجى» من الكونغو البلجيكى من مخبر ، له خبرة طويلة بإعداد مثل هذه الرحلات (١٥) » .

كما لا يفوتنا أن نشير هنا أيضا إلى أن إيفانز بريتشارد كان يحرص دائما على أن يبين للقارىء مصدر البيانات التى ذكرها فى الكتاب : رواية شاهد عيان — خبر سمعه من أحد المخبرين — ملاحظة الباحث شخصيا . فمثلا عند حديثه عن حفظ السم العراف فى أمكنة بعيدة فى الغابات نجده يقول :

« إننى لم أر أبداً سما للعراف تحت أى ستر Shelter فى الغـابة ، لكن المخبرين ذكروا لى أن الأهالى عادة يحتفظون به بهذه الطريقة » .

(E.—p *Azande* p. 288)

٥ — **نشر نتائج الدراسة** . أشرنا من قبـل إلى أن سلجمان لم يتمكن من مواصلة أبحاثه فى جنوب السودان ، ومن ثم فقـد وجه تلميذه إيفانز بريتشارد لاستكمالها . وقد استفاد سلجمان من المادة التى جمعهـا إيفانز بريتشارد عن الأزاندى ؛ واعتمد عليها اعتماداً يكاد يكون كليا فى كتابه عن قبائل جنـوب السودان (١٦) .

كما نشر إيفانز بريتشارد كذلك عدداً من المقالات عن جوانب مختلفة للحياة الاجتماعية عند الأزاندى فى عدد من المجلات نذكر منها (١٧) :

American Anthropologist; Sudan Notes and Records; Journal of The Royal Anthropological Institute ; Africa.

---

(١٥) Ibid, p. 273,

(١٦) C. G. Seligman, *Pagan Tribes of The Nilotic Sudan*, (London, 1982) , p.p 495 - 536

(١٧) Evans — Pritchard, op. cit p. 4.

ثم ظهر كتاب :

Witchcraft. Oracles And Magic Among The Azande

فى عام ١٩٣٧ ؛ أى بعـد مرور عشرة سنوات على بداية البحث الحقلى فى منطقة الأزاندى (١٨) . وهو يرجع هذا التأخير فى نشر نتائج البحث إلى انشغاله فى دراسة قبائل النوير عقب عودته من منطقة الأزاندى، هذا علاوة على اشتغاله بالتدريس فى الجامعة المصرية بالقاهرة عـدة سنوات . وهذا الكتاب يعرض لمعتقدات الأزاندى فيما يتعلق بالعين الشريرة والعرافة والسحر . ويحتوى على مقدمة كتبها سلجمان ومقدمة للمؤلف وأربعة أبواب هى : العين الشريرة ، الطبيب الساحر ، العرافة والسحر . وتنقسم المقدمة التى كتبها إيفانز بريتشارد إلى ثلاثة فصول . أما الفصل الأول فقد خصص لبيان الطريقة التى اتبعها المؤلف فى كتابة هذا الكتاب عن الأزاندى (١٩) .

ويحتوى الفصـل الثانى على دراسة لبعض المصطلحات التى استخدمت فى الكتاب والمعنى المقصود بالنسبة لكل كلمة (٢٠) . ويشتمل الفصل الثالث (٢١) « وصف موجـز لثقافة الأزاندى An Outline of Zande Culture » على دراسة البيئة الطبيعية والحياة الأسرية والمهن والطبقات الاجتماعية . كما تعرض المؤلف فى هذا الفصل أيضاً إلى التغير الاجتماعى الذى حدث بالمنطقة ، وأوضح أن دراسة التاريخ تعتبر أمراً مهما فى الدراسات الأنثروبولوجية .

---

(١٨) Ibid, p. I

(١٩) Ibid, p. p. 1—7

(٢٠) Ibid, p.p. 8—12.

(٢١) Ibid, p.p. 13—20

وإذا كنت لم أبد فى هذا الكتاب اهتماما خاصا بدراسة تاريخ الأزاندى Zande history ، فإن ذلك لايرجع إطلاقا إلى أننى أعتقد فى عدم أهميته ، بل لأننى أرى أن دراسة تاريخ الأزاندى أمر بالغ الأهمية بحيث أننى أرغب فى تسجيله بالتفصيل فى مكان آخر » .

(E P ; *Azande*, p. 19).

ولا شك أن إتجاه إيفانز بريتشارد نحو استخدام التاريخ فى دراسة المجتمعات المعاصرة يعتبر معارضة صريحة لأستاذه مالينوسكى الذى دعا الباحثين إلى نبذ استخدام التاريخ كلية .

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن إيفانز بريتشارد لم يضمن كتابه دراسة عن الصفات الفيزيقية للأهالى . واكتفى بتقديم عدد من الصور الفوتوغرافية . فهو يعتقد « أن الصور الفوتوغرافية لعدد من الأزاندى تعتبر كافية لأن تعطى القارىء فكرة عن شكلهم (٢٢) » .

---

(٢٢) Ibid, p. 13

ثالثا ـ عرض لبعض نتائج الدراسة

١ ـ العين الشريرة ظاهرة عضوية وراثية (٢٣) : يعتقد الأزاندى ـ كما هو الحال عند كثير من شعوب وسط وغرب إفريقية ـ أن بعض الناس لديهم القدرة على إصابة الآخرين بالضرر بواسطة العين الشريرة Witchcraft . كما يرون أيضا أن العين الشريرة هى مادة توجد داخل أجسام أصحابها ويطلقون على هذه المادة اسم « مانجو mangu » .

ويذكر إيفانز بريتشارد أنه شخصيا لم ير هذه المادة « المانجو » خلال إقامته فى بلاد الأزاندى . ولكن البعض من الأهالى قد ذكروا له أنه عبارة عن انتفاخ بيضوى ضارب إلى السواد ويوجد بداخله أشياء صغيرة . كما ذكر له أشخاص آخرون من الأزاندى أن المانجو لونه أحمر ويحتوى على بذور القرع والسمسم وبعض النباتات . ويعتقد إيفانز بريتشارد أن المانجو هو الأمعاء الدقيقة ، بينما يرى بعض الكتاب الذين كتبوا عن الأزاندى أن المانجو هو المرارة . ويحدد الأهالى موقع المانجو عند طرف الكبد ، وترجع معرفتهم بموقع هذه المادة إلى أنهم كانوا فى الماضى يشرحون جثث الموتى .

ويعتقد الأزاندى أن العين الشريرة تورث من الآباء إلى الأبناء ومن الأم إلى بناتها . فأبناء الرجل الشرير male witch يرثون العين الشريرة فى حين أن بناته لايرثنها . أما المرأة الشريرة female witch فإن بناتها يرثن العين الشريرة فى حين أن أولادها لايرثونها .

وحيث أن الأهالى يعتقدون أن المانجو هو جزء من جسم الإنسان ، فإنه

---

(٢٣) Ibid p. p. 21 — 89,



صورة رقم / ٣٩
رجل من الأزاندى

يرى الأزاندى أن المانجو ينمو ويكبر كلما كبر الإنسان وتقدم به العمر . وبعبارة أخرى يرى الأزاندى أن المانجو عند الطفل يكون صغيراً في حين أنه يكون كبيراً عند المسنين . ولهذا السبب فإنهم لا يتهمون الأطفال باستخدام عيونهم الشريرة لصغر المانجو وعدم قدرته على إصابة الآخرين بالضرر . أما المسنون فإن الأهالى يرهبونهم ويتوقعون الشر من ناحيتهم نظراً لأن المانجو عندهم يكون كبيراً .

ويرى إيفانز بريتشارد أن هناك صلة قوية بين العين الشريرة والنظام الطبقى عند الأزاندى . فالفرد من عامة الشعب لا يمكن أن يتجاسر على اتهام أحد من طبقة الأفونجارا الارستقراطية ، حيث أن ذلك معناه أنه يتهم الملك والأمراء بأنهم لديهم العين الشريرة أيضاً . وعلاوة على أفراد طبقة الأفونجارا ، فإن تهمة تسليط العين الشريرة لا توجه أيضاً إلى حكام الأقاليم ونواب الحكام وقادة الفرق العسكرية اللهم إلا إذا كان الأمير نفسه هو الذى يرغب فى ذلك .

ويعتقد الأهالى أن « المانجو » لها « روح mbisimo » وهذه الروح هى التى تخرج من المانجو وتتجه إلى الضحية ليلا أو نهارا لتسبب لها الضرر .

وهم يرون أيضا أن العين الشريرة تحتاج من جانب صاحبها إلى التوجيه الواعى لتحديد مكان الضحية . ومن ثم فإن الرجل الشرير ينبغى عليه قبل أن يفكر فى تسليط عينه الشريرة أن يحدد لها الضحية وكذلك طريق الوصول إليها . وإلا فإنها سوف تبحث عنه فى منزله ثم تعود دون أن تفعل شيئا . ولهذا السبب نجد أن المرضى من الأزاندى يتركون مساكنهم مؤقتا ويهربون سرا إلى مخبأ فى داخل الغابة ، لا يعلم بمكانه أحد سوى زوجته وأولاده ، وذلك بغرض تضليل العين الشريرة .

كما يعتقد الأزاندى كذلك أن مدى range قوة العين الشريرة ليس بعيدا، ونتيجة لذلك فإن الرجل الشرير لا يستطيع أن يسبب الضرر لشخص آخر يقيم فى مكان بعيد، ومن ثم فإننا نجد أن الزوجة إذا مرضت أثناء زيارتها لمسكن والديها، فإن أسرتها تبحث عن الجانى فى منطقة مسكن الوالدين، وليس فى منطقة مسكن الزوج. كما أننا نجد كذلك أن الشخص الذى يرغب فى السفر إلى إحدى الجهات يغادر مسكنه سراً قبيل الفجر. ذلك أنه يعتقد أن أصحاب العين الشريرة فى ذلك الوقت يكونوا فى سبات عميق، ومن ثم فإنهم لن يرونه. وعندما يستيقظون من نومهم ويعلمون برحيله، فإنهم لا يستطيعون إيذاءه نظراً لبعده عن مرمى عيونهم الشريرة.

ولهذا السبب أيضا فإن الأزاندى لايحبون السكنى متقاربين؛ فكل مسكن تفصله عن المسكن الآخر مساحة شاسعة من الأرض المنزرعة والغابات. ويذكر إيفانز بريتشارد أن الحكومة عندما طلبت من الأهالى أن يقيموا فى معسكرات على جانب الطريق حتى يمكن مراقبة مرض النوم بينهم، فإن الشك قد داخلهم من جراء ذلك وفضل الكثير منهم الفرار إلى الكونغو البلجيكى على أن يسكنوا متقاربين.

٢ — السم العراف فى الحياة اليومية عند الأزاندى(٢٤) : تنتشر طريقة التنبؤ بوضع السم فى منقار الدجاجة عند الأزاندى؛ وتعتبر بلادهم هى المنطقة الوحيدة فى السودان التى تعرف هذه الطريقة. والسم الذى يستخدمه الأزاندى فى هذه العملية هو عبارة عن مسحوق أحمر اللون يصنع من نبات متسلق ينمو فى غابات الكونغو البلجيكى.

---

(٢٤) Ibid, p. p. 258-270.

ومن دراسة إيفانز بريتشارد يتضح لنا أن السم العراف والذى يسمونه « بنجى Berga » يستشار فى مناسبات عديدة عند الأزاندى . ومن هذه المناسبات نذكر :

— أثناء فترة الحمل : فيما يتعلق بمكان ولادة الطفل وكذلك بالنسبة لسلامة الزوجة أثناء الولادة .

— قبل طهور الابن .

— قبل أن يزوج الرجل ابنته .

— قبل أن يرسل الرجل ابنه ليكون خادما فى بلاط أحد الأمراء .

— فى حالات الزنا .

— قبل السفر لجمع السم العراف من الغابات .

— فى حالة مرض أحد أفراد الأسرة : هل سيموت المريض ؟ ومن هو صاحب العين الشريرة ؟

— قبل تبادل الأخوة الدموية Blood—brotherhood

— قبل القيام بالأسفار الطويلة

— قبل الخروج للصيد .

— عندما يريد أحد من عامة الشعب أن يختار قطعة من الأرض لبناء مسكن له.

— قبل قبول العمل مع أحد من الأوربيين .

— قبل أن يتوجه الرجل إلى الحرب.

— قبل أن يعلن الأمير الحرب على أعدائه .

— قبل أن ينسق الأمير قواته ، وقبل أن يحدد الوقت والمكان الخاص بالهجوم.

— قبل أن يعين الأمير حكام الأقاليم وكذلك عند تعيين الموظفين أيضا .

ويرى إيفانز بريتشارد أن الرجل الأوربى الذى يعيش بين الأزاندى ينبغى عليه أن يتعرف على معتقداتهم فيما يتعلق بالعين الشريرة والسم العراف حتى يتمكن من فهم سلوكهم فهما سليما . فهو ، فى هذه الحالة ، سوف يجد جوابا شافيا لكثير من الأسئلة التى تحيره ، مثلا: لماذا يرغب المرء فى السكن بعيدا عن أقرب جار له؟ لماذا يختار مكانا معينا دون غيره لبناء مسكن فيه ؟ لماذا يهجر مسكنه فجأة أحيانا ويلجأ إلى الغابات ليعيش هناك عدة أسابيع وفى ظروف غير مريحة كلية ؟ لماذا يخرج الكثير من الأهالى على القانون ويسافرون أسفارا طويلة يتعرضون خلالها لشتى صنوف الأخطار من أجل الحصول على السم العراف؟ . . الخ .

٣ — جمع السم فى الكونغو البلجيكى (٢٥) . سبق أن أشرنا من قبل إلى أن السم العراف يصنع من نبات متسلق ينمو فى الغابات بالكونغو البلجيكى. وفى الماضى كان الأزاندى يسافرون مسافات طويلة تبلغ حوالى مائتى كيلومترا للحصول على ذلك النبات . وفى أثناء تلك الرحلة كانوا يلاقون أشد الأخطار ، ويراعون كثيراً من المحرمات مثل الامتناع عن الاتصال الجنسى بالمرأة، والامتناع عن أكل لحم الفيل وأكل السمك وأنواع معينة من الخضروات .

ويذكر إيفانز بريتشارد أنه قد اقترح على الأهالى مراراً أن يزرعوا هذا النبات فى بلادهم ، لكنهم كانوا دائماً يقابلون ذلك الاقتراح بالاستهجان حيث أنهم يعتقدون أن الشخص الذى يجرؤ على القيام بذلك لابد وأن يموت جميع أقاربه .

وفى الوقت الحالى ، أصدرت الحكومة أوامرها مشددة بمنع الأهالى من

---

(٢٥) Ibid. p.p. 271 - 280.

عبور الحدود إلى الكونغو البلجيكى . وإذا ضبط شخص يقوم بذلك ، فإنه يحكم عليه بالسجن . ونتيجة لذلك ، فإننا نجد أن كثيراً من السم المتداول حالياً عند الأزاندى قد جمعه أفـــراد من الأزاندى الذين يعيشون فى الكونغو البلجيكى . وهؤلاء يتقابلون سراً على الحدود مع الأزاندى بالسودان ويبيعونه لهم مقابل عدد معين من الحراب . إلا أن الأزاندى ، بالرغم من ذلك ، يبدون شكوكهم من ناحية هذا السم ، ويرى الكثير منهم أنه غير « حقيقى » أو غير « أصلى » . إنهم ، مثلا ، غير متأكدين من أن الأفراد الذين قاموا بجمع النبات من الغابات كانوا يراعون التحريمات الواجبة عليهم أثناء عملية الجمع . ومن أجل ذلك فإن الكثير من الأهالى فى الوقت الحاضر ، يفضلون مجابهة الأخطار مع احتمال دخول السجن فى سبيل الحصول على السم « الأصلى » من الكونغو البلجيكى .

٤ – استشارة السم العراف(٢٦) : يرى الأزاندى أنه من الأفضل استشارة السم العراف فى الغابة أو فى المزرعة أو فى أى مكان آخر به أعشاب مرتفعة ، وهدفهم من ذلك هو ضمان السرية . أما بالنسبة لوقت إجـــراء الاستشارة Consultation ، فإنها تتم عادة بين الثامنة والتاسعة صباحاً تقريباً . وفى بعض الأحيان تتم الاستشارة ليلا داخل المسكن بعد أن يطمئن الزوج إلى أن زوجته قد استغرقت فى النوم .

ولا يمكن للسم العراف أن يتنبأ دون وجـود دجاجة ، ولذلك فإننا نجد الدجاج فى أغلب مساكن الأزاندى . والغرض الرئيسى من تربيته هو استخدامه

(٢٦) Ibid. p. p. 281.-312.

فى أغراض التنبـؤ (٢٧) . وإذا كان المرء فقيراً وليس لديه دجاجا ، فإنه يلجأ إلى أحد أقاربه أو أخيه فى السم blood-brother ليقوم بالاستشارة نيابة عنه . ويرى الأزاندى أن ذلك يعتبر من أهم واجبات الأقارب نحو بعضهم .

وتقتصر عملية استشارة السم العراف على الرجال فقط ، أما المرأة فإنه يحرم عليها القيام بذلك .

وهناك عدة تحريمات يجب على الشخص الذى يقوم بعملية استشارة السم أن يراعيها :

١ – الامتناع عن أكل لحم الفيل والسمك وكذلك أنواع معينـــة من الخضروات تنمو عندهم فى بلادهم . ويجب الامتناع عن ذلك قبل إجراء الاستشارة بفترة تتراوح بين ٣ و ٤ أيام .

٢ – الامتناع عن تدخين الحشيش ، والاتصال الجنسى بالنساء قبل إجراء الاستشارة بفترة تتراوح بين ٥ و ٦ أيام .

وعادة يوجد لدى كل أمير اثنين أو ثلاثا من العمال الرسميين operators للإشراف على إعداد السم العراف عنده . وهؤلاء الأشخاص يجب أن يكونوا ممن يوثق بهم . كما يوجد لدى الأمير أيضاً أشخاص يقومـون باستشارة السم العراف . ويشترط فيمن يقوم بهذه الوظيفة أن يكون غاية فى الأمانة ، وأن يكون صامتـا فلا يفشى أسرار سيده . ويتناوب العمال ، والأشخاص الذين يقومون بالاستشارة ، العمل فيما بينهم بحيث يقضى كل منهم فترة شهر تقريباً فى خدمة السم العراف ، ثم يعود إلى أسرته ويتحلل من كل المحرمات الخاصة

(٢٧) يذكر إيفانز بريتشارد أن الأهالى لا يذبحون الدجاج بغرض أكله إلا فى المناسبات الهامة كزيارة ابن أحد الأمراء أو والد الزوجة مثلا . وأما بالنسبة لبعض الدجاج ، فإن الأهالى لا يأكلونه .

الفصل التاسع

قبائل النوير

إ. إ. ايفانز بريتشارد

أولا ــ لمحة عن منطقة النوير

قدر إيفانز بريتشارد عدد أفراد قبائل النوير ، وقت إجراء البحث ، بحوالى ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة . وهو يصفهم بأنهم طوال القامة ولهم رؤوس قليلة العرض(١) narrow - headed . وقد قدم لنا عددا من الصور الفوتوغرافية توضح لنا شكلهم .

وتلعب البيئة الطبيعية دورا هاما فى حياة السكان . ففى شهر مايو من كل عام تبدأ الأمطار فى السقوط بغزارة ، الأمر الذى يؤدى إلى فيضان الأنهار . حتى إذا ماجاء شهر يونيو ، تكون غالبية المناطق قد تحولت إلى مستنقعات هائلة . وفى خلال فصل الأمطار يعيش النوير فى قراهم التى يقيمونها فوق روابى عالية

(١) E. E. Evans—Pritchard, *The Nuer* (Oxford, 1940) p.3



صورة رقم / ٤٠

فتاة تحلب البقرة

لتحميهم من مياه الأمطار . وفى ذلك الفصل ، يشتغلون بزراعة الذرة ورعى الماشية . وعندما ينتهى فصل الأمطار ، يخرج الأهالى ومعهم ماشيتهم يرتحلون بها من مرعى إلى آخر ، ويقيمون لهم مخيمات فى كل مكان يحلون به . ويستمر الحال كذلك حتى يبدأ سقوط المطر ، وعندئذ يسارع الأهالى بالعودة إلى قراهم ثانية .

وتلعب الماشية دوراً هاما فى حياة النوير ، ويقول إيفانز بريتشارد إننا إذا أردنا أن نقـــدم أحسن نصيحة للباحث الذى يريد أن يفهم السلوك الإجتماعى للنوير ، فلن نجد خيراً من تلك العبارة « فتش عن البقرة (٢) Cherchez la vache » . فمن ناحية التغذية نجد أن الأهالى يعتمدون على لبن الماشية ، وبصفة خاصة بالنسبة للأطفال ، ومن ثم فإنهم يقدرون قيمة البقرة تبعا لمقدار كمية اللبن الذى تدره . والنوير مغرمـون بأكل لحوم الماشية ، كما أنهم لا يحرمون أكل الميتة والدم . فإذا مات الثور أو الخروف ميتة طبيعية ، فإنهم يقومون بأكل لحومها .

ولكن كيف يحصل الأهالى على دماء الماشية ؟ يذكر إيفانز بريتشارد أن النوير — كما هو الحال عند كثير من القبائل التى تشتغل بالرعى فى شرق افريقيا — يستخرجون الدم من رقاب الماشية ، ويأكلونه أثناء فصل الجفاف . وتتلخص طريقتهم فى استخراج الدم فيما يلى : يقوم النوير بربط حبل حول رقبة البقرة بإحكام شديد حتى تظهر عروق الدماء بها ، وعندئذ يطعنون أحد العروق بسكين ، فتسيل منه الدماء فى وعاء يعد لهذا الغرض . وعندما يمتلىء الإناء بالدم ، فإنهم يفكون الحبل من حول رقبة البقرة ، ثم يضعـون بعضاً من روث الماشية فوق الجرح ليلتئم . وبعد ذلك تقوم النساء بغلى الدم فى الإناء حتى يتجمد ، ثم يقدم

---

٢) Ibid. p. 16.

الأكل بعد ذلك . وفى أحيان أخرى يترك الأهالى السم — بعد استخراجه من رقبة البقرة — فى الإناء حتى يتجمد. ثم يقومون بشوائه على بعض من الجمر ، وبعد ذلك يقطعونه إلى أجزاء ثم يقدم للأكل بعد ذلك (٢) .

ومن أجل الماشية نجد أن القبائل تتقاتل فيما بينها ، وتغير على جيرانها. كذلك نجد أنها وسيلتهم لدفع المهر ودفع الدية وتقديم القرابين للأرواح .

والواقع أن الأهالى لايملون الحديث عن الماشية فى أى وقت من الأوقات. وإذا حدث وبدأت الحديث معهم فى أى موضوع من الموضوعات فإن الحديث — ولا شك — سوف يتطرق إلى العجول والبقر والثيران !! .

وأرض النوير غنية بالحيوانات والطيور. فهناك الفيل والنمر والأسد والحمار الوحشى وفرس النهر والقردة والغزال والزراف . ومن الطيور الموجودة هناك نذكر النعام والأوز والبط . والنوير يأكلون كل الحيوانات ماعدا آكلات اللحوم منها والقردة والحمار الوحشى . وهم يصطادون النمر والحمار الوحشى لأخذ جلودها ، أما الأسود فإنهم يقتلونها إذا ما اصبحت خطراً يهدد ماشيتهم .

وبالرغم من وفرة الحيوانات بالمنطقة ، فإنهم نادراً ما يخرجون للصيد ، وهم يفضلون بصفة خاصة صيد الغزال والزراف . ويذكر إيفانز بريتشارد أن النوير ليسوا مهرة فى الصيد ، وهم يحتقرون الصيد بصفة عامة لأنهم يعتقدون أن عدم وجود الماشية لدى الإنسان هو الذى يدفعه إلى الاتجاه لصيد الحيوانات .

والنوير لايأكلون من الزواحف سوى التمساح والترسة ، كما أنهم يرون أن من العار أن يأكل المرء الذى بلغ مرحلة الرجولة لحم النعام أو الاوز أو البط .ولا يوجد عندهم من يفعل ذلك سوى الأطفال وكذلك الفقراء الذين لايملكون ماشية. وهم لايقدمون على ذلك إلا فى أوقات القحط الشديد، كما أنهم يأكلونها فى الغابات بعيداً عن أعين الناس .

Ibid, p. p. 27-28. (٢)



صورة رقم /٤١

مجموعة من الرجال يبنون حظيرة للماشية

والنوير لا يربون الدجاج فى منازلهم ، وهم لا يحبون أكل لحومها وبيضها (٤) .

ويتكون منزل الأسرة من كوخ (أو عدة أكوخ) وحظيرة للماشية . وللحظيرة أهمية خاصة عند النوير . فالماشية تنام فيها أثناء فصل الأمطار، كما أن بعض الشبان من الأسرة ينامون فيها أيضا . ويوجد فى وسطها نار موقدة ليلا ونهاراً لحماية الماشية من البعوض . ومن الناحية الاجتماعية، تعتبر الحظيرة مركزاً للحياة الاجتماعية بالقرية. فالأهالى يقضون وقت فراغهم بها ، كما أنهم يستقبلون فيها ضيوفهم كذلك . والواقع أن مجرد مشاهدة الحظيرة أمر له مغزاه الاجتماعى ! فإذا مر إنسان بجوار منزل الأسرة ، ولم يجد هناك حظيرة للماشية ، فإنه سوف يستنتج فوراً إما أن الحظيرة قد تهدمت وأن الأسرة لم تقم ببنائها من جديد ، وإما أن الأسرة فقيرة ولا تملك إلا ماشية قليلة أودعتها فى حظيرة أحد الأقارب .

وبالنسبة لموقع كوخ الزوجة، فإنه يوجد بجوار حظيرة الماشية . ويوجد خارج الكوخ ستار ضد الريح حيث تجلس الزوجة بداخله لطهى الطعام . وبالقرب من هذا الستار توجد حفرة فى الأرض ليستعملها الأسرة لدق الذرة . ويعتبر الستار مركزاً للحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة المتزوجة . فهناك تستقبل صديقاتها وجاراتها ، سواء أثناء عملها أو فى فترة المساء، حيث يتبادلن أطراف الحديث فيما بينهن . وفى حالة تعدد الزوجات ، فإن كل زوجة يكون لها كوخ مستقل تعيش فيه مع أطفالها . وفى بعض المنازل الكبيرة يوجد كوخ خاص بالشبان من أبناء الأسرة لينامو فيه كما يوجد أيضاً كوخ للفتيات . أما رب الأسرة ، فليس له كوخ خاص به ، وهو ينام فى أكواخ زوجاته .

وكل زوجة لها حديقتها الخاصة بها وكذلك صومعة لتصنع فيها الغلال . وفى بعض الأحيان يكون للزوج حديقة خاصة به ، وفى هذه الحالة يقوم بتوزيع المحصول على زوجاته .

Ibid, p. 73. (٤)

والزوج هو الذى يمتلك الماشية ، ولكن العادة قد جرت على أن يقوم بتوزيعها على زوجاته لمجرد الانتفاع بلبنها ، ولكنهن لا يملكن حق التصرف فيها .

ومن الناحية الاقتصادية ، فإن الأسرة تنتج غالبية ما تحتاج اليه ، كما أنها تستهلك غالبية ما تنتجه . وبالرغم من ذلك فإن هناك أعمالا تحتاج إلى التعاون بين الأقارب والأصدقاء مثل صيد الحيوانات وصيد الأسماك ورعى الماشية فى فصل الجفاف . فإذا احتاج أحد الأفراد مثلا أن يحفر قناة فى حديقته ، فإن أقاربه وأصدقاءه يعاونونه فى عمله دون أجر ، أنه يقدم لهم الثريد والبيرة فقط .

والنوير يسيرون شبه عراة أو عراة كلية . وفى بعض الأحيان قد يضع الرجل الرجل قطعة من جلد النمر فوق كتفيه . كما أن المرأة المتزوجة قد تضع قطعة من جلد الخراف أو الماعز حول خصرها .

ثانيا ـ ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

خصص إيفانز بريتشارد ، فى بداية أول كتاب ظهر له عن النوير(٥)، مقدمة introductory تحدث لنا فيها عن المنطقة الجغرافية التى يعيشون فيها وعدد السكان ونظمهم السياسية . كما تحدث كذلك عن مدة الدراسة وكيفية جمع البيانات من الميدان والعقبات التى صادفته أثناء وجوده هناك . ويهمنا أن نشير إلى هذه النقاط بشىء من الإيجاز :

١ — **التمويل** : أجرى هذا البحث بناء على طلب من حكومة السودان فى ذلك الحين ، كما أنها هى التى قدمت أيضا الجانب الأكبر من التمويل اللازم للدراسة (٦) .

٢ — **مدة الدراسة** : سافر إيفانز بريتشارد إلى منطقة البحث عدة مرات فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى ١٩٣٦ . وقد بلغت جملة الفترات التى قضاها هناك سنة كاملة تقريبا . ويرى المؤلف أن هذه الفترة تعتبر غير كافية لإجراء دراسة سوسيولوجية عن مجتمع مثل مجتمع النوير ، ولكنه يذكر أن المرض الشديد الذى ألم به فى عامى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ هو الذى منعه من البقاء هناك وقتا أكثر من ذلك (٧) .

---

(٥) E. E. Evans—Pritchard, *The Nuer* (Oxford, 1940), p. p. 1—15.

(٦) Ibid, p. vii

(٧) Ibid. p. 14.

٣ — **وسائل جمع البيانات** : تدلنا الدراسة على أن إيفانز بريتشارد قد اعتمد على أكثر من أداة لجمع المادة عن النوير . فقبل سفره إلى منطقة البحث قرأ كثيراً مما كتبه المبشرون والعسكريون عنها .

وحينما وصل إلى هناك ، كانت العقبة الكبرى أمامه هى عـــدم القدرة على التخاطب مع الأهالى بسهولة (٨) . فلم يكن يوجد هناك فى ذلك الحين أحد من المترجمين ، كما أنه لم يجد أحداً بين النوير يستطيع أن يتحدث اللغة العربية . ونتيجة لكل ذلك فقد قضى كل فترة البعثة الأولى وجزءاً من البعثة الثانية فى محاولة تعلم لغة الأهالى حتى يستطيع أن يستخدمها أثناء البحث الحقلى . وقد تمكن فعلا من أن يتكلم لغتهم ، فكان لذلك أثره الكبير فى تفهم الكثـــير من جوانب الحياة الاجتماعية عند النوير .

وعلاوة على مشكلة اللغة، فقد كان الظروف السياسية السائدة فى ذلك الحين أثرها على البحث أيضاً . ففى أثناء فترة البعثة الأولى كان هناك شعور عدائى نحو الحكومة بسبب هزيمة النوير على يد القوات الحكومية ، وكذلك بسبب التدابير القاسية التى اتخذتها الحكومة بعد ذلك لتأكيد خضوعهم لها . ويذكر إيفانز بريتشارد أنه عندما كان يدخل أحد مخيمات الماشية ؛ فإن النوير كانوا يستقبلونه ليس فقط كشخص أجنبى بل وأيضا كأحد أعدائهم . فالأهالى كانوا يعرضون عنه إذا اتجه نحوهم للحديث معهم (٩) . ولقد تذرع إيفانز بريتشارد بالصبر، وأمكنه بعد ذلك أن يخلق معهم علاقات ودية وخصوصا بعد أن تعلم لغتهم . فلقد صاروا يزورونه بصفة مستمرة ليقضوا معه الوقت . وهو نفسه يذكر أن خيمته كانت نادراً

---

(٨) Ibid, p. 10

(٩) Ibid. p. 11

ما تخلوا من الزوار من الرجال والنساء والأولاد . وكان دائما يتناقش معهم للحصول على ما يريد من المعلومات . وعلاوة على ما تقدم ، فإن وجـود مسكنه وسط مساكن الأهالى قد مكنه من الحصول على كثير من المعلومات عن طريق الملاحظة (١٠) .

هذا ويهمنا أن نشير كذلك إلى أن إيفانز بريتشارد قد دعم تقاريره التى نشرها عن النوير بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والخرائط ، أما بالنسبة للإحصاءات ، فإننا نلاحظ أنها نادرة جدا .

٤ — **نشر نتائج البحث** : أشرنا إلى أن إيفانز بريتشارد أقام فى بلاد النوير فترة تقرب من العام خلال السنوات ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٥، ١٩٣٦ ، تمكن خلالها من جمع كثير من المعلومات عنهم. وقد نشرت نتائج تلك الدراسة الحقلية فى عدد من الكتب والمجلات . ومن الكتب التى نشرها عن النوير نذكر :

١ — *The Nuer* (١١) : نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٠ . ويقول إيفانز بريتشارد أن دراسة النظم السياسية هى الموضوع الرئيسى فى الكتاب ؛ لكننا لا نستطيع أن نتفهم تلك النظم إلا إذا درسنا البيئة وطرائق معيشتهم . ومن ثم فقد خصص الجزء الأول من الكتاب لوصف المنطقة التى يعيش فيها النوير وكيفية حصولهم على ضروريات الحياة .

---

(١٠) Ibid, p.p. 14—15

(١١) E. E. Evans-Pritchard, *The Nuer : A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People* (Oxford, 1940).



صورة رقم /٤٣

رجل من النوير

ب — **Kinship and Marriage Among the Nuer** : وقد ظهر الكتاب سنة ١٩٥١ . ويذكر المؤلف أنه كان ينوى أن ينشر هذا الكتاب سنة ١٩٤٢، إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية، وانشغاله بعد ذلك بدراسة السنوسيين فى ليبيا قد أدى إلى تأخير ظهوره . ويحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول تبحث فى الأسرة والقرابة والزواج وقيود الزواج (١٢) .

حـ — **Nuer Religion** (الدين عند النوير) .

---

(١٢) E.E. Evans.Pritchard, *Kinship And Marriage Among The Nuer* (Oxford, (1951), p.p. v.vi.

ثالثاً – عرض لبعض نتائج الدراسة

١ – نظام طبقات العمر (١٣)

إن كل فرد من الذكور فى مجتمع النوير، لكى ينتقل من مرحلة الصبا إلى مرحلة الرجولة يجب أن يمر بعملية قاسية. فالجبهة تقطع بواسطة سكين صغير ستة مرات بحيث يمتد القطع الواحد من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى.

ويظل أثر التئام هذه الجراح واضحا مدى الحياة. ويذكر الأهالى أنهم يرون آثار هذه العملية على عظام الجماجم بعد وفاة أصحابها.

وكل قرية تقوم بهذه العملية على حدة، وأما بالنسبة لسن الفتيان عند إجرائها فإنه يتراوح بين ١٤ و ١٦ سنة. ويتوقف تحديد سنة التكريس على مدى توافر المؤن من اللبن والذرة عند أهل الصبى. والشخص الذى يقوم بهذه العملية يجب أن تكون لديه الخبرة فى هذه الناحية، وهو يأخذ من كل صبى «حربة لصيد الأسماك» نظير القيام بذلك.

ولابد أن تجرى العملية لعدد من الأولاد فى وقت واحد، إذ أن الأهالى يعتقدون أن إجراء العملية لصبى واحد فقط سوف يجعله وحيدا، كما أن ذلك سوف يؤدى إلى هلاكه لامحالة!. وفى العادة يتراوح عدد الأولاد الذين يمرون بهذه العملية معا من ٤ إلى ١٢ ولدا. ويفضل الأهالى إجراءها فى نهاية

(١٣) Evans—Pritchard, *The Nuer*, p. p. 249—266.

فصل الأمطار حيث يكون لديهم الطعام الوفير ، هذا فضلا على أنهم يعتقدون أن الرياح الشمالية التى تهب فى تلك الفترة من السنة لها أثرها فى المساعدة على أن تندمل الجراح . وبعد إجراء العملية يعيش الفتيان معا فى عزلة لفترة من الزمن تبلغ شهرين تقريبا .

وعند انتهاء هذه الفترة ، تقام الحفلات ابتهاجا بهذه المناسبة ، فتذبح القرابين وتقدم البيرة للحاضرين ، كما يقدم الأب لابنه حربة وثورا يسمى الابن باسمه.

ويتم تكوين طبقة العمر تدريجيا ، ويستغرق ذلك وقتا قد يمتد إلى عدة أعوام قبل أن تتبلور الطبقة كوحدة اجتماعية . وكل طبقة من طبقات العمر لها اسم ، وغالبا ما تسمى الطبقه بأسماء الأحداث الهامة التى تقع أثناء موسم التكريس . (فمثلا سميت إحدى الطبقات باسم Piloal أى « المياه الأحمر » ، وذلك لأن البيرة التى قدمت للفتيان كان لونها يميل إلى الأحمرار) (١٤) .

ويذكر إيفانز بريتشارد أن عدد طبقات العمر وقت إجراء البحث كان ستة فقط . وقد تميزت طبقة العمر العليا بقلة عددها نظرا لوفاة غالبية أعضائها .

والواقع أن نظام طبقات العمر يؤثر تأثيرا كبيرا فى العلاقات الاجتماعية عند النوير . فعندما ينتقل الفتى إلى مرحلة الرجولة فإن واجباته العائلية تتغير كثيرا (فمثلا يحرم عليه أن يحلب الماشية طوال حياته) . كما أن سلوكه يتحدد تجاه زملائه من أفراد الطبقة ، وكذلك تجاه غيره من أفراد الطبقات الأخرى . ويهمنا أن نشير فى هذا المجال إلى النقاط التالية :

١ ـ يحرم على الفتى أن يتزوج ابنة أحد زملائه فى طبقة العمر أو أن يتصل

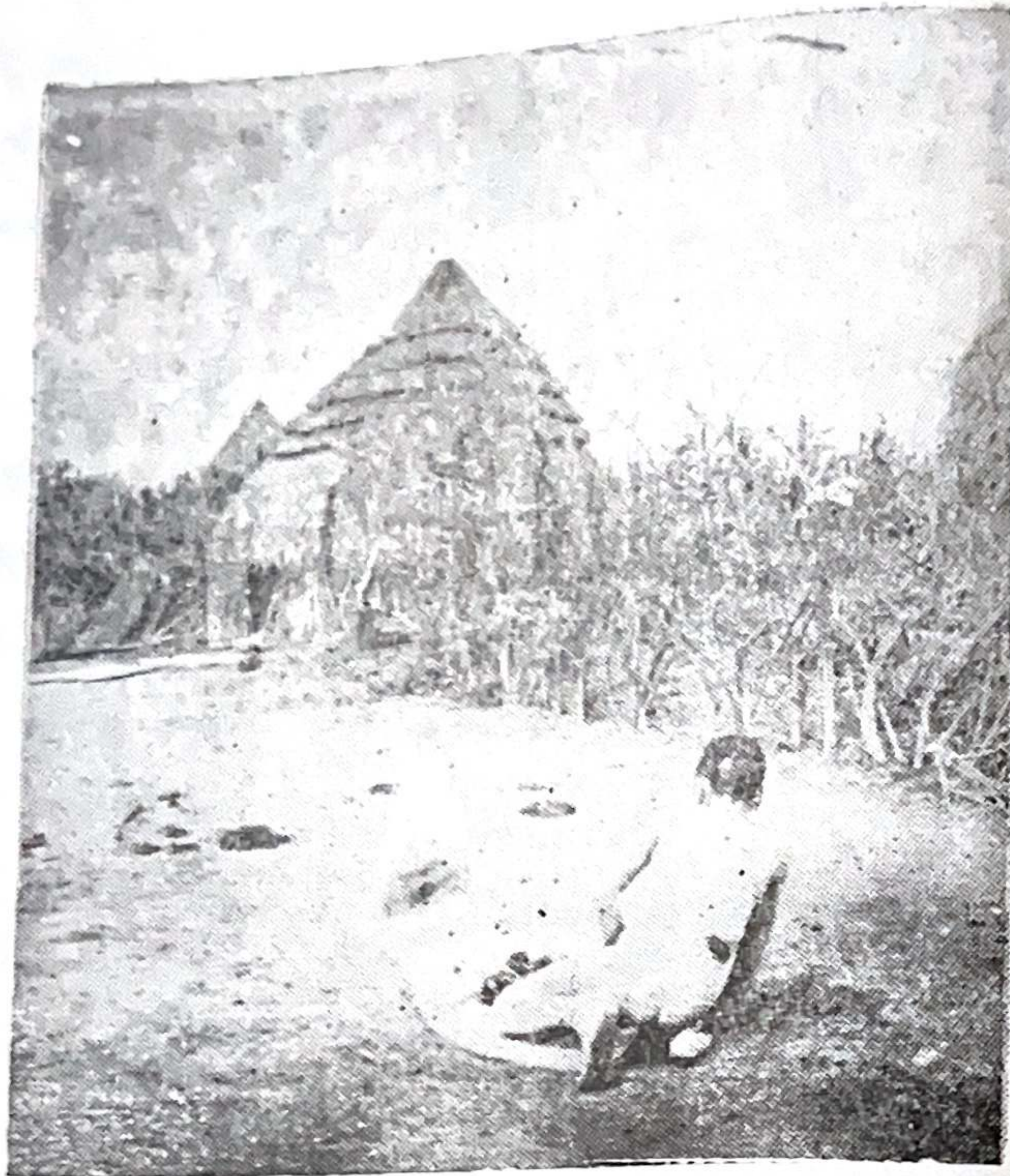
(١٤) C.G.Seligman, *Pagan Tribes of The Nilotic Sudan* p 225

بها جنسيا ، حيث أنها تعتبر « ابنته » ، كما أنه يعتبر « أبا » لها .

٢ ـ جميع أفراد الطبقة الواحدة يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة . وهم يساعدون بعضهم فى المرعى وراء الرزق وفى الحروب ، كما أنهم يقضون وقت فراغهم معا . لأنهم يؤمنون بوجود رابطة قوية تجمع بينهم وتوحد مصائرهم . ولم لا توجد وقد أريقت دماؤهم معا فى وقت واحد !!

٣ ـ يبدى أفراد طبقة العمر الواحدة احترامهم لأعضاء طبقات العمر الذين يكبرونهم سنا . ويبدو هذا واضحا أثناء مناقشاتهم مع بعضهم ، وكذلك فى آداب المعاشرة والسلوك .

وبعبارة أخرى يرى النوير أن مرور الفتى بشعائر التكريس يعنى أنه قد أصبح رجلا بمعنى الكلمة. فهو يحق له أن يشترك فى الحروب ، وأن يكون راعيا للماشية ، كما يحق له كذلك أن يغازل الفتيات ويغشى حفلات الرقص ويتزوج الفتاة التى يريدها .



صورة رقم/ ٤٤

صبى يجمع روث الماشية

ب ـ الزواج عند النوير (١٥)

(١)

عندما تبلغ الفتاة الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمرها ، فإن الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس initiated boys يبدءون فى التودد اليها ومطارحتها الغرام . وفى سن السادسة عشر يكون لديها عشيقا واحدا على الأقل . ويمكننا القول أن مرحلة ما قبل الزواج ، بصفة عامه ، تتسم بانتشار الانحلال الخلقى بين الفتيات .

وفى العادة يتراوح سن الزواج بالنسبة للفتاة بين ١٦ و١٨ سنة . أما بالنسبة الفتى فإن ذلك يتوقف على عوامل كثيرة نذكر منها: حجم الأسرة وترتيب الفتى داخل الأسرة حسب السن وكذلك حجم القطيع الذى تمتلكه الأسرة .

ولابد من موافقة أسرة الفتاة على الفتى الذى يتقدم لزواج ابنتها . غير أنها فى نفس الوقت ، لاتستطيع أن تجبرها على الزواج من شخص لاتحبه . ولكى يتم الزواج ، تقوم أسرة الفتى بدفع المهر ، كما يجب إقامة عدة حفلات بهذه المناسبة نذكر منها حفلة الخطوبة وحفلة الزواج . وغالباً ما تقام هذه الحفلات فى فصل الأمطار حيث يتوافر الثريد والبيرة . ويهرع الأهالى من كل حدب لحضور تلك الحفلات وتناول الطعام وشرب البيرة والاشتراك فى الرقص .

---

(١٥) E. E. Evans-Pritchard, *Kinship And Marriage Among The Nuer* (Oxford 1951) p. p. 49—123.

وإذا ما وجد العريس أن عروسه ليست عذراء Virgin عند انفراده بها فى الليلة الأولى ، فإن هذا الأمر ليس من شأنه أن يسبب له انزعاجا . وفى صباح اليوم التالى يقوم أحد أفراد أسرة الزوج بحلق شعر رأس الزوجة ، ويعتقد الأهالى أن العملية تدل على أنها قد « أصبحت زوجة » .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الزوجة بعد ذلك تظل فى مسكن والديها حيث يخصص لها كوخ مستقل تعيش فيه . أما الزوج ، فهو يظل مع أسرته كما كان قبل الزواج . ولكنه يقوم بزيارة زوجته ليلا من آن إلى آخر حيث يقضى الليلة معها فى كوخها الذى أعدته لها أسرتها . ويستمر الحال كذلك حتى تنجب الزوجة طفلا . وعندئذ تعتبر أسرة الفتاة أن الزواج قد تم كلية ، وأن الفتى قد أصبحت تربطه بهم فعلا صلة قرابة . وتظل الزوجة فى مسكن والديها حتى تفطم طفلها . وعندئذ يقيم الزوج لزوجته كوخا بجوار مسكن أسرته ، ثم يتوجه بعد ذلك لإحضارها من مسكن والديها . وهما لا يمانعان فى ذلك حتى ولو كانت هناك بقيه مستحقة من المهر لدى الزوج . وعند انتقال الزوجة إلى مسكنها الجديد ، فإن أسرتها تعطيها قلة وملعقة واحدة .

(٢)

أوضحنا أنه يجب على الفتى أن يقدم إلى أسرة الفتاة المهر المناسب وأن يقيم عدة حفلات حتى يمكن إتمام الزواج . كما أشرنا كذلك إلى أن النوير يعتقدون أن الزواج لا يمكن أن يكون تاما كلية فى نظرهم إلا إذا أنجبت الزوجة طفلا .

ولكن كيف يتم دفع المهر إلى أسرة الفتاة ؟ أو بعبارة أخرى : هل هناك قواعد معينة ينبغى أن يراعيها المجتمع فى هذه الناحية ؟

يذكر إيفانز بريتشارد أن هناك « عدداً أمثل » من الماشية يضعه الأهالى فى اعتبارهم عند تحديد قيمة المهر . فالمهر المثالى ينبغى أن يتكون من أربعين رأساً من الماشية (ثيران وبقر وعجول صغيرة) توزع على أهل العروس كما يلى :

والد العروس (أو أبنائه)	١٠
أسرة والد العروس (وتشمل والدى الأب وإخوته وأخواته)	١٠
والدة العروس (أو أبنائها)	١٠
أسرة والدة العروس (وتشمل والدى أم العروس وإخوتها وإخواتها)	١٠

وبعبارة أخرى يلاحظ أن أسرة الفتاة تختص نفسها بنصف المهر (عشرين رأساً) أما أسرة والدها وأسرة والدتها، فإن كلا منهما تختص بربع عدد الماشية فقط .

والواقع أن الأهالى لا يتمسكون بالمطالبة بتنفيذ هذا المهر المثالى فى أغلب الأحيان ، وذلك لأن الأمور لم تعد مواتية كما كان الحال من قبل (منذ ٣٠ أو ٤٠ سنة قبل إجراء البحث) . فلقد تضاءلت أعداد الماشية فى بلاد النوير نتيجة لانتشار طاعون الماشية بينها والفتك بأعداد كبيرة منها ، علاوة على أن الحكومة قد حرمت على النوير القيام بأية غارات على قبائل الدنكا والاستيلاء على ماشيتهم . كل ذلك قد أثر على المهر ، فأصبح مقداره يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ رأساً من الماشية . هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن أهل العروس — أثناء مفاوضاتهم بشأن المهر — يطالبون بأن يشتمل على حيوانات ذات ألوان معينة وأحجام وصفات معينة . فهم يطالبون ، مثلا ، بالحصول على بقر يكون حلوبا وقت تقديم المهر .

والذى لاشك فيه أن المهر له أهميته بالنسبة لاستقرار الزواج عند النوير . فالزوجة التى تهجر منزل الزوجية يكون أهلها ملزمون برد المهر إلى الزوج . ويلاحظ أنهم لا يكتفون برد الماشية التى سبق أن قدمتها أسرة الزوج ، بل إنه يتعين عليهم أيضا أن يردوا ما أنجبته من العجول . ويذكر إيفانز بريتشارد أنه فى إحدى حالات الطلاق أعيدت بقرة ومعها ثمانية عجول أنجبتها فى خلال تلك الفترة . ولما كان ذلك يعتبر أمراً عسيراً فى كثير من الأحيان ، حيث أن الماشية ربما تكون قد دفعت مهراً لأفراد آخرين ، فإن أفراد أسرة الزوجة يقومون من جانبهم بالضغط على فتاتهم للعودة إلى زوجها .

ويرى إيفانز بريتشارد أن هناك أيضا عوامل أخرى تلعب دورها الكبير فى استقرار الحياة الزوجية . وهذه العوامل هى: المحبة بين الزوجين والسمعة الطيبة للزوج وكذلك حسن النية المتبادلة بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة أو بين الزوج وإخوة الزوجة ، بل إن إيفانز بريتشارد يذهب إلى أن هذه العوامل تعتبر فى نظره أكثر أهمية من المهر بالنسبة لاستقرار الزواج . كما أنه يعارض بشدة ما قد يتبادر إلى أذهان البعض من أنه كلما زادت قيمة المهر ازدادت احتمالات استقرار الحياة العائلية .

(٣)

إلى هنا كان حديثنا عن النمط العادى لنظام الزواج فى مجتمع النوير . ولكن إلى جانب ذلك توجد أشكال أخرى للزواج يهمنا أن نتناولها بالدراسة بشىء من التفصيل :

زواج المرأة بالمرأة Woman—marriage

فى بعض الاحيان قد ترغب المرأة فى مجتمع النوير فى أن تلعب دور الرجل فى الحياة الاجتماعية . فهى تختار إحدى الفتيات لتتزوجها وتقدم لأسرتها المهر اللازم .

وبعد إتمام شعائر الزواج ، تماما كما هو متبع عند زواج الرجل ، فإن « المرأة الزوج Woman-husband » تطلب من أحد أقاربها الذكور أو أحد الأصدقاء أو أحد الجيران أو أحد فقراء الدنكا أن يقوم بالاتصال بالزوجة جنسياً ، وذلك لكى تنجب الزوجة لها أطفالا .

وإذا كانت « المراة الزوج » على درجة من الثراء فإنها قد تتزوج عـدة زوجات . وهى تعتبر ، فى هذه الحالة، الزوج القانونى لهن . ويحق لها أن تطالب بالغرامة الخاصة بالزنا بصفتها زوجاً لهن - إذا ماثبت لها أن أحد الرجال قد اتصل بهن جنسيا دون الحصول على إذن منها بذلك .

وعندما تنجب الزوجة أطفالا، فإن « المراة الزوج » تعتبر « أباء » لهم Pater (١٦) . وهم يخاطبونها بقولهم « ياأبى » ، تماماً كما لو كانت رجلا بالفعل ، كما انهم يحملون اسمها ويرثون ثروتها كذلك .

---

(١٦) يقصد بالأب الإجتماعى Pater الشخص الذى ينتسب اليه الطفل فعلا ، فهو يحمل اسمه ويرث ثروته . أما الأب الفيزيقى genitor فهو الشخص الذى أنجب الطفل . وفى كثير من المجتمعات نجد أن الوالد المنجب (الفيزيقى) هو الأب الإجتماعى ، كما نجد أيضا فى بعض الأحيان أن الأب الإجتماعى ليس هو الأب الفيزيقى .

وأما بالنسبة لعلاقة الزوجة (أو الزوجات) والأطفال بالمرأة الزوج ، فإنها تتسم بالطاعة والاحترام تماماً كما هو الحال بالنسبة للزوج الذكر .

وإذا ماتقدم أحد الفتيان للزواج من إحدى بنات « المرأة الزوج » فإن المهر المقدم من أسرة الفتى يوزع بنفس الطريقة المتبعة فى النمط العادى للزواج . « فالمرأة الزوج » تحصل على الجزء الخاص بها بصفتها « والد الزوج » . أما بالنسبة للرجل الذى أنابته « المرأة الزوج » للاتصال بالزوجة جنسياً لإنجاب الأطفال ، فإن له أيضا نصيبه من مهر الفتاة . إنهم يعطونه بقرة واحدة عن كل فتاة جزاء ماقام به ، وهم يطلقون عليها « بقرة الإنجاب Cow of begetting » .

ويذكر إيفانز بريتشارد أن « المرأة الزوج » غالبا ماتكون عقيماً barren ولهذا فإن المجتمع يضعها فى عداد الرجال . كما يلاحظ أيضا أن المرأة العقيم عادة ما تمارس السحر فتحصل لقاء ذلك على الكثير من الماشية ، ومن ثم فإنها تكون على درجة من الثراء .

زواج الشبح Ghost-Marriage :

فى مجتمع النوير ، يوجد نوع من الزواج أطلق عليه إيفانز بريتشارد اسم « زواج الشبح » . فإذا ماتوفى رجل دون أن يكون له وريث شرعى من الذكور ، فإن أحد أقاربه مثل الأخ أو ابن الأخ ينبغى عليه أن يتزوج فتاة باسم الشخص المتوفى . ويعتقد النوير أنه إذا لم يقم أحد الأقارب بذلك ، فإن شبح المتوفى يسكن المنطقه ويعمل على إزعاج أقاربه بها .

وفى هذا النوع من الزواج يكون الشخص المتوفى (الشبح The ghost) هو

الأب الاجتماعى للأطفال Pater ، وهو أيضا الزوج الشرعى للزوجة .

ويذكر إيفانز بريتشارد أن هذا النوع من الزواج ينتشر كثيراً فى بلاد النوير. وذلك يرجع ولا شك إلى أن كثيرا من الشبان يموتون قبل أن يتزوجوا ، هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من المتزوجين يموتون قبل أن ينجبوا أطفالا ذكوراً .

وقد يحدث فى كثير من الأحيان أن يتزوج الرجل فتاة باسم قريبه المتوفى، ثم يجد نفسه بعد ذلك غير قادر — من الناحية الاقتصادية — على أن يحصل على زوجة باسمه هو شخصيا. ذلك أن زواج الرجل هناك — كما سبق وأوضحنا من قبل — يعتمد اعتماداً كليا على الماشية ، كما أنه يتوقف كذلك على ترتيب الابن داخل الأسرة حسب السن . ومن ثم فإن الرجل الذى يتزوج فتاة باسم قريبه المتوفى لينجب له أطفالا قد يظل طوال حياته ينتظر إتمام زواج جميع إخوته وربما لا يجد بعد ذلك الماشية اللازمة ليتزوج زوجة شرعية لكى تنجب له أطفالا ينتسبون إليه ويرثونه . وإذا ما توفى مثل هذا الرجل ، فإن أفراد المجتمع يعتبرون أنه ، من الناحية الشرعية ، لم ينجب أطفالا ، ومن ثم فإنه يتعين على أحد أقاربه أن يقوم بالواجب نحوه فيتزوج فتاة باسمه .

الزواج الليفيرالى Leviratic marriage:

يذكر إيفانز بريتشارد أن الزوجة بالرغم من وفاة زوجها ، تظل فى نظر المجتمع زوجة له . ولا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية، كما أن جميع الأطفال الذين تلدهم بعد وفاة الزوج يعتبرون أبناء شرعيين له . ومن طريف ما ذكره إيفانز بريتشارد فى هذا الشأن أن الأهالى قد أبدوا دهشتهم الشديدة حينما أخبرهم

بأن الأرملة فى انجلترا يحق لها أن تتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجها .

وقد جرت العادة عند النوير على أن يقوم شقيق الزوج المتوفى بالاتصال جنسيا بالأرملة لإنجاب أطفال باسم المتوفى. هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الزواج الليفيراتى يختلف عن زواج الشبح من ناحية المهر وإقامة حفلات الزواج . ففى زواج الشبح نجد أن الزوج النائب عن المتوفى يدفع مهراً لأسرة الفتاة باسم الشخص المتوفى ، كما أنه يقيم احتفالات بمناسبة الزواج تماما كما لو كان المتوفى على قيد الحياة . أما بالنسبة لزواج الليفيراتى فإن الزوج القانونى (المتوفى) قد سبق وقدم المهر فعلا ، كما أنه قد أقام الحفلات الخاصة بالزواج ، ومن ثم فإن شقيق المتوفى لا يدفع مهراً ولا يقيم أية احتفالات .

وتتكون الأسرة فى هذه الحالة من الزوج القانونى (المتوفى) والأطفال والأرملة وكذلك شقيق الزوج المتوفى . وحينما يتحدث الأهالى عن الأرملة فإنهم يشيرون إليها على أنها زوجة المتوفى ، كما أن الأطفال يرون أنهم ينتمون إلى أسرة شرعية وأن أباهم هو الشخص المتوفى وليس العم الذى يقيم معهم. بل إنهم لا يعتبرونه ضمن أفراد الأسرة ، حتى ولو كان هو فعلا الأب الفيزيقى بالنسبة لهم .

(٤)

وفى بعض الأحيان قد تحدث منازعات بين الزوجين ، ويتعقد الموقف بحيث لا تجد الزوجة منفذا أمامها إلا بهجر زوجها ، مع احتفاظها بأطفالها . ثم تبحث لنفسها عن عشيق تعيش معه . وفى هذه الحالة ينبغى على أسرة الزوجة أن ترد المهر إلى الزوج . إلا أننا نلاحظ أنها لا تفعل ذلك فى بعض الأحيان

إما لأنها غير قادرة على ذلك فعلا ، وإما بحجة أن الزوج هو المتسبب فى هدم حياته الزوجية .

وفى حالة عدم قيام أسرة الزوجة برد المهر إلى الزوج ، فإن جميع الأطفال الذين تنجبهم الزوجة فيما بعد نتيجة لعلاقتها مع عشيقها يعتبرون أبناء شرعيين لزوجها الذى هجرته .

ويخلص إيفانز بريتشارد مما سبق إلى القول بأن النوير لا يعلقون أهمية كبرى على الأبوة الفسيولوجية . حقا إن الرجال يفضلون أن ينجبوا أطفالهم بأنفسهم ؛ إلا أنهم مع ذلك يرون أنه ليس من العار أن يربى الانسان طفلا لم ينجبه هو شخصيا . إن الأبوة القانونية للطفل legal fatherhood of the child هى الأمر الهام الذى يضعونه نصب أعينهم بصرف النظر عن الشخص الذى قام بالاتصال جنسيا بالزوجة وأدى إلى إنجاب الطفل .

ولا شك أن ذلك كان له أثره بالنسبة لرأى النوير فيما يتعلق بالزنا . فالزانى فى نظرهم هو الرجل الذى يرتكب الفحشاء مع زوجة رجل آخر ، ويدخل ضمن ذلك زواج الشبح والزواج الليفيراتى .

والزنا يعتبر عملا غير قانونى ، وإن كان الأهالى لا ينظرون إليه على أنه عمل غير أخلاقى . ويبدى إيفانز بريتشارد دهشته من انتشار الزنا بالمجتمع وعدم شعور الأهالى بالخجل نتيجة لذلك . كما أنه يذكر أن الأهالى نادرا ما يتشاجرون مع بعضهم من جراء ذلك .

وبالنسبة للإجراءات القانونية ، فى حالة ثبوت الزنا ، فإن النوير لديهم جزاءات محددة فى هذا الشأن . فالزانى يدفع للزوج ستة بقرات تعويضا له عن الفسق بزوجته .

ويرى النوير أن الزنا داخل مسكن الزوج يعتبر أكثر خطورة من الزنا فى الغابة ، وذلك لأنهم يعتقدون أن ذلك قد يسبب المرض للزوج . وبعبارة أخرى يرى الأهالى أن الفسق بالزوجة داخل مسكنها يسىء إلى الزوج من حيث أنه اعتداء على حقوقه ، وكذلك من ناحية صحته هو شخصيا .

وإذا ما أنجبت الزوجة طفلا سليم البنية نتيجة لهذه العلاقة غير المشروعة ، فإنه يجب على الزوج أن يرد إلى الزانى خمسة بقرات ، ويستبقى لنفسه بقرة واحدة فقط . ويعتقد النوير أنه إذا لم يرد الزوج هذه البقرات إلى الزانى ، فإن الطفل المولود قد يموت ، ويقوم شبحه بإزعاج أبيه الاجتماعى .

الفصل العاشر

ريموند فيرث

سكان جزيرة تيكوبيا

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد ريموند فيرث Raymond Firth في نيوزيلنده سنة ١٩٠١ . وقد حصل على درجة البكالوريوس والماجستير في علم الاقتصاد . ثم حصل بعد ذلك على درجة الدكتوراه من جامعة لندن عن اقتصاديات الموري Maori . وكان موضوع الرسالة : *Primitive Economics of the New Zealand Maori*.

وقد نشرت تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٢٩ ، ثم أعيد طبعها مرة ثانية سنة ١٩٥٩ تحت عنوان : *Economics of the New Zealand Maori* .

وقد قام الأستاذ فيرث بتدريس الانثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة سيدني Sidney ، (١٩٣٠ – ١٩٣٢) ، ثم بجامعة لندن من سنة ١٩٣٣ حتى اعتزل العمل بها سنة ١٩٦٨ (١) .

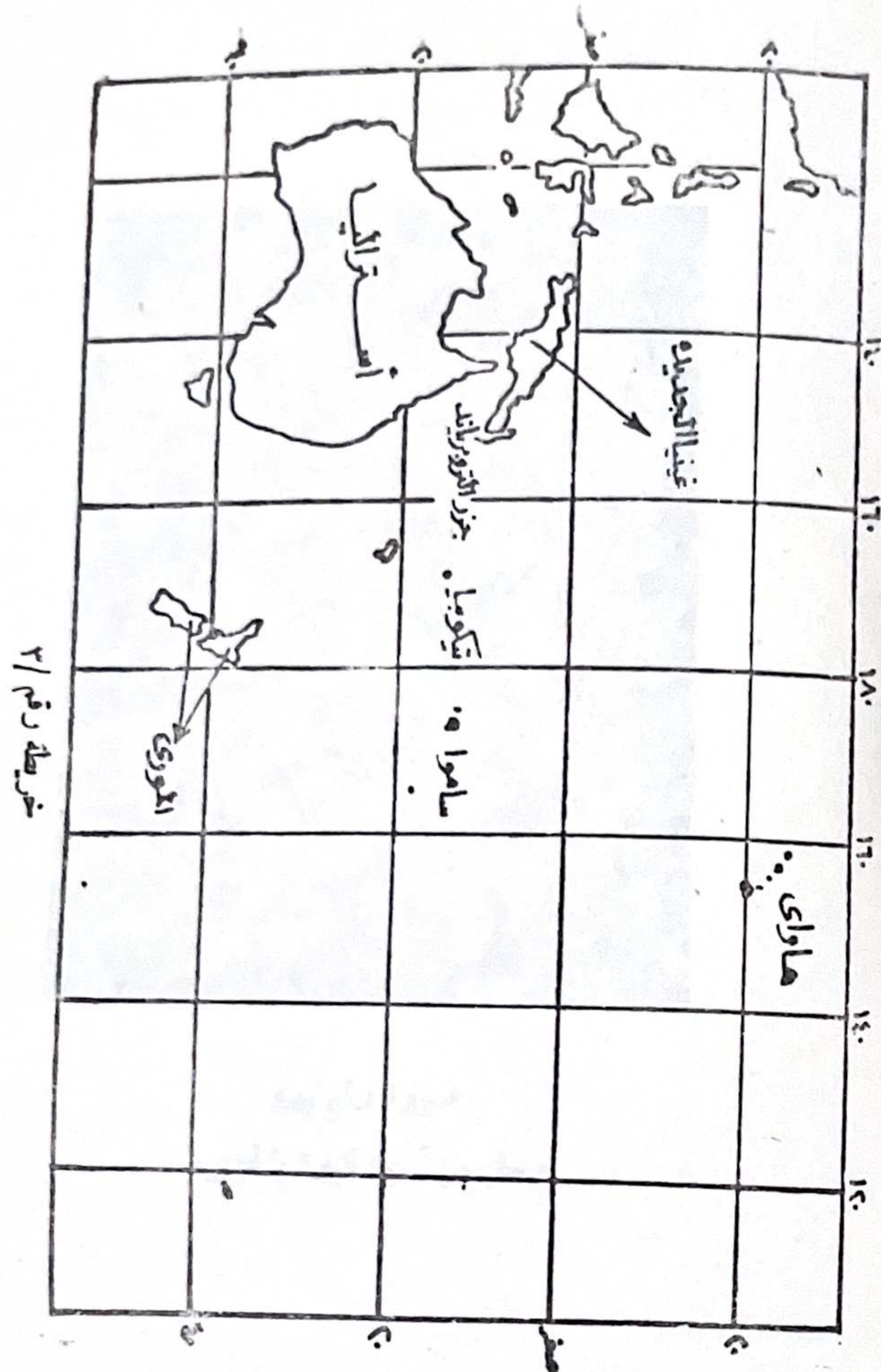
(١) بالنسبة للبيانات الخاصة بحياته ومؤلفاته ، فقد اعتمدت على الخطاب الذي أرسله إلى الأستاذ فيرث (بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٨) والذي أوضح فيه كثيرا من البيانات التي طلبتها من حياته وأبحاثه الحقلية والجامعات التي قام بالتدريس فيها .

ومن أبحاثه الحقلية نذكر دراسته لسكان جزيرة تيكوبيا في الفترة من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩ . وقد نشر فيرث عددا من الكتب عن ذلك المجتمع تعالج جوانب مختلفة للحياة الاجتماعية مثل القرابة والحياة الأسرية والدين والاقتصاد والتاريخ .

وهناك أيضا دراسته الحقلية التي قام بها هو وزوجته في عامي ١٩٣٩-١٩٤٠ عن الفلاحين في بلاد الملايو (٢) . وقد استغرقت هذه الدراسة مدة عام واحد فقط . أما بالنسبة لوسيلة التخاطب مع الأهالي ، فقد استخدم هو وزوجته لغة الأهالي أنفسهم ، تماما كما فعل من قبل في جزيرة تيكوبيا .

ومن مؤلفاته نذكر : كتاب *Human Types* (1936) وكتاب *Elments of Social Organization* (1951) ، كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أنه قد نشر أيضا عددا من المقالات في الدوريات العلمية .

(٢) R.Firth., *The Malay Fishermen, Their Peasant Economy*, (1946).



خريطة رقم ٢/

أولا ــ لمحة عن جزيرة تيكوبيا

تقع جزيرة تيكوبيا Tikopia شرقى جزر سولومون البريطانيه. وقد بلغ عدد السكان بها وقت إجراء البحث ١٢٠٠ نسمة (٣) تقريبا . ويعيش الأهالى فى عدة قرى تتكون كل منها من المساكن المنخفضة الارتفاع . ومن الناحية الاقتصادية ، يعتمد الأهالى على الزراعة وصيد الأسماك (٤). ويصف لنا فيرث سكان الجزيرة بأنهم من ذوى الأجسام البهية (٥) وأنهم يطلقون لحاهم وشعورهم كما يذكر لنا أيضا أنهم بدائيون Primitive وأنهم لم يتأثروا بالحضارة الغربية Western Civilization إلا بدرجة ضئيلة . فهم لا يستخدمون النقود فى معاملاتهم مع بعضهم ، وإنما يتبعون نظام المقايضة وتقديم السلع المختلفة لقاء مايقومون به من أعمال . فمثلا حينما أراد فيرث أن يبنى لنفسه مسكناً . استأجر عددا من الأهالى للقيام بذلك وقدم لهم عدة أدوات وكمية من السلع المختلفة لقاء عملهم (٦) .

وقد تمكن المبشرون من إدخال المسيحية بالجزيرة ، وبلغ عـدد المسيحيين هناك ــ وقت إجراء البحث ــ نصف عدد أفراد المجتمع تقريبا (٧) . أما بقية

---

(٣) *R, Firth, We, The Tikopia ; A Sociological Study of Kinship in Primitive Polynesia* (London, 1957) . p. 3.

(٤) Ibid, p.p. 22-23

(٥) Ibid, p. 12

(٦) من الأشياء التى قدمها لهم تذكر السكاكين والصنانير الخاصة بصيد السمك أو التبغ والأرز .

(٧) Ibid. p. 4.



صورة رقم/٤٥

رجل من أسرة كبيرة بالجزيرة

السكان ، فإنها لاتزال وثنية . ولاشك أن المسيحية كان لها أثرها على نمط الحياة الاجتماعية للسكان . فقد جلب أفراد البعثات التبشيرية معهم كثيرا من الأدوات الأوربية (٨) كما أدخلوا أيضاً أنواعا من الفواكه لم تكن معروفة هناك من قبل كالموز مثلا . كما أننا نلاحظ أيضا أن المسيحية قد حاربت وأد الأطفال والإجهاض والسرقة والزنا . وعلاوة على ما تقدم ، فقد إتجه الأهالى الذين تحولوا من الوثنية إلى المسيحية إلى أكل الحيوان الطوطم (٩) totem animal بعد أن كانوا يمتنعون عن أكله كمظهر من مظاهر الاحترام له (١٠) .

---

(٨) Ibid p. 43.

(٩) Ibid p. 46

(١٠) كالتوسة والحمام مثلا .



صورة رقم /٤٦
رجل من جزيرة تيكوبيا

ثانيا ـ ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — تمويل البحث ومدة الدراسة الحقلية : قام المجلس القومى للبحوث فى استراليا بتقديم التمويل اللازم لإجراء البحث(١١). وأما بالنسبة لمدة الدراسة الحقلية فإنها قد أجريت فى الفترة من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩، أى أنها قد استغرقت عاما كاملا(١٢). ولم يظهر كتاب *We, The Tikopia* وهو أول كتاب ينشره فيرث عن سكان الجزيرة إلا فى سنة ١٩٣٦ .

٢ — وسائل جمع البيانات : وبالنسبة لوسائل جمع البيانات التى استخدمها فيرث فى دراسته لمجتمع تيكوبيا ، فإنه يهمنا أن نشير إلى النقاط التالية :

ا — قراءة ماكتب عن المنطقة : قبل سفره إلى منطقة البحث اطلع فيرث على المؤلفات التى كتبت عنها . فهو مثلا يذكر أنه قد اطلع على مذكرات أحد رجال الدين ، وأنه أخذ منه عددا من الصور الفوتوغرافية عن المنطقة (١٣) . كما يشير كذلك إلى أنه قد رجع إلى كتاب ريفرز(١٤) عن تاريخ المجتمع الميلانيزى ووجه إليه نقدا شديدا بالنسبة لعدم دقة بعض المعلومات التى ذكرها ريفرز فى كتابه عن سكان جزيرة تيكوبيا .

ب — وسيلة التخاطب مع الأهالى : فى بداية البحث الحقلى ، ولمدة ثلاث أسابيع فقط ، استخـــدم فيرث خليطا من Pidgin English ولغة الموري

(١١) Ibid, p. xxiii.
(١٢) Ibid, p. 5
(١٣) Ibid, p. xxii.
(١٤) Ibid, p. xxiv.
(١٥) Ibid, p. 6.

Maori . إلا أنه بعد ذلك ، وطوال فترة البحث الحقلى ، قد اعتمد كلية على لغة الأهالى أنفسهم :

" At no time did I have a regular interpreter. Naturally, I recorded as much material in the Tikopia tongue as possible. But apart from taking down the statements of informants in the ordinary way, I made a practice of jotting down verbatim on the spot scraps of what I overheard, conversations between people, comments on behaviour, observations made duting the progress of work, and the like. These often give a more intimate insight into the human relationships involved than a long dictated text on the same theme, and I regard this type of material as among the most valuable of my records ".

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 6.)

ﻫ — مدى الاختلاط بالأوربيين : يقول فيرث : « لقد قضيت فى جزيرة تيكوبيا اثنى عشر شهراً من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩ . وفى خلال تلك الفترة زارت سفينة الإرسالية الجزيرة مرة واحدة (فى أكتوبر سنة ١٩٢٨) ، وكان ذلك بغرض إحضار مايلزمنى من مؤنة وبضائع . ومنذ أكتوبر سنة ١٩٢٨ حتى نهاية فترة البحث الحقلى (يوليو سنة ١٩٢٩) ، أى لمدة تسعة

شهور ، فإننى لم أر أحداً من البيض (١٦) .

٥ – الأقامة فى قرى الأهالى : أقام فيرث فى القرى واختلط بالأهالى فى مساكنهم ، كما شاركهم فى مختلف الأنشطة التى كانوا يقومـــون بهـا فى حياتهم اليومية . وهو يذكر أن كثيراً من المعلومات التى حصل عليها قد جمعت بينما كان مضطجعاً فى مساكن الأهالى وهم يقيمون شعائرهم أو يقومون بطهى الطعام (١٧) .

كما اعتمد فيرث كذلك على المخبرين informants الذين كان يختارهم من مختلف الجماعات ومن مختلف المناطق،وكان يقدم لهم العطايا لقاء مايقدمون من معلومات :

" My sytem was to make good gifts to those who contributed valuable material and let this principle be known ".

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 7)

٥ – الطريقة الجنيالوجية : كما استخدم أيضاً الطريقة الجنيالوجية وأمكنه بواسطتها أن يتعرف على الكثير من الحقائق فى المجتمع . فلقد أمكنه – مثلا – أن يتبين أن نسبة كبيرة من الذكور بالجزيرة يموتون غرقا فى الرحلات البحرية (١٨). كما أمكنه كذلك أن يتبين انتشار تعدد الزوجات بين الأفراد من

Ibid p. 5 (١٦)

Ibid p. 5 (١٧)

Ibid p. 515 (١٨)

العائلات الكبيرة فى الزمن الماضى (١٩) .

و – إحصاء السكان : وعلاوة على ماتقدم ، فقد قام فيرث بعمل إحصاء لسكان الجزيرة سنة ١٩٢٩ . وقد اشتمل ذلك التعداد على البيانات التالية عن كل أسرة : اسم القرية ، اسم المنزل ، العشيرة ، أسماء الأفراد ، النوع ، السن ، الصلة برب الأسرة (٢٠) .

٣ – نشر نتائج الدراسة : ذكرنا من قبل أن فيرث قد قضى عاما كاملا يقوم بأبحاثه الحقلية فى جزيرة تيكوبيا . وبعد عودته من هناك نشر كثيراً من البيانات التى جمعها فى عدة كتب وكذلك فى عدد من الدوريات العلمية.وقد نشر كتابه *We, The Tikopia* لأول مرة سنة ١٩٣٦ . ويهتم هذا الكتاب أساساً بدراسة الحياة الأسرية والقرابة فى جزيرة تيكوبيا (٢١) . ويشير فيرث إلى أنه قد عالج هذا الموضوع بشىء من التفصيل . ووجهة نظره فى ذلك أن المجتمعات البدائية تتغير وتتبدل فى الوقت الحالى الأمر الذى يستوجب المبادرة من جانب علماء الأنثروبولوجيا لدراستها قبل فوات الأوان. ويحتوى هـذا الكتاب على مقدمة كتبهاب. مالينوسكى وستة عشر فصلا تبحث فى الحيـاة بالقرية والمسكن والقرابة وأسس ملكية الأرض والمشكلة المكانية وسوسيولوجيا الجنس ونظام الزواج . . . الخ .

وعلاوة على كتاب *We, The Tikopia* ، فقـد ظهر أيضا كتاب *Primitive Polynesian Economy* (1939)

Ibid p. 165 (١٩)

Ibid, p. xxi (٢٠)

Ibid p. 5 (٢١)

وكتاب *The work of the Gods in Tikopia* (1940)

وكتاب *History and Traditions of Tikopia* (1961)

هذا ويهمنا أن نشير كذلك إلى أن ريموند فيرث قد زار الجزيرة مرة ثانية سنة ١٩٥٢ وقضى هناك فترة خمسة شهور درس خلالها التغير الاجتماعى بالمنطقة . ثم نشر كتابه *Social Change in Tikopia* (1959)

ثالثاً — عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

تخطيط المسكن (٢٢)

يعيش الأهالى فى عدة قرى تتناثر فى أرجاء الجزيرة ؛ وكل قرية **Potu** لها حدودها الجغرافية ولها اسمها الخاص بها (٢٣) .

وبالنسبة لمساكن الأهالى ، فإن فيرث يذكر لنا أنها منخفضة الارتفاع . كما أن كل بيت به عدة أبواب صممت بحيث تسمح فقط بدخول الأفراد وهم يزحفون على أيديهم وركبهم . ونظراً إلى أن سقف المنزل منخفض (٢٤) ، فإن الأهالى ينتقلون من مكان الى آخر داخل المسكن زحفا على أيديهم وركبهم . ولا شك أن بناء المساكن بهذه الطريقة إنما يرجع إلى خوف الأهالى من الأنواء التى كثيراً ما تكتسح الجزيرة .

ولا يوجد بداخل المنزل حجرات ، وإنما هناك تقسيمات غير واضحة لأرضية المسكن . وهذه التقسيمات هى :

ا — منطقة وسط الدار **Roto a Paito** . وهذه المنطقة تستخدم لجلوس أفراد الأسرة ولتناول الطعام وكذلك للنوم فيها .

---

(٢٢) **Ibid, p. p. 51—87.**

(٢٣) يذكر لنا ريموند فيرث أيضا أن كل بيت له اسم خاص به .

(٢٤) عادة يبلغ ارتفاع السقف حوالى ياردة واحدة فقط .

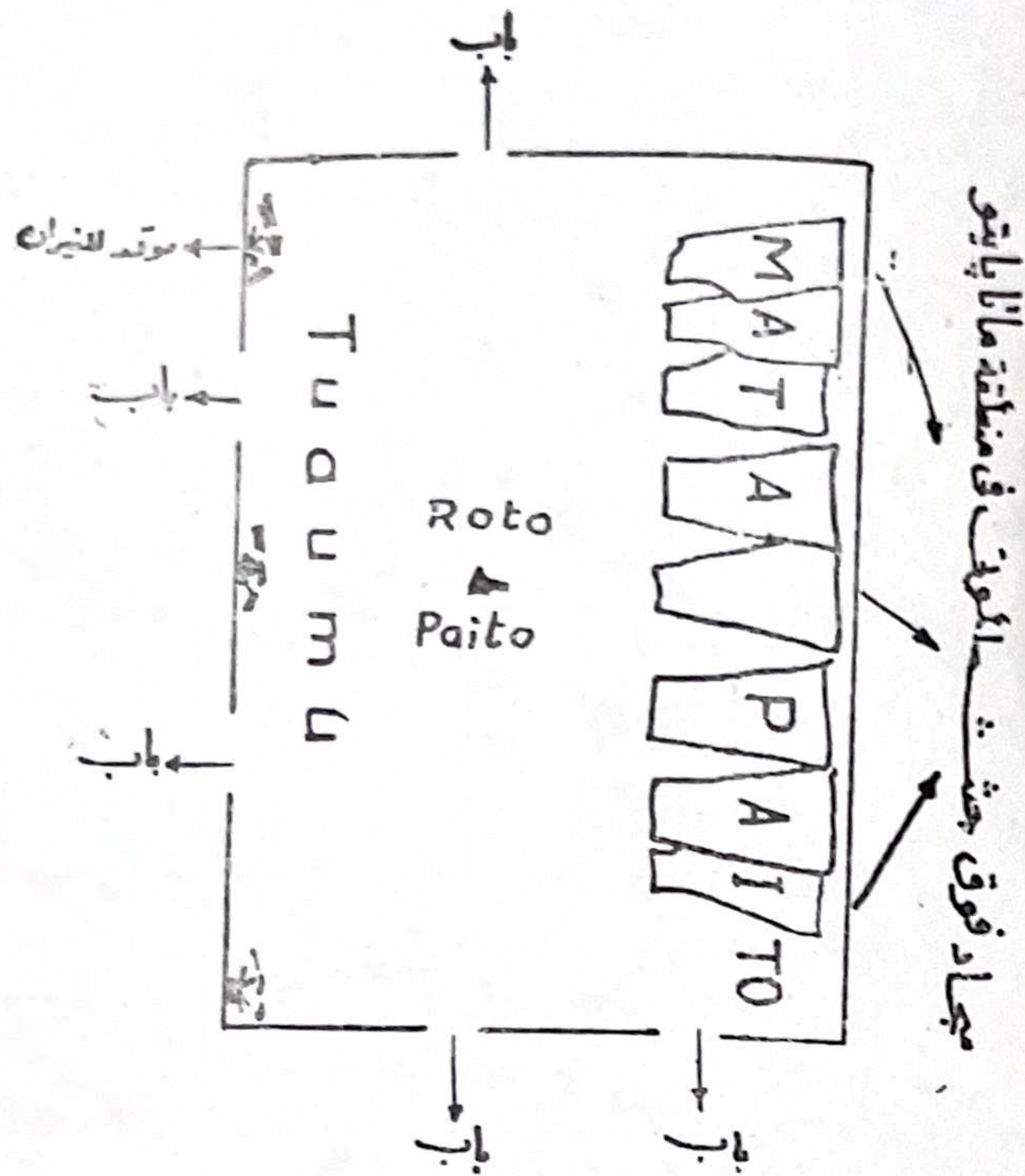
ب — منطقة تومو Taumua . وهى عادة تستخدم لإيقاد النيران لطهى الطعام (*) .

حـ — منطقة ماتا بايتو Mata Paito . وهى مخصصة لدفن الموتى من أفراد الأسرة .

ولا شك أن وجود مثل هذا التخطيط الداخلى للسكن بالجزيرة إنما يرجع إلى العادات الدينية السائدة هناك . لقد اعتاد الأهالى — حتى المسيحيون منهم — أن يدفنوا موتاهم داخل مساكنهم أو فى بعض الأحيان تحت رفرف سطح المسكن. فعند وفاة أحد أفراد الأسرة تلف الجثة فى حصير وقماش من لحاء الشجر ثم تدفن فى منطقة ماتا بايتو Mata paito على عمق ستة أقدام . ويبرر الأهالى ممارسة هذه العادة بحبهم الشديد لأفراد أسرتهم ، وأنهم بهذه الطريقة ولاشك سوف يتمكنون من حماية قبورهم من قسوة الجو .

ويذكر لنا فيرث أننا إذا قمنا بزيارة أحد المساكن التى بنيت منذ زمن بعيد ، فسوف نرى بداخلها فى المنطقة المسماة ، ماتا بايتو ، عدداً من السجاد المصنوع من أوراق شجر جوز الهند . وكل سجادة تدل على وجود جثة مدفونة تحتها . ولا شك أن وجود هذه الجثث الخاصة بالموتى من أفراد الأسرة هى السبب الرئيسى لما يبديه الأهالى من احترام زائد لتلك المنطقة من المسكن .

(*) يلاحظ أن مساكن الأهالى قد خلت من المراحيض ، ومن ثم فإن الأهالى يقضون حاجاتهم على شاطىء البحر .



شكل رقم /٢
التخطيط الداخلى للسكن

ويذكر ريموند فيرث أنه عندما دخل – لأول مرة – المسكن الذى أعدله بإحدى القرى بالجزيرة ، طلب منه أصحابه ألا يسير فوق السجادتين الموجودتين فى منطقة « ماتا بايتو » حيث يوجد تحتهما جثتى جد ووالد صاحب المسكن . كما طلبوا منه كذلك ألا يستخدم تلك المنطقة من الكوخ . وقد وعدهم فيرث بذلك ، بل إنه قد أصبح يمارس ذلك بطريقة لاشعورية .

(٢)

الزواج (٢٥)

يذكر لنافيرث أن سلاسل الأنساب التى حصل عليها تبين أن تعدد الزوجات كان منتشراً بين الرجال من العائلات الكبيرة . ولكن المسيحية كان لها أثرها الكبير فى الإقلال من انتشارها ، فأصبحت قاصرة على عدد غير قليل من الأفراد من الأسر الوثنية .

وبجانب تعدد الزوجات ، فإن هناك أيضاً نظام الزواج المونوجامى .

وأما بالنسبة للوسائل التى يتم بها الزواج ، فإن هناك « طريقة الفرار » مع الزوجة ، و « طريقة الاستيلاء على المرأة بالقوة » :

١ — طريقة الهروب مع الزوج Marriage by elopement : وهذه الطريقة هى الشائعة فى الوقت الحالى . فعندما يقرر الفتى الزواج بالفتاة التى يحبها ، فإنه يمسكها من معصمها ويقودها إلى منزل أسرته . والفرار مع الفتاة عادة يتم ليلا حتى لايعلم أهلها بذلك . وعندما تفر الفتاة مع فتاها لتتزوجه ، فإن الأب ، عادة ، لايعلم إلا فى صباح اليوم التالى عندما ينتشر الخبر فى أرجاء الجزيرة . ولكن إذا كان والد الفتاة لايعلم بخطة الفتاة واتجاهها للهروب ، فإن أسرة الفتى تكون على علم تام بكل خطواته فى هذه الناحية . ذلك أن الفتى لايستطيع أن يتزوج إلا إذا كانت ظروف الأسرة الاقتصادية تسمح بذلك ، وكانت الأسرة فى نفس الوقت ترضى عن طباع الفتاة . وبصفة عامة ، يلاحظ أن الأسرة فى مجتمع تيكوبيا ترغب فى أن تكون زوجة الابن مجدة فى عملها وحسنة الطباع ؛ كما ينبغى أيضا ألا تكون عابسة أو سليطة اللسان أو نهمة فى الأكل .

(٢٥) Ibid, p. p. 531-546.

٢ — طريقة الاستيلاء على المرأة بالقوة Marriage by Capture : ولكن قد تعترض الأسرة ، أحيانا ، على اختيار الفتى ، ومن ثم فإنهم يتجهون للقيام بالبحث عن فتاة أخرى يرضون عن طباعها ويقومون هم أنفسهم بخطفها ليزوجوها لفتاهم .

وفى أحيان أخرى ، نجد أن الرجل قد يرغب فى الزواج من فتاة معينة ، ولكنها ترفض ذلك ومن ثم فإنه يتجه للقيام بخطفها بمساعدة أهله . ويذكر فيرث أن عادة الاستيلاء على المرأة بالقوة عادة تقتصر على العائلات الكبيرة بالمجتمع ؛ إذ أن ذلك يحتاج ليس فقط إلى القوة البدنية بل وأيضاً الى النفوذ بالمجتمع .

وقد جرت العادة على أن يتكون موكب الجماعة المغيرة من الإخوة الذكور وأبناء العم والأعمام وأصدقاء الفتى . وبعد أن يتم اجتماعهم سراً ، يتجهون لخطف الفتاة . وفى العادة يتم الخطف من منزل والد الفتاة كما يلى :

يتقدم رئيس الجماعة المغيرة ويخاطب والد الفتاة قائلا : « لقد جئنا لأخذ ابنتك زوجة » . ولكن الأب يرد عليه معلنا رفضه لطلبهم . وعندئذ يتقدم رئيس الجماعة ويمسك الفتاة — التى تصرخ وتبكى — ويحملها بين ذراعيه . وحينئذ ينهض كلا الفريقين ويتعاركا . ويظل كلا الفريقين يجذب الفتاة . وينهال فريق أسرة الفتاة على الفريق الآخر ضربا ولكما ، كما أنهم يقومون بشد شعور المعتدين . ومن التقاليد السائدة فى المجتمع ألا يحاول الجانب المغير أن يتعارك مع الجانب الآخر أو يوجه إليه اللكمات ، إنه يحاول قدر المستطاع حمل الفتاة والهروب بها . وبعد صراع طويل يتمكن الفريق المهاجم من أخذ الفتاة والفرار

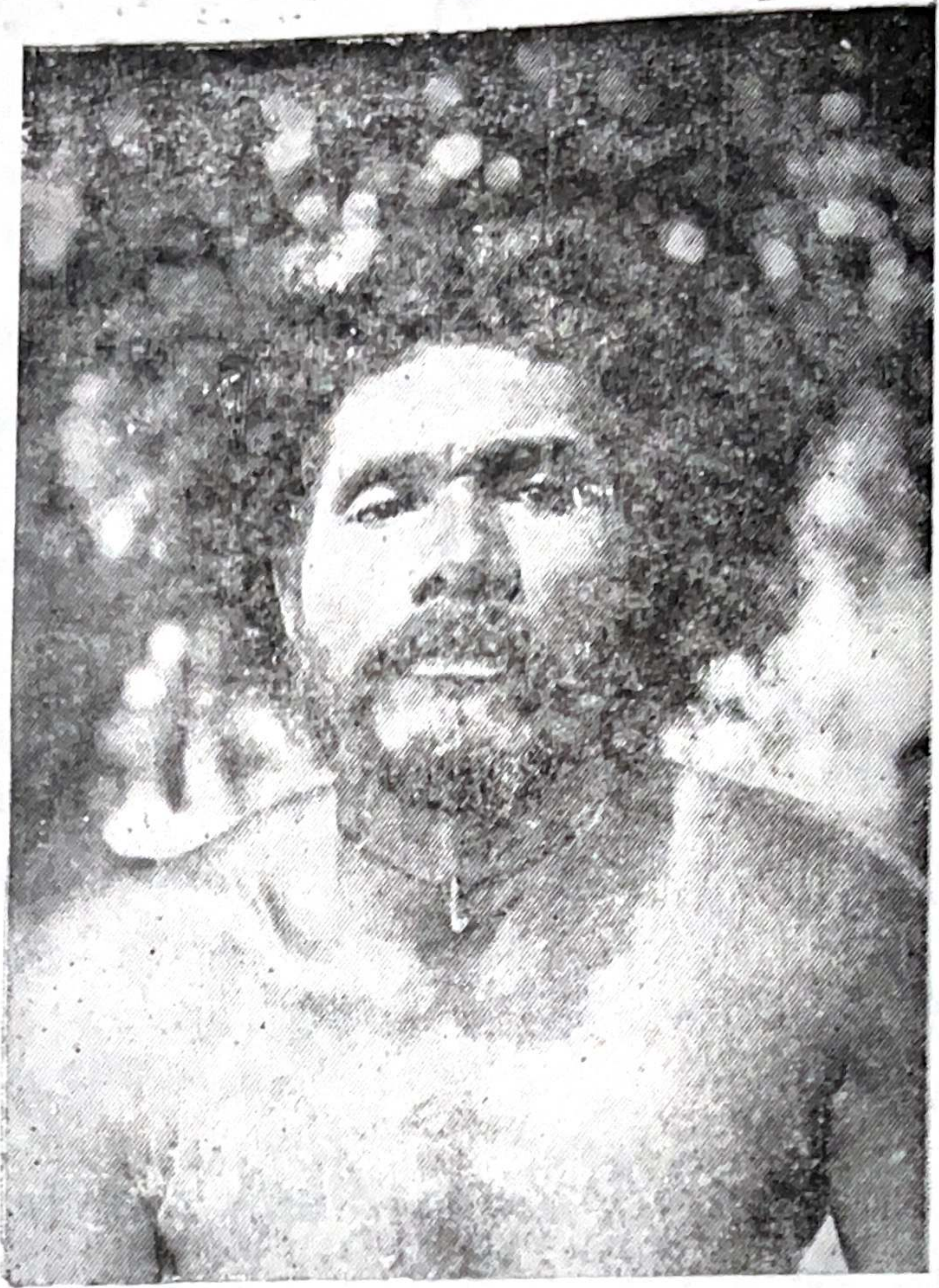


صورة رقم /٤٧
رجل ومعه طفل

ولكن إذا كان الفريق المهاجم أقسل قوة من فريق أسرة الفتاة . فإن المحاولة تبوء بالفشل ويولون الأدبار .

وفى صباح اليوم التالى ، يتوجه وفد من أسرة الفتى إلى منزل أسرة الفتاة ومعه بعض الهدايا . وعادة تكون الهدية عبارة عن سلطانية من الخشب ولفة من الحبال (*) . وعندما يصل الوفد إلى منزل الفتاة ، فإنهم يحاولون التقسدم زحفا إلى والد الفتاة . ولكن أسرة الفتاة تنهال عليهم ضربا على رءوسهم وظهورهم ، كما يقومون كذلك بشد شعورهم . كما تتعارك نساء الفريقين معاً . وأثناء الضرب يسقط الكثير منهم من شدة الإعياء . ويستمر الحال كذلك إلى أن يتمكن أحد أفراد أسرة الزوج من الوصول إلى رب الأسرة ليضغط بأنفه على ركبته ويقدم له الهدية . وعندئذ يتوقف العراك ، ويخرج فريق الزوج فورا ودون أن يقدم لهم أهل الزوجة أى طعام !!

(*) تقدم الهدايا إلى أسرة الفتاة فى حالة هروب الفتاة وكذلك فى حالة الاستيلاء على المرأة بالقوة .



صورة رقم /٤٨

أحد الأهالى يصنع سنة أبيه حول عنقه

(٣)
المشكلة السكانية بالجزيرة (٢٦)

قام فيرث بعمل إحصاء للسكان Census فى جزيرة تيكوبيا سنة ١٩٢٩ ؛ وقد اتضح له أن عددهم وقت إجراء البحث قد بلغ ١٢٨١ نسمة .

وبالنسبة لعلاقة السكان بموارد القوت ، فإنه يذكر لنا أن السكان Population كانوا بصفة عامة حتى عهد قريب فى حالة تعادل أو موازنة مع موارد القوت بالجزيرة . وهو يرى أن ذلك ولا شك كان مرجعه إلى عوامل مختلفة هى :

١ – العزوبة Celibacy : فإذا كانت الأسرة لا تملك الأرض الكافية لإنتاج الطعام لمزيد من الأفواه فى المستقبل ، فإن رب الأسرة يوعز إلى أبنائه بالامتناع عن الزواج . هذا ويهمنا أن نشير فى هذا المجال إلى أن إشباع الناحية الجنسية بالنسبة لهؤلاء العزاب لم تكن تقابل بالمعارضة من جانب الأسرة ؛ كما أن هؤلاء العزاب بدورهم كانوا يحرصون على ألا تؤدى هذه العلاقات إلى إنجاب أطفال .

٢ – العزل . كما كان البعض من المتزوجين ومن غير المتزوجين يلجأون إلى طريقة العزل . وكان الغرض من ذلك هو منع الحمل لتنظيم الأسرة (*) .

---

(٢٦) Ibid. p. p. 408—417.

(*) العزل هو منع إلتقاء المادة التناسلية من الزوج بالمادة التناسلية من الزوجة وذلك بأن يعمد الزوج عند أداء العملية الجنسية إلى قذف هذه المادة التناسلية خارج فرج المرأة عند انتهاء العملية . ومما هو جدير بالذكر أن العزل كوسيلة لمنع الحمل كان معروفا عند العرب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — **الاجهاض Abortion** : يقول فيرث أن هذه الوسيلة ليست شائعة فى المجتمع ؛ ولكنها تمارس أحيانا بواسطة الفتيات غير المتزوجات اللائى لا يرغبن فى إنجاب أطفال .

٤ — **وأد الأطفال : Infanticide** : عندما تلد الزوجة طفلا ، فإن رب الأسرة هو الذى يقرر مصيره : الحياة أم الوأد ؟ والطريقة الشائعة هناك لوأد الأطفال هى الخنق . وكما يقول الأهالى ، فإن الدافع الأساسى وراء وأد الأطفال هو العمل من جانب الأسرة على موازنة موارد القوت بالنسبة لعدد أفـــراد الأسرة . وأما بالنسبة للنوع Sex فإن ذلك يختلف من أسرة إلى أخرى . فبعض الأسر تئد الإناث ، بينما نجد أن بعض الأسر الأخرى تقوم بوأد الذكـــور من المواليد (*) .

٥ — **الأسفار البحرية Sea-voyaging** يذكر لنا فيرث أن قيام الرجال ، وبصفة خاصة الشبان منهم ، بالسفر بحرا إلى الجزر المجاورة يؤدى إلى فقد عدد كبير من رجال الجزيرة فى كل عام . وقـــد أوضحت له سلاسل الأنساب genealogies التى جمعها أن عددا كبيرا من سكان الجزيرة يموتون غرقا .

(*) كانت قبائل العرب فى الجاهلية تئد الأطفال بسبب الفقر . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم إذ يقول مخاطبا العرب : «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئا كبيرا» .

كما يذكر لنا ريفرز Rivers فى كتابه *The Todas* (London, 1906) أن عادة وأد البنات female infanticide كانت تمارس عند التودا فى بلاد الهند منذ مئات السنين . وإذا ولدت الزوجة توأمين ، فإن العرف عندهم كان يقضى بقتل أحدهما حتى ولو كان الاثنان من الذكور . وبالنسبة لطريقة وأد الأطفال ، فإن ذلك كان يتم بكتم نفس الصغيرة أو خنقها ثم دفنها بعد ذلك مباشرة .

٦ — **الحروب** : فى بعض الأحيان عندما يحدث إرتفاع كبير فى عدد السكان ، ويشتد الضغط على الأرض ، فإن الحرب قد تنشب بين الأهالى وتكون النتيجة هى طرد الكثير من الأسر خارج الجزيرة . ويذكر فيرث أن ذلك قد حدث فعلا مرتين فى تاريخ الجزيرة .

هذه هى الوسائل المختلفة التى كان لها أثرها فى الموازنة بين موارد القوت والسكان بجزيرة تيكوبيا . إلا أن بدء اتصال الجزيرة بالأوربيين ، عن طريق الحكم والمبشرين ، قد أدى إلى بدء ظهور مشكلة سكانية بها . فالخوف من الحكومة قد أدى إلى منع قيام الحروب بين الأهالى ، وبالتالى لم يعد فى الإمكان طرد أى أسرة خارج الجزيرة . كما أن الموانع الأخرى قد تأثرت بدورها إلى حد كبير نتيجة لإنتشار المسيحية . فالإرساليات التبشيرية تعارض أشد المعارضة إشباع العلاقات الجنسية خارج الزواج الأمر الذى يدفع الشبان الذين اعتنقوا المسيحية إلى هجر العزوبة والإقدام على الزواج . كما أن البعثات التبشيرية تعارض كذلك الإجهاض ووأد الأطفال .

وهكذا نرى أن مجتمع تيكوبيا مهدد بمشكلة سكانية نتيجة لاتصاله بالحضارة الغربية . ولمواجهة تلك المشكلة نجد أن فيرث يناقش عددا من الحلول المقترحة لعلاجها . وهذه الحلول هى :

١ — الهجرة migration .

٢ — العمل على زيادة الإنتاج الزراعى .

٣ — نشر الوعى بين الأهالى فيما يتعلق بالناحية الجنسية وتوزيع وسائل منع الحمل Contraceptives .

وبالنسبة للهجرة فهو لا يعتقد فى جدواها كعلاج المشكلة ، وذلك لأن

الاهالى أنفسهم لايرغبون فى الهجرة من جزيرتهم . وأما بالنسبة لإدخال الآلات الحديثة لزيادة الانتاج الزراعى ، فهـو يرى أن ذلك له فائدته المحدودة وإن كان ذلك لن يجدى طويلا ، ويخلص فيرث إلى مدى أهمية وسائل تنظيم الاسرة كعلاج للمشكلة لو أمكن التوعية بين الأهالى بشأنها والعمل على نشرها.

ومن الحلول الطريفة لعلاج المشكلة السكانية بالجزيرة ، مارواه فيرث عن أحد الرؤساء بالجزيرة . فعند سفره من هناك تقدم إليه أحد الرؤساء وطلب منه أن يعمل من جانبه على إقناع الحكومة بأن تصدر قانونا يقضى بإلزام الأسرة بممارسة وأد الأطفال إذا زاد عـدد الأطفال بها عن أربعة أو خمسة أطفال ، وذلك حتى لاتتأثر كمية الطعام بالجزيرة بزيادة النسل !!

الفصل الحادى عشر

دراسة و. ل. وورنر للبدائيين فى استراليا

أولا — لمحـة عن مجتمع البحث

يعيش المورنجن Murngin فى شمال استراليا . وقد بلغ عددهم وقت إجراء البحث ٣ر٠٠٠ نسمة تقريبا(١) . وتنقسم القبيلة إلى عدة عشائر ؛ وكل عشيرة لها اسمها الخاص بها ولها أرضها الخاصة بها . وفى العادة تبلغ مساحة الأرض الخاصة بكل عشيرة ٢٦٠ ميلا تقريبا(٢) . وبالنسبة لعدد أفراد العشيرة ، فإنه يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ نسمة .

والمنطقة غنية بالحيوانات والطيور والأسماك . فهناك الكنغر (٣) والنعام

---

(١) W.L.Warner, *A Black Civilization : A Social Study of An Australian Tribe* (Harper and Brothers, 1958), p. 157.

(٢) Ibid, p. 16

(٣) يصف لنا وورنر طريقة صيد الكنغر كما يلى : يغطى الرجال الذين يخرجون لصيد الكنغر أجسامهم بالطين وذلك لكى يمنعوا الكنغر من شم رائحتهم أو رؤيتهم ثم ينتظرون فى مكان ضيق بالغابة . ثم تقوم جماعة من الأولاد ، فى الطرف الآخر من الغابة ، بالسير صفا واحدا فى اتجاه الرجال وهم ينبحون بصوت عال ، تماما كما تفعل الكلاب الاسترالية ويسير الأولاد بخطى بطيئة ، فيخاف الكنغر الموجود بالمنطقة ويتجه نحو المكان الذى يختبىء فيه الرجال . وعندما يقترب الحيوان منهم ، فإنهم يهاجمونه بحرابهم ويقتلونه !

والثعلب الطائر والتمساح والبط والبلشون وأبو قردان . وهناك أيضا الترسة، والأهالى يأكلون لحمها وبيضها كما أنهم يشربون دماءها أيضا(٤) . ويأكل الأهالى كذلك الثعابين والطيور والمحار وقواقـــع البحر وبيض التماسيح ، كما أنهم يصطادون السمك من البحر . ومن عاداتهم أنهم يسارعون بطهيه وأكله بعد صيده مباشرة ، وذلك لأنهم يعتقدون أن تأخيرطهى السمك ، بعد إخراجه من الماء، يعرض الشخص الذى يأكله للإصابة بمرض الجذام (٥) .

كما يأكل الأهالى أنواعا عديدة من الديدان التى تعيش داخل الأشجار . فإذا وجد أحد أفراد العشيرة شجرة بها علامات تدل على وجود ديدان بداخلها فإنه يقوم بشق جذع الشجرة واستخراج مايوجد بداخلها من ديدان . ثم يقوم بعد ذلك بغسلها وأكلها نيئة .

وإذا اكتشف أحد الأهالى وجود خلية نحل بداخل إحدى الأشجار فإنه يقوم بقطع الشجرة واستخراج مايوجد بداخلها من العسل . والأهالى هناك لايهابون النحل الذى يعيش فى تلك المنطقة وذلك لأنه لا يلسع .

---

(٤) Ibid, p. 143

(٥) Ibid, p. 144.

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

أجرى وورنر هذا البحث فى الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٢٩ . وقد قام بتقديم التمويل اللازم للبحث ، موسسة روكفلر « The Rockfeller Foundation » ، والمجلس القومى للبحوث فى استراليا (٦) « The Australian National Research Council » .

ويلاحظ أن وورنر قد رجع إلى كثير من الكتابات التى كتبت عن المنطقة . وهذا واضح بصفة خاصة فى الجزء الذى خصصه لدراسة التغير الاجتماعى فى شمال استراليا (٧) .

وبالنسبة لوسائل جمع البيانات ، فإننا نلاحظ أنه قد أقام بمنطقة البحث واعتمد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة . كما نلاحظ أنه قد اعتمد أيضا على الطريقة الجينالوجية .

هـذا ويهمنا أن نشير كذلك إلى أن وورنر ، أثناء قيامه بالبحث الحقلى ، قد قام بقياس حوالى ٤٠٠ شخص من السكان الأصليين تم اختيارهم من مناطق جغرافية مختلفة . وقد خلص من دراسته إلى أن سكان شمال استراليا لايختلفون إلا بدرجة ضئيلة عن سكان وسط وجنوب استراليا (٨) .

وفى ١٩٣٧ نشر وورنر لأول مرة كتابه عن المورنجن (٩) . ويشتمل هذا

---

(٦) Ibid, p. xi.

(٧) Ibid, p. p. 451 – 471.

(٨) Ibid, p. p. 518–519

(٩) *A Black Civilization : A Social Study of An Australian Tribe,*

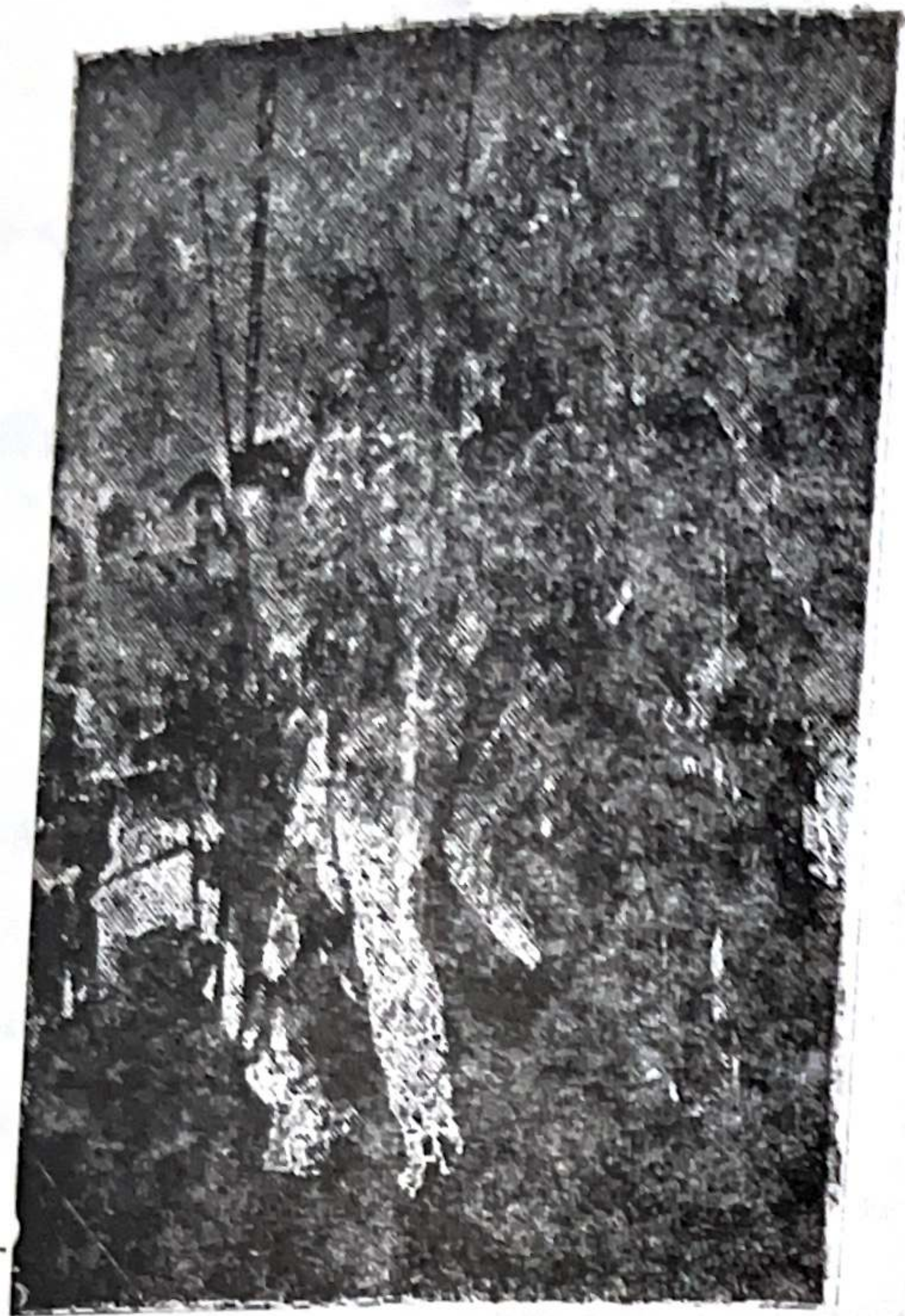
الكتاب على ثلاثة عشر فصلا تبحث فى التنظيم الاجتماعى والأسرة والنسق القرابى ونظام طبقات العمر والتكنولوجيا والحرب والسحر والطب والنظام الطوطمى وشعائر الجنازات .

ويلاحظ أن وورنر قد تأثر براد كليف براون عند كتابة تقريره عن المورنجن . فلقد اتبع نفس الطريقة التى اتبعها أستاذه فى كتابه *The Andaman Islanders* من حيث الفصل بين الوصف والتفسير . فمثلا نجد أن وورنر قد خصص الفصلين التاسع والعاشر لوصف الحقائق المتعلقة بالنظام الطوطمى ، ثم أتبع ذلك بالفصل الحادى عشر الذى خصصه لتفسير الحقائق التى قام بوصفها فى الفصلين السابقين (١٠) .

---

(١٠) يهمنا أن نشير إلى أن وورنر ، قبل قيامه بنشر كتاب *A Black Civilization* سنة ١٩٣٧ قد كتب عدداً من المقالات عن المورنجن ونشرها فى بعض الدوريات العلمية ومن الأمثلة على ذلك :

"Murngin Warfare, » *Oceania*, Vol, 1, No. 4, Jan. — Mar., 1931. « The Camp Life of the Murngin », *Hobbies*, Vol. 11, No. 6, 1931.



صورة رقم/٤٩

مجموعة من المحاربين تحمل حرابها ويلاحظ أنهم قد غطوا أجسامهم بالطين الأبيض

ثالثا – عرض لبعض نتائج الدراسة

الحرب[١١]

يذكر لنا وورنر أن الحروب التى تنشب بين الأهالى هناك ترجع بصفة عامة إلى الأسباب الآتية :

١ – قيام أحد أفراد العشيرة بقتل شخص آخر ينتمى إلى عشيرة أخرى .

٢ – المنافسة بين العشائر المختلفة على النساء .

٢ – الثأر .

ومما هو جدير بالذكر أن وورنر قد قام ، وقت اجراء البحث ، بعمل إحصاء للمعارك التى نشبت خلال العشرين سنة الماضية فى بلاد المورنجن ، وقد اتضح له أنها قد بلغت ٧٢ معركة . ومن دراسته للأسباب التى أدت إلى قيام هذه المعارك تبين أن ٥٠ معركة منها قد نشبت لرغبة العشيرة فى الثأر لمقتل أحد أفرادها .

وهناك عادات تتعلق بنظام الاخذ بالثأر ، يهمنا أن نشير اليها بايجاز :

جرت العادة على تسليم عظام أصابع القتيل إلى أقرب أقربائه من أفراد العشيرة . وهدفهم من الاحتفاظ بهذه المخلفات هو الرغبة فى تذكيرهم بصفة مستمرة بما يجب عليهم للثأر لمقتل قريبهم . وفى العادة تلف عظام الاصابع ببعض الالياف ثم تغطى بشمع العسل وريش الببغاء .

Ibid, p. p, 155 - 190. (١١)

وإذا قتل شخص أحد أعدائه بحربته ، وبقى جزء مكسور من الحربة فى جسم القتيل ، فإن أهل القتيل يحتفظون بهذا الجزء المكسور من الحربة أيضا كأثر يذكرهم بالثأر لقريبهم .

وإذا ما سلمت هذه المخلفات التى ذكرناها إلى أحد أقارب القتيل ، فإنه يصبح لزاما عليه أن يقوم بقتل أحد أفراد عشيرة القاتل .

ويعتقد المورنجن أن « روح القتيل » توجد دائما مع مخلفاته ، كما يعتقدون أيضا أن هذه المخلفات لها تأثير سحرى . فإذا قام أحدى أفراد عشيرة القتيل بإلقائها فى النار الموقدة أمام أحد الأعداء ، فإنها سوف تجعله يروح فى سبات عميق . كما أن أفراد عشيرة القتيل يحملونها فى فهم أثناء المعارك ، وذلك لاعتقادهم بأنها تجعل العدو متعبا وثقيل الحركة أثناء القتال .

ويعتقد المورنجن أيضا أن روح القتيل تدخل فى جسم القاتل و تضاعف من قوته البدنية ، كما أنها أيضا تجعل حجم جسمه يزداد .

كما أنهم يعتقدون كذلك أن روح القتيل تحضر إلى القاتل فى المنام وتخبره بوجود طعام معين فى مكام معين : « انك سوف تجد عددا كبيرا من حيوان الكنغر بالقرب من النهر » أو « هناك كميات هائلة من عسل النحل داخل تلك الشجرة الكبيرة » أو « إنك سوف تجد ترسة ضخمة وعددا كبيراً من البيض بالقرب من الشاطىء » .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن الأهالى يعتقدون كذلك أن روح القتيل كثيرا ماتظهر على شكل غراب أو ببغاء أو أى طائر آخر وتحوم حول رأس القاتل . وهذه الطيور تجلب الخير له ، فهى ترشده إلى الأماكن التى توجد بها الحيوانات

ذات الحجم الكبير والتى يرغب هو شخصيا فى صيدها .

° ° °

ويذكر لنا وورنر أن المورنجن لديهم أنماطا مختلفة من المعارك (١٢) ، ويهمنا أن نتناول بالدراسة النمطين الآتيين بشىء من التفصيل :

أولا — قتال المارنجو The Moringo fight : هذا النمط من القتال قد سمى بهذا الاسم لأن تشكيل العشائر المهاجمة لمعسكر العدو يكون على شكل الثعبان وهو ملتف حول نفسه . وفى العادة تجرد مثل هذه الحملات بغرض الثأر لمقتل أحد أفراد العشيرة . كما يلاحظ أن الفريق المهاجم يحمل معه دائما مخلفات القتيل ، وذلك لأنهم يعتقدون أنها قادرة على إحداث تأثيرسىء فى صفوف الأعداء أثناء القتال .

والأسطورة التالية تقدم لنا وصفا تفصيليا لإحدى معارك المارنجو . وقد قامت الثعابين ، كما تروى الأسطورة ، فى تلك المعركة بالهجوم ليلا على احدى العشائر :

كان البعض من الناس يقومون بصيد السمك ، بينما انهمك البعض الآخر منهم فى إشعال النار وطهى السمك . وتصادف فى ذلك الوقت أن أحد السحالى الصغيرة كان موجودا فى الغابة المجاورة . فلما شم رائحة السمك صاح : « إنهم يطهون السمك . سوف أذهب إلى هناك !! » وبعد وصوله إلى هناك ، أخذ يأكل

---

(١٢) بالنسبة للاسلحة الخاصة بالمعارك فإن الاهالى يستخدمون الحربة والنبوت Club والسكاكين المصنوعة من الحجارة the stone knife ، كما أنهم أحيانا يستخدمون فؤوسهم المصنوعة من الحجارة . ولا توجد دروع عند المورنجن.



صورة رقم /٥٠
رجل يرقص فى إحدى الحفلات

حراشيف السمك . إلا أن الرجال أكتشفوا وجوده ، فأمسك أحدهم بعصاه وضربه على رأسه فقتله .

حدث كل ذلك بينما كان والده ـ وهو من النوع السام الشرير ـ يجلس بعيداً فى الغابة فى انتظار عودته . وبعد قليل دخلت روح الابن المقتول فى قلب الأب ، فأحدث له ذلك رعشة فى بدنه . وعندئذ عرف الأب حقيقة ماجرى لابنه فصاح بغضب شديد : « لقد قتل أحدهم ابنى ! » ثم أرسل رسله إلى جميع الثعابين والسحالى ليخبرهم بما حدث . ولما حضروا إليه جميعا ، قام بتقسيمهم إلى ثلاث مجموعات على شكل ثلاث حلقات .

وعندما بدأ جيش الثعابين فى الزحف اهتزت الأرض !! ولما أحس رجال العشيرة باهتزاز الأرض ، حسبوا أن ذلك زلزالا ، فأسرعوا إلى جزيرة صغيرة يحتمون بها .

وحينما اقترب الجيش من المعسكر ، سنت الثعابين أسنانها وقامت بطلاء أجسامها بطلاء أبيض استعداداً للمعركة (١٣) . كما قامت الثعابين الكبيرة أيضا بالسير على ذيولها وهى تتقدم نحو العدو .

ولما وصل الجيش إلى المعسكر ، وجدوا أن أفراد العشيرة قد هجروه ، فاقتفوا آثار أقدامهم إلى الجزيرة الصغيرة . وحينما وصلوا إلى هناك تحدث أحد الثعابين إلى الجنود قائلا : « إننا سوف ننام هنا على الشاطىء حتى قرب طلوع النهار وبعد ذلك سوف نطوق المعسكر والرجال نيام ثم نبيدهم عن آخرهم » .

وعند طلوع نجمة الصبح بدأت الثعابين تعبر النهر . وحينما سمع رجال العشيرة

(١٣) من عادات الأهالى عند ذهابهم إلى القتال أنهم يطلون أجسامهم بالطين الأبيض .

صوتها وهى تسبح فوق الماء ، وصوت المد والجزر . ثم قامت الثعابين ، بعد عبور النهر ، بتطويق الرجال من كل جانب ، وقتلوهم جميعاً إلا واحداً أمكنه أن يختبىء فوق شجرة .

وعندما غادر الجيش الجزيرة عائداً إلى بلاده ، نزل الرجل الوحيد الذى بقى على قيد الحياة من فوق الشجرة وعاد إلى قومه وأخبرهم بما حدث . فجردوا حملة من الرجال لقتال الثعابين ، إلا أن أحد الثعابين استخدم الصواعق فى ضربهم وهزمهم جميعاً .

ثانيا — قتال الماكاراتا The Makarata fight : قتال الماكاراتا هو قتال شعائرى لعقد الصلح بين طرفين متخاصمين . فإذا قامت إحدى العشائر بقتل فرد من عشيرة أخرى ، فإنها تنتظر بعض الوقت حتى تهدأ النفوس . ثم تبدأ الاتصالات بين الجانبين بعد ذلك لإقرار السلام وعمل معركة « الماكاراتا » . وبعد الانتهاء من المفاوضات فى هذا الشأن يتجه المحاربون من الجانبين ، وقد طلوا أجسامهم بالطين الأبيض ، إلى مكان المبارزة الذى تم الاتفاق عليه . ويقف كل جانب فى مواجهة الآخر وبحيث تكون هناك غابة خلف كل جانب خوفاً من أن تنقلب « الماكاراتا » إلى قتال حقيقى ، فلا يجدون ملجأ لهم يحتمون به .

وعند وصول الطرف الموتور إلى الساحة ، فإن أفراده يقومون بالرقص ، وينشدون بعضاً من أغانيهم .

وبعد ذلك يتقدم الرجال الذين حرضوا القتلة على قتل القتيل ويجرون فى وسط الساحة فى مواجهة أعدائهم بطريقة ملتوية . ويجرى معهم فى نفس الوقت اثنان من الرجال يمتان إلى كلا الجانبين المتخاصمين بصلة القرابة .

ولاشك أن الهدف من وراء ذلك هو منع أفراد الطرف الموتور من تسديد حرابهم بشدة نحو المحرضين .

وبعد أن يقوم أفراد الجانب المعتدى عليه بنزع رؤوس الحراب التى يحملونها ، يتقدم كل واحد منهم ليسدد حربته نحو المحرضين الذين يجرون فى الساحة . كما يقوم أفراد الجانب المعتدى عليه كذلك بتوجيه اللعنات إلى الجانب المعتدى . ولا يجوز فى هذه الحالة القيام بالرد على الشتائم ، حيث أن ذلك يعتبر إساءة جديدة موجهة إلى الجانب المعتدى عليه .

وأخيراً ، وبعد أن تهدأ نفوس أفراد الجانب المعتدى عليه بعض الشىء ، يتقدم أحد المسنين منهم ويأمرهم بإيقاف رشق الحراب.

وبعد ذلك يدخل القتلة الساحة ويقومون بالجرى فيها أمام أعدائهم . وعندئذ يقوم أفراد الجانب الموتور بقذف حرابهم نحوهم . ويلاحظ أنهم لاينزعون رؤوس حرابهم كما هو الحال بالنسبة للمحرضين . ويستمر قذف الحراب فترة من الزمن حتى تهدأ النفوس . وفى أثناء ذلك يقوم المسنون من الجانب المعتدى عليه بنصح أتباعهم بالحذر حتى لاتصيب حرابهم أحداً من أعدائهم . كما ينصح المسنون ، من الجانب المعتدى، أتباعهم بعدم الرد على الشتائم وكذلك بعدم قذف حرابهم نحو أعدائهم .

وحينما يشعر المسنون من الجانب المعتدى عليه أنهم قد أطفأوا نار غضبهم كجماعة ، فإنهم يأمرون أتباعهم بالكف عن رمى الحراب وتوجيه الشتائم . ويتلو ذلك رقص يقوم به الجانب المعتدى ، ثم ينتهى قتال الماكاراتا بعد ذلك بقليل .

هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن هذا النوع من القتال الشعائرى لا يحقق الغرض المرجو منه فى كثير من الأحيان . فقد يفلت الزمام من أيدى المسنين من المعتدين ، فيقوم أتباعهم بالرد على شتائم الجانب المعتدى عليه ؛ وعندئذ تتحول المعركة الشعائرية إلى معركة حقيقية .

الفصل الثاني عشر

سوهي مورا

جون ف. إمبري

اولا ـ حياته ومؤلفاته

ولد جون فى إمبرى John Fee Embree فى نيوهافن New Haven بالولايات المتحدة. وقد قضى مرحلة الطفولة فى نيوهافن وهونولولو ونيويورك. وأثناء دراسته فى مدرسة لنكولن Linkoln بمدينة نيويورك، وهو فى الثامنة عشر من عمره، سافر مع والديه فى رحلة إلى الصين واليابان. ومن هناك واصل رحلته وحده وطاف حول العالم. ولا شك أن مشاهدته للشعوب المختلفة فى جنوب شرق آسيا، أثناء تلك الرحلة، كانت عاملا هاماً بالنسبة لتقرير اتجاهه لدراسة الأنثروبولوجيا فى السنوات التالية (١).

---

(١) Alexander Spoehr, "John Fee Embree 1908—1950". *Human Organization*, vol., p. 33, spring, 1951.

وبعد حصوله على درجته الجامعية الأولى من جامعة هاواى سنة ١٩٣١ قام برحلة ثانية إلى اليابان. ومما لاشك فيه أن تلك الرحلة أيضا كان لها أثرها فى بلورة أفكاره واتجاهه للتخصص فى الأنثروبولوجيا. كما أن زواجه سنة ١٩٣٢ من Ella Lury، التى عاشت فترة من حياتها فى بلاد اليابان، يعتبر أيضا من العوامل التى أثرت فى اتجاهه لدراسة الأنثروبولوجيا وفى اختياره اليابان لتكون ميداناً لأبحاثه الحقلية.

وفى سنة ١٩٣٤ حصل إمبرى على درجة الماجستير فى الأنثروبولوجيا من جامعة تورونتو Toronto. ثم اتجه بعد ذلك إلى جامعة شيكاغو للدراسة فى قسم الأنثروبولوجيا بها. وهناك قابل عالم الأنثروبولوجيا البريطانى الأستاذ راد كليف براون وتأثر به إلى حد بعيد (٢)، وكما يعترف هو نفسه بذلك (٣). وفى سنة ١٩٣٥ سافر إمبرى وزوجته إلى اليابان للقيام بإجراء

---

(٢) John F. Embree, *Suye Mura : A Japanese Village* (The University of Chicago Press Chicago, Fifth Impression. 1950). p. p. XIX—XX.

(٣) فى سنة ١٩٤٦ اعتزل الاستاذ راد كليف براون كرسى الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة اكسفورد. وتقديراً له، واعترافا بفضله، قامت مجموعة من العلماء بإخراج كتاب يضم مجموعة من بحوثهم. وكان جون امبرى من بين الذين أسهموا بجهودهم لإخراج ذلك الكتاب، فقدم بحثا بعنوان:

"American Military Government".

والعلماء الذين اشتركوا فى إعداد ذلك الكتاب هم: و. ل وورنر، مارجريت ميد، جريجورى باتسون، ماير فورتس، إ. إ. إيفانز بريتشارد، شابيرا، فريد إيجان، ماكس جلكمان، ريموند فيرث، هـ. ا. هوجبن، جون إمبرى. انظر.

Meyer Forter (Ed.), *Social Structure, Studies Presented to A. R. Radcliffe — Brown*, (Oxford. At The Clarendon Press. 1949).

دراسة أنثروبولوجية اجتماعية عن سوهى مورا . وقد قدمت جامعة شيكاغو التمويل اللازم لإجراء ذلك البحث (٤) .

وبعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٣٧ ، نجد أن نشاطه قد امتد إلى عدة ميادين . فلقد قام بالتدريس فى جامعة هاواى وجامعة شيكاغو وجامعة يال . وبعد احتلال الولايات المتحدة لليابان خلال الحرب العالمية الثانية ، نجد أن إمبرى يترك التدريس فى الجامعات ، ويتجه لمعاونة القوات الأمريكية الموجودة هناك ويمدها بما لديه من معلومات عن الشعب اليابانى . كما اشتغل إمبرى أيضاً ملحقاً ثقافيا فى بانكوك وسايجون (١٩٤٧ — ١٩٤٨) . وفى سنة ١٩٥٠ عين مستشاراً (٥) لهيئة اليونسكو . وفى سنة ١٩٥٠ أيضا توفى إمبرى وهو يبلغ من العمر ٤٢ عاما (٦) .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن إمبرى قد كتب كثيراً عن اليابان وهاواى . ومن دراساته عن اليابان نذكر (٧) :

The Japanese. Smithsonian Institution, War Background Studies, No 7, Washington, 1943.

---

(٤) نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٣٩ .

(٥) Fred Eggan, "John Fee Embree, 1908—1950," *American Anthropologist* vol. , p. p. 377—378, 1951.

(٦) فى يوم الجمعة الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، كان إمبرى وابنته كلير Clare يعبران أحد الشوارع فصدمتهما سيارة ، وتوفى الاثنان على الفور .

(٧) للحصول على قائمة بالكتب والمقالات والأحاديث الإذاعية الخاصة بجهود إمبرى ، يمكن القارىء الرجوع إلى :

Anna Pikelis, "John Fee Embree, Bibliography", *American Anthropologist*, vol. p.p. 379—382, 1951.

The Japanese Nation, A Social Survey. Rhinehart, New York, 1945.

Japanese Peasant Songs. Philadelphia, American Folklore Society, 1944.

Suye Mura; A Japanese Village. (Chicago, University of Chicago Press, Fifth Impression, (1950).

وفى الصفحات التالية ، سوف نتناول بالدراسة بشىء من التفصيل بحثه الحقلى عن سوهى مورا باليابان .

ثانيا - لمحة عن سوهى مورا .

تقع « قرية سوهى Suye Mura » (٨) فى الجزء الشرقى من إقليم كوما Kuma County فى جزيرة « كيوشو Kyushu » باليابان (٩) .

وتبلغ مساحة القرية ٦½ ميل مربع ، وهى تتكون من ١٧ « قرية صغيرة buraku » . وبعض هـذه القرى الصغيرة يقع فى سهل الارز ، فى حين أن البعض الآخر منها يقع فوق الجبل . وكل قرية صغيرة لها اسم خاص بها (١٠) .

وقد بلغ عـدد السكان فى قرية سوهى ١٦٦٤ نسمة ؛ ويلاحظ أن نسبة الإناث (٥٢ر٦ ٪) تزيد على نسبة الذكور (٤٧ر٤ ٪) هناك (١١) .

---

(٨) « مورا mura » كلمة يابانية يمكن ترجمتها إلى الانجليزية بكلمة village وإلى اللغة العربية بكلمة « قرية » ؛ وتنقسم القرية mura فى اليابان إلى عدد من الوحدات الاجتماعية الأساسية primary social units ، يطلق على كل منها باللغة اليابانية كلمة « بوراكو buraku » ، أى hamlet باللغة الانجليزية ، و « قرية صغيرة » باللغة العربية .

وتوجد فى كل قرية mura عدة منظمات organizations تعمل على تقوية التماسك بين « القرى الصغيرة » . ومن هذه المنظمات نذكر : مكتب القرية ، مدرسة القرية ، المعبد البوذى ، مزار الشنتو ، والجمعية الزراعية . وكل قرية mura لها رئيس منتخب لمدة أربع سنوات ، كما أن كل « قرية صغيرة buraku » لها رئيس منتخب لمدة سنتين تقريباً .

(٩) Suye Mura, p. 14

(١٠) Ibid, p. 24

(١١) Ibid, p. 68

والمنازل تبنى من الخشب ، وقد بلغت جملتها ٢٨٥ منزلا . ويتكون المنزل العادى من طابق واحد فقط يوجد به حوالى ثلاث حجرات (١٢) .

ويلاحظ أن المطبخ يوجد داخل المسكن ، أما المرحاض والحمام ومخزن الارز والاسطبل والفرن ، فإنها جميعاً توجد خارج المسكن . والأثاث الموجود بالمنزل قليل جداً ، كما أن أفراد الاسرة يأكلون وينامون على أرض الحجرات المفروشة بالحصير المصنوع من القش (١٣) . ويوجد فى كل مسكن نتيجة Calendar لمعرفة الأيام وساعة كبيرة لمعرفة الوقت .

وتتكون الأسرة من الزوج (رب الأسرة) والزوجـة ، والابن الأكبر وزوجته ، وأبناء رب الأسرة غير المتزوجين ، وأبناء الابن الأكبر غير المتزوجين . وعلاوة على ما تقدم ، فقد يعيش فى المنزل أيضاً والد رب الاسرة ووالدته . وفى بعض الأحيان قد توجد أخت (هجرت زوجها) لرب الأسرة أو إخوة صغار غير متزوجين. وفى بيوت الأغنياء من أهالى القرية تشتمل الأسرة أيضا على خادم وخادمة (١٤) . والأسرة هى الوحدة الاجتماعية الاساسية فى حياة القرية الصغيرة buraku life . فالاشتراك فى المناسبات التى تحتاج إلى التعاون بين الاهالى (مثل بناء الكبارى وإصلاح الطرق والجنازات) إنما يتم تنظيمه على أساس عدد الأسر بالقرية ، وليس على أساس كل رأس بها .

والارز هو المحصول الرئيسى فى القرية، كما أنه هو الغذاء الاساسى كذلك(١٥).

---

(١٢) Ibid, p. 90

(١٣) Ibid p. 92.

(١٤) Ibid, p. p. 79—80

(١٥) Ibid, p. p. 37—38

ويزرع الأهالي أيضاً القمح والشعير والفجل والبطاطا والفول والقنب . كما توجد هناك أيضاً أشجار الخوخ والكمثرى والشاي والخيزران .

وتعتبر تربية دود القز من أهم عناصر الاقتصاد الزراعي هناك (١٦) .

كذلك يربي الأهالي الأحصنة والبقر والماعز والخنازير والدجاج والأرانب .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الأهالي يرون أن اللبن شيء قذر ، ومن ثم فإنهم لا يقدمون على شربه إلا بناء على نصيحة من الطبيب المعالج (١٧) !!

والغالبية العظمى من أهالي القرية تشتغل بالزراعة (١٨) ، ولكن يوجد إلى جانب ذلك أصحاب مهن أخرى كالمدرس ورجل الدين والنجار والحجار والحلاق (١٩) وصانع الكعك والداية . . . الخ .

وبالنسبة للأديان في القرية، فهناك « البوذية Buddism » و« الشنتو Shinto » ، ومن ثم فإن القرية يوجد بها « معبد بوذي Buddist temple » و« مزار الشنتو Shinto shrine » (٢٠) .

ويوجد بالقرية مدرسة حكومية تقبل التلاميذ من جميع القرى الصغيرة . والمواد التي تدرس هناك هي اللغة اليابانية والتاريخ والأخلاق والزراعة ومبادئ العلوم . ولا شك أن المدرسة تعتبر عنصراً هاماً من عناصر توحيد القرية .

---

(١٦) Ibid, p. 39

(١٧) Ibid, p. 44

(١٨) Ibid; p. 50

(١٩) يلاحظ أن حلاق القرية يشتغل بالزراعة علاوة على عمله بالحلاقة في دكانه ، كما أن رجل الدين البوذي يشتغل بالزراعة علاوة على عمله كرجل دين .

(٢٠) Ibid, p. 221

فالتلاميذ يفدون إليها من مختلف القرى الصغيرة ، ويقضون بها فترة ٦ سنوات تنشأ خلالها بينهم صلات اجتماعية (٢١) .

ويعتبر التعاون من السمات الرئيسية للحياة الاجتماعية في القرية . فالأهالي يتعاونون فيما بينهم في مواقف عديدة مثل بناء الكباري وتمهيد الطرق والحفلات وبناء المنازل والفيضان والوفاة والحريق .

ويوجد بالقرية عدد من الهيئات نذكر منها « جمعية الشبان» و« الجمعية الوطنية للسيدات » و« جمعية رجال إطفاء الحريق » و« نادي الرماية » و« الجمعية الزراعية ».

وللقرية رئيس يدير شئونها بمعاونة عدد من الموظفين . ومقر رئيس القرية هو « مكتب القرية » . ويختص هذا المكتب بجمع الضرائب من الأهالي وتسجيل الإحصاءات المختلفة عن السكان مثل المواليد والوفيات والزواج والتبني والجريمة (٢٢) . . . الخ .

ويوجد بالقرب من قرية سوهي مدينتان هما مدينة « مندا Menda » و « مدينة تاراجي Taragi » . والأهالي يذهبون إلى هاتين المدينتين لبيع الخضروات والخشب اللازم للوقود . كما أنهم يتوجهون إلى هناك أيضاً لشراء الأدوات اللازمة للزراعة والأقمشة والأحذية والهدايا (٢٣) .

---

(٢١) Ibid, p.p. 65—66

(٢٢) Ibid, p.p. 60—62

(٢٣) Ibid, p. 21

ثالثا ـ الغرض من الدراسة

يذكر لنا جون إمبرى أن هذا الكتاب هو عبارة عن محاولة لتقديم دراسة اجتماعية متكاملة عن إحدى القرى فى الريف اليابانى (٢٤) . كما يذكر لنا أيضا أن هذه القرية (٢٥) لا تعتبر ممثلة تمثيلا كاملا للريف اليابانى ؛ وإنما يمكن القول بأنها تمثله من عدة وجوه :

١ ـ إن أكثر القرى فى اليابان تعتمد ـ من الناحية الاقتصادية ـ على محصول واحد مثل الارز والسمك ودود الحرير . وبالنسبة للقرى التى تقع على الجبال فإنها تعتمد على الخشب الخام المقطوع من الغابات وغير ذلك من المنتجات الجبلية .

ومن هذه الناحية فإن سوهى ـ التى تعتمد على زراعة الارز كمحصول رئيسى وعلى تربية دود الحرير كمصدر ثانوى للدخل ـ تعتبر ممثلة لكثير من القرى فى الريف اليابانى (٢٦) .

٢ ـ يتسم الريف اليابانى بوجود مدن صغيرة تتناثر فى أرجائه ، وتحيط بكل منها مجموعة من القرى . ونظرا لموقع المدن على خطوط السكك الحديدية، ولوجود دكاكين كثيرة بها ، فإنها تمد سكان القرى المحيطة بها بما يحتاجون إليه من البضائع المصنوعة . وعلاوة على ماتقدم ، فإنها تهيء لهم أيضا فرص اللهو وبصفة خاصة فى بيوت الجيشا التى تعد من أهم أماكن التسلية هناك . أما القرية ،

---

(٢٤) Ibid, p. xv.

(٢٥) قرية سوهى .

(٢٦) Ibid, p. xv.



صورة رقم /٥١

امرأة تعد طعاما



صورة رقم /٥٢

ربة المنزل تجلس أمام ضيوفها أثناء إحدى الولائم

فإنها تقدم للمدينة الطعام وكذلك العملاء الذين يشترون البضائع من الدكاكين الموجودة بها . وفضلا عن ذلك فإن فتيات الجيشا يأتين من الريف أيضا .

ومن هذه الناحية كذلك ، تعتبر قرية سوهى ممثلة لأغلب القرى فى الريف اليابانى . فهى قرية ضمن مجموعة من القرى تقع حول مدينتين صغيرتين هما مدينة « مندا Menda » ومدينة « تاراجى Taragi » (٢٧) .

٣ — إن النظم الرئيسية فى المجتمع الريفى اليابانى — مثل نظم التعاون بين الأهالى ، وتبادل العمل ، ووجود تقويم دينى يربط ارتباطا وثيقا بمواسم الزراعة هناك — تكاد تكون واحدة فى مختلف أرجاء اليابان ، وإن كانت هناك اختلافات محلية من ناحية اللغة والعادات .

ومن هذه الناحية أيضا ، تعتبر قرية سوهى ممثلة لكثير من القرى فى الريف اليابانى . فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن القرية توجد بها نماذج مختلفة للتعاون وتبادل العمل ، كما أن الأهالى لديهم تقويم دينى يرتبط ارتباطا وثيقا بمواسم الزراعة هناك .

Ibip. xv. (٢٧)

رابعا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ – كيفية اختيار القرية : بمدوصول إمبرى إلى اليابان (٢٨) قام بزيارة بعض المسئولين فى وزارة الخارجية لشرح أهداف البحث والحصول على تصريح القيام بإجرائه فى الريف اليابانى . كما قام كذلك بزيارة بعض أساتذة الجامعة لاستشارتهم والحصول على بعض المعلومات منهم . بعد ذلك تمت زيارة ٢١ قرية لاختيار قرية واحدة من بينها تصلح لإجراء الدراسة الميدانية بها . وأخيرا وقع الاختيار على قرية « سوهى » (٢٩) للأسباب الآتية :

---

(٢٨) Ibid. p.p. xvii–xviii

(٢٩) يلاحظ أن جون إمبرى قد ذكر لنا صراحة اسم المجتمع الذى قام بدراسته ، وهذا ما فعله الكثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل سليجمان (قبائل جنوب السودان) ومالينوسكى (جزر التروبرياند) وراد كليف براون (جزر الأندمان) ووبوادفيرث (تيكوبيا) ومارتن بانج (تاينو) ودوبى (شاميريت) . وجدير بالذكر أن بعض العلماء لم يذكروا لنا صراحة الأسماء الحقيقية للمجتمعات التى قاموا بدراستها ، واكتفوا بذكر اسماء مستعارة أطلقوها عليها . ومن الأمثلة على ذلك نذكر « روبرت لندوهيلين لند » فى « ميدلتاون » و « وورنر » وزملاؤه فى « يانكى سيتى » وفى « جونزفيل » ، و « هارى هـ. تيرنى هاى » فى « شاتو جيرار » ، و « أوجيست ب. هولنزهد » فى « إلمتاون » أنظر :

Robert Lynd and Helen M. Lynd, *Middletown* (1929); W. L Warner and Associates, *The Yankee City Series*: W.L. Warner And Associates, *Democracy in Jonesville* (1949): H. Turney—High, *Chateau-Gerard*, (1953); August B. Hollinshead, *Elmtown's Youth*, (1947).

١ – تعتبر القرية صغيرة نسبيا ؛ بمعنى أنه يصبح من الناحية العملية فى إمكان شخصين اثنين فقط القيام بإجراء الدراسة الحقلية هناك .

٢ – لا تختلف معالم قرية سوهى عن معالم غالبية القرى فى اليابان ؛ فهى :

أ – تعتمد على زراعة الأرز .

ب – ليست غنية بدرجة كبيرة ؛ ولا فقيرة بدرجة ملفتة .

حـ – ليست قرية نموذجية .

ء – ليست قريبة جدا من أية مدينة كبيرة .

٣ – تقع قرية سوهى بعيدا عن أية منطقة عسكرية ، ولذلك فإن الدراسة الحقلية لم تكن موضع شك من جانب السلطات العسكرية .

٢ – التمويل : قامت لجنة البحوث الاجتماعية بجامعة شيكاغو بتقديم منحة مالية لهذا الغرض .

٣ – مدة الدراسة الحقلية : أجريت الدراسة الحقلية خلال عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، واستغرقت سنه ونصف . هذا ويذكر لنا إمبرى أنه وزوجته (٣٠)

---

(٣٠) من دراستنا لتاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية يتبين لنا أن الكثير من العلماء قد اتجهوا وحدهم إلى مجتمع البحث ، وقاموا بدراسته من جوانب مختلفة دون الالتجاء إلى نظام بحث الفريق . ومن الأمثلة على ذلك نذكر رادكليف براون (الأندمان) ، مالينوسكى (التروبرياند) ، وورنر (للورنجن) ، روبرت ردفيلد (تيبوزتلان) .

كما يتبين لنا أيضا أن بعض العلماء قد اتجهوا إلى نظام بحث الفريق عند قيامهم بأبحاثهم الحقلية فى المجتمعات الريفية والحضرية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر :

أ – الدراسة الحقلية فى قرية شاميربت بولاية حيدر أباد بالهند : كان دوبى مديرا =

قد قاما بزيارة اليابان عدة مرات قبل القيام بإجراء البحث الميدانى فى قرية سوهى (٣١) .

٤ — **وسائل جمع البيانات** : تدلنا الدراسة على أن إمبرى وزوجته (٣٢) قد اعتمدا على أكثر من وسيلة لجمع المادة اللازمة للبحث ؛ ومن الأمثلة على ذلك نذكر :

ا — الرجوع إلى ماكتب عن المنطقة .

ب — الإقامة بالقرية والاعتماد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة . وحيث أن إمبرى لم يكن يجيد التخاطب باللغة اليابانية ، فقد اعتمد على أحد خريجى

= البحث ، واشترك معه فى تلك الدراسة فريق من الباحثين يمثل ستة كليات بجامعة ميسورى . وهذه الكليات هى : الآداب ، الطب ، الهندسة ، الزراعة ، الطب البيطرى والتربية . أنظر :
S. C. Dube, *Indian Village*. (1965), p. p. 13—14.

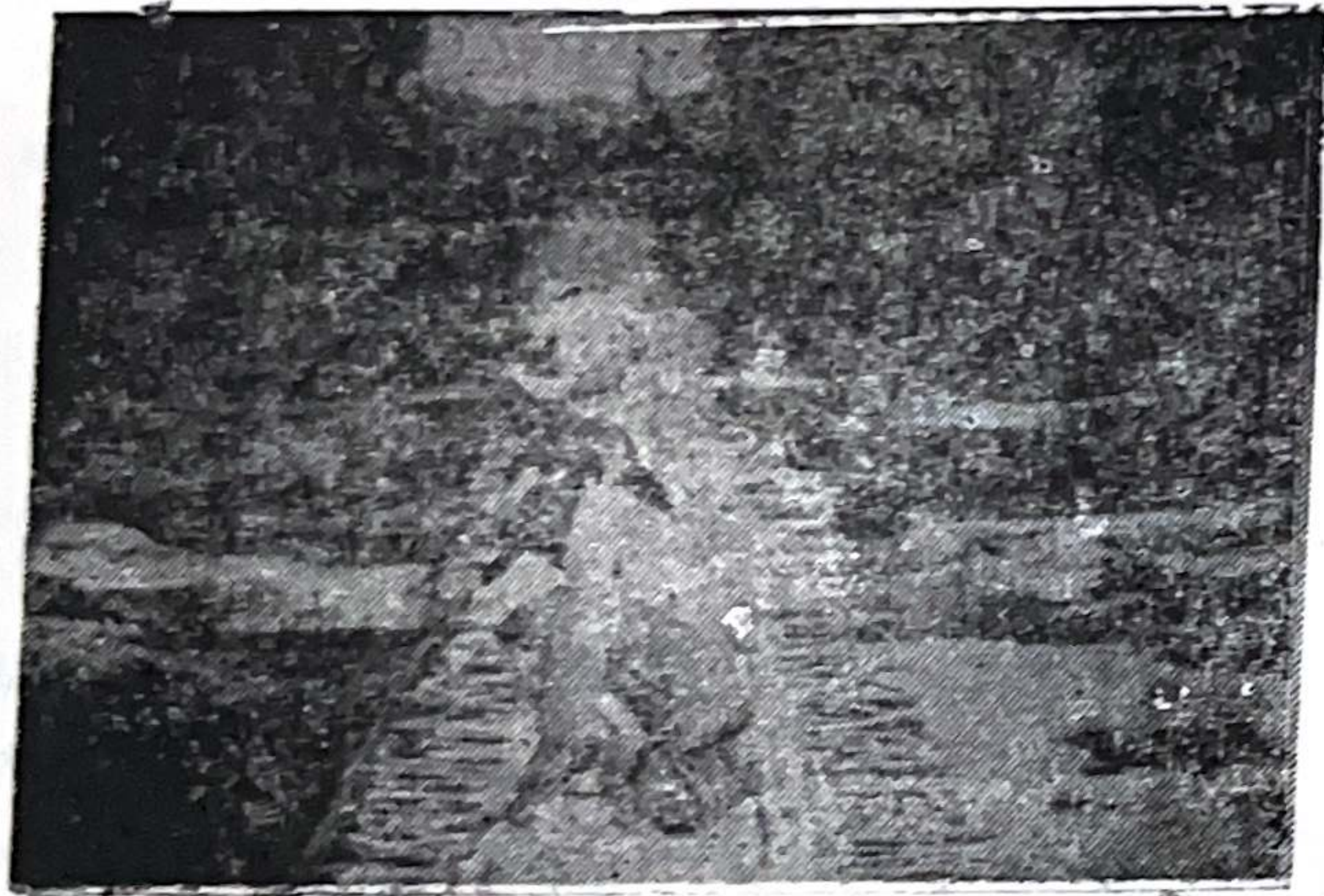
ب — الدراسة الحقلية فى « جونزفيل » بالولايات المتحدة : كان وورنر مدير البحث ، واشترك معه فى تلك الدراسة فريق يضم علماء من تخصصات مختلفة مثل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس ، وعلم النفس التربوى : أنظر :
W. L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville* (Harper & Brothers, 1949), p. p. 301—302.

(٣١) Ibip, p. xvii

(٣٢) من العلماء الذين أشركوا زوجاتهم معهم فى أبحاثهم أيضا نذكر روبرت لند وريموند فيرث . ويرى فيرث أن وجود زوجته معه ، أثناء فترة الدراسة الحقلية للصيادين فى بلاد الملايو ، قد مكنه من دراسة المرأة المسلمة هناك . أنظر :
R. S. Lynd and Helen M. Lynd, *Middletown* (1929) ; Raymond Firth, *Malay Fishermen : Their Peasant Economy* (1946), p. p. 313—314.



صورة رقم /٥٣
زوجة أحد الفلاحين وهى ترتدى ملابس الشغل ، الخاصة بالجو الحار



صورة رقم/٥٤
مجموعة من أهالى القرية وهم يتعاونون لبناء كوبرى

مدرسة طوكيو للغات ليقوم بالترجمة له. ويذكر إمبرى أن المترجم كان يلازمه ليلا ونهارا طوال فترة البحث الميدانى (٣٣). أما زوجة إمبرى، فإنها كانت تتحدث اليابانية بطلاقة (٣٤). هذا ويشير إمبرى إلى أن صلته هو وزوجته بأهالى القرية كانت ودية للغاية؛ وقد نشأت صداقات قوية بينهما وبين الكثير من الأسر هناك (٣٥).

ح – **وسائل الايضاح**: يشتمل الكتاب على مجموعة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط. ولا شك أن ذلك كان له أثره بالنسبة لتوضيح الدراسة وتدعيمها.

ο ο ο

ومما يلفت النظر حقا أن إمبرى قد عرض لنا وسائل جمع البيانات التى تم الاعتماد عليها أثناء فترة البحث بشىء من الإيجاز؛ بل إنه قد تركنا فى ظلام تام بالنسبة لبعض النقاط. ونحن إذ قارناه، فى هذه الناحية، بغيره من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية من أمثال ب. مالينوسكى (٣٦) وريموندفيرث (٣٧)

---

(٣٣) **Ibid, p. xix**

(٣٤) **Ibid, p. xvii**

(٣٥) **Ibid, p. xix**

(٣٦) **B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific* (New York. E. P. Dutton & Co., Inc., 1961), p.p. 1—25**

(٣٧) **R. Firth, *We, The Tikopia* (London, George Allen & Unwin LTD, Museum Street, 1937) p.p. 1—12.**

و . ل . وورنر (٣٨) فسوف نجد اختلافا كبيرا . فمثلا نحن لانجد عرضا للصعوبات التى واجهت البحث ، وكيفية التغلب عليها . كما نلاحظ أيضا أن إمبرى عند دراسته للطبقات الاجتماعية بالقرية (٣٩) لم يوضح لنا حجم كل طبقة ، وبالتالى فنحن لانعرف ما إذا كان توزيع السكان هناك يتمشى والشكل الهرمى أم لا . كذلك نحن لانجد أية إشارة إلى المقاييس التى تم الاعتماد عليها لتقسيم المجتمع إلى ستة طبقات اجتماعية ، كما فعل « وورنر » و « هولنزهد » عند دراستها الطبقات الاجتماعية فى المدينة الأمريكية (٤٠) .

---

(٣٨) W.L, Warner & Paul S, Lunt, *The Social Life of A Modern Community* (New Haven, Yale University Press, 1955), p. p. 38—75.

(٣٩) *Suye Mura*, p. p. 158—163.

(٤٠) أنظر : W. L. Warner and Associates, *Social Class In America* (1957) ; A. B. Hollingshead, *Elmtown's Youth* (1947).

خامسا ـ نشر نتائج الدراسة

أشرنا من قبل إلى أن البحث الميدانى فى قرية سوهى قد أجرى خلال عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ؛ وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٣٩ (٤١).

ويتكون الكتاب من تقديم Introduction كتبه أ . ر . راد كليف براون، ومقدمة Preface كتبها جون إمبرى ، وثمانية فصول . وفضلا عن ذلك فهناك عدة ملاحق وقائمة بالكتب والمقالات ثم دليل index فى نهاية الكتاب .

وتحتوى المقدمة التى كتبها جون إمبرى على وصف للظروف التى أحاطت بإجراء البحث مثل الغرض من البحث ، الأسباب التى أدت إلى اختيار قرية سوهى ومدى تمثيلها للريف اليابانى ، مدة البحث الحقلى ، التمويل ، وسيلة التخاطب مع الأهالى .

وفى الفصل الاول نجد عرضا موجزا لبعض جوانب تاريخ اليابان فى العصر الحديث مثل نظام الحكم ، الطبقات الاجتماعية ، المهن ، الأديان ، حالة الفلاحين ، أثر الحضارة الغربية على اليابان .

ويشتمل الفصل الثانى على دراسة التنظيم فى القرية ، أما الفصل الثالث فهو يشتمل على دراسة للأسرة والتبنى والمسكن والمناسبات الخاصة بالأغانى

---

(٤١) اعتمدنا فى عرض الكتاب على الطبعة الخامسة التى ظهرت سنة ١٩٥٠ ، وهى تقع فى ٣٥٤ صفحة . أنظر :
John F. Embree, *Suye Mura : A Japanese Village* (The University of Chicago Press. Chicago, Illinois. Fifth Impression, 1950).



صورة رقم /٥٥

صانع الكعك

والحفلات . ويتناول الفصل الرابع بالدراسة الصور المختلفة للتعاون القائم بين أهالى القرية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر التعاون لتمهيد الطرق والتعاون لبناء الكبارى والتعاون لمواجهة الكوارث . ويحتوى الفصل الخامس على دراسة الطبقات الاجتماعية بالقرية وكذلك الهيئات الاجتماعية بها . ويشتمل الفصل السادس على دراسة لتاريخ حياة الفرد فى المجتمع . ويتناول الفصل السابع بالدراسة الدين فى القرية ؛ أما الفصل الثامن فقد خُصِّص لدراسة التغير الاجتماعى بها .

سادساً - عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

التبنى

إذا تزوج أحد الرجال بالقرية ، ولم تنجب له زوجته ذرية ، فإنهما يتجهان إلى تبنى أحد الأولاد الصغار . ومما هو جدير بالذكر أن قرية سوهى يوجد بها عدد كبير من الأسر التى لم تنجب أطفالا ، ونتيجة لذلك فإن عادة التبنى تنتشر بين الأسر هناك .

والواقع أن هناك عوامل مختلفة كان لها أثرها فى انتشار عادة التبنى بالقرية نذكر منها :

١ ــ الرغبة الشديدة ، من جانب الأسرة ، لتخليد اسم الأسرة Family name ، والمحافظة على الألواح الخشبية الخاصة بالأسلاف (٤٢) ancestral tablets .

٢ ــ الحاجة إلى وجود ابن يعيش مع الأسرة فى المنزل، ويقدم لها المساعدة فى مرحلة الشيخوخة .

٣ ــ إصابة ابن الأسرة بمرض لا يرجى شفاؤه ؛ ومن ثم فإن الأب يتبنى غلاما حتى يكون فى أمان إذا ما توفى الابن المريض .

---

(٤٢) بعد وفاة أحد الرجال بالمنزل ، فإن الكاهن البوذى يطلق عليه اسما جديدا a posthumous name . ثم تقوم أسرة المتوفى بكتابة هذا الاسم على لوحة خشبية تحفظ بالمنزل مع بقية الألواح الخشبية الأخرى الخاصة بالأسلاف . ويجب على الابن أن يحافظ على هذه الألواح الخشبية .

٤ ــ اقتصار الزوجة على إنجاب البنات فقط. هــذا ويلاحظ أن الزوج يتجه فى الأغلب إلى تبنى ابن أخيه أو ابن أخته. وإذا كان للزوج أخ أصغر منه سنا، فإنه يتبناه. وفى هذه الحالة يعيش الأخ الأصغر سنا مع أخيه الأكبر سنا على أنه ابن له.

وبصفة عامة يلاحظ أن الأسرة ترغب فى توافر شروط معينة فى الصبى المراد تبنيه. ومن هذه الشروط نذكر ارتباط الصبى بالأسرة بصلة القرابة، الصحة الجيدة، الجد فى العمل، احترام كبار السن، صغر السن (٤٣).

ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا الشأن أن الأسرة لا تسمح لأسرة أخرى بأن تأخذ ابنها الأكبر سنا لتتبناه إلا فى حالات قليلة مثل الفقر أو وجود صداقة متينة تربط بين الأسرتين. والشائع فى مجتمع القرية أن الأسرة لا تمانع فى السماح بتبنى الأولاد الذين يلون الابن الأكبر سنا.

وإذا ما تم الاتفاق على التبنى، فإن الوالد الحقيقى للصبى the real father والوالد المُتَبنِّى the adoptive father يتبادلان أقداح الخمر Shochu (٤٤).

أما من الناحية القانونية، فإنه يلزم أن يقوموا بنقل اسم الصبى من السجل الخاص بوالده الحقيقى إلى السجل الخاص بالأب المتبنى (٤٥).

والوالد المتبنى يحمل اسم الرجل الذى تبناه the adopter ويعيش معه فى مسكن واحد؛ كما أنه يعتنق مذهبه البوذى أيضا. وعلاوة على ما تقدم، فإنه ــ عادة ــ يرثه بعد مماته.

(٤٣) يفضل الأهالى تبنى الولد الذى يتراوح عمره بين ١٠ و ١٢ سنة على الولد الذى يبلغ من العمر ١٥ أو ٢٠ سنة.

(٤٤) نوع من الخمر يصنع من الأرز.

(٤٥) لكل أسرة سجل خاص بها فى مكتب القرية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الولد ــ بعد انتقاله إلى مسكن الأسرة الجديدة ــ لا يقطع صلته بأسرته. فهو يحضر أفراحهم ومآتمهم. كما أنه يهرع لنجدتهم فى حالة نشوب حريق بالمنزل، وكذلك فى أوقات الفيضانات.

والعلاقة بين الأب المتبنى والولد المتبنى ليست علاقة أبدية؛ بل إنه يمكن فضها فى أى وقت من الأوقات. ومن ثم فإن التبنى لا يسجل عقب إتمامه مباشرة، فى سجلات الأسر بالقرية. إنهم ينتظرون فترة من الزمن (سنة أو أكثر) حتى يتأكدوا من نجاح العملية، وحتى لا يكلفوا أنفسهم مشقة تسجيل فسخ التبنى فى سجل الأسرة بمكتب القرية.

(٢)

الزواج

أوضحت الدراسة أن أهالى قرية سوهى ينفرون من العزوبة، ويميلون إلى الزواج وتكوين أسر خاصة بهم. والواقع أنه لا يوجد هناك من البالغين من يعيش بلا زواج إلا قلة ضئيلة جدا (٤٦).

وفى حالة وفاة الزوج، فإن أرملته فى أغلب الأحيان تتزوج أخاه الأصغر سنا. كذلك إذا توفيت الزوجة، فإن زوجها الأرمل كثيرا ما يتجه إلى الزواج من شقيقتها التى تصغرها سنا. وإذا أنجبت المرأة «ابن زنى bastard» نتيجة لعلاقة غير شرعية بينها وبين أحد الرجال، فإنها لا تتزوج إلا رجلا أرملا بعد ذلك.

(٤٦) Ibid. p. 89

وينتشر زواج بنت العم بين الأسر فى القرية ، وإن كانت الفئة المتعلمة هناك تبدى تخاوفها منه ، وتعترض عليه بحجة أنه ضار من الناحية البيولوجية (٤٧) .

ومن الأمور المألوفة فى القرية أن يتزوج الفتى بعد مرور فترة عام أو عامين على انتهاء فترة الخدمة العسكرية الإلزامية. ومن ثم فإن السن عند الزواج بالنسبة للفتى يكون عادة ٢٣ أو ٢٤ سنة . أما الفتاة فإنها عادة تتزوج عندما تبلغ من العمر ١٧ أو ١٨ سنة (٤٨) .

وعندما ترى الأسرة أنه قد آن الأوان لفتاها أن يتزوج ، فإنها ترجو أحد الأصدقاء أن يبحث لها عن فتاة تصلح زوجة لولدهم. ويطلق الأهالى على الشخص الذى يقوم بهذه المهمة السرية اسم « المكتشف السرى » .

وبعد أن يتم العثور على الفتاة المنشودة ، توضع خطة لتدبير لقاء بين الفتى والفتاة حتى يرى كل منها الآخر . ويلاحظ أن الأهالى لديهم حجج كثيرة يبدونها فى مثل هذه المناسبات . فقد تطلب أسرة الفتى من أسرة الفتاة ، مثلا ، أن تسمح لها بزيارتها لمشاهدة دود الحرير الموجود عندهم بالمنزل . وعندما يتوجه الفتى — بصحبة والده — إلى هناك ، تقوم ابنة رب الأسرة ، التى تقوم بتربية دود الحرير ، بالشرح لهما . وطبعا تكون هذه الفتاة هى الفتاة المنشودة !!

بعد ذلك يؤخذ رأى الفتى ورأى الفتاة فى المشروع . فإن أبدى أحد الطرفين اعتراضا ، فإن الأمر ينتهى عند هذا الحد . أما إذا وافق الطرفان ،

(٤٧) Ibid, p. 88

(٤٨) Ibid, p. 203

فإن الامور تسير بعد ذلك فى طريقها التقليدى . فإذا كانت أسرة الفتاة تعيش فى قرية أخرى، فإنها تجد فى السؤال سرا عن أسرة الفتى لمعرفة أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والصحية . كذلك تقوم أسرة الفتى، فى نفس الوقت، بالسؤال سرا عن أسرة الفتاة(٤٩) .

وبعد الانتهاء من هذه الخطوات التمهيدية السرية، تقوم أسرة الفتى باختيار « وسيط رسمى official go-between » تكون مهمته الإشراف على سير المفاوضات بين أسره الفتى وأسرة الفتاة . وقد جرت العادة على اختيار الوسيط الرسمى من بين الشخصيات البارزة فى مجتمع القرية مثل رئيس القرية أو أحد ملاك الأراضى الأثرياء .

وإذا ماتم الاتفاق بين الأسرتين على الزواج ، فإنها تقومان بتحديد يوم مناسب للزفاف .

وفى اليوم المحدد للزفاف ، تتوجه العروس — بصحبه أسرتها — إلى منزل العريس فى « أتوبيس » خاص يتم استئجاره لهذا الغرض . كما يتم نقل أمتعة العروس على إحدى عربات نقل البضائع (٥٠) . وبعد وصول العروس إلى منزل العريس ، تقام حفلة كبرى يحضرها الكثيرمن أهالى القرية والأقارب ، وتستمر حتى قرب منتصف الليل (٥١) .

وبعد مرور ثلاثه أيام على الزفاف ، يرتدى كل من العريس والعروس أبهى حلة ، ثم يتوجهان إلى منزل الوسيط الرسمى لتقديم هدية قيمة له (٥٢) .

(٤٩) Ibid. p. 204.

(٥٠) Ibid, p. 207

(٥١) Ibid p. 209

(٥٢) Ibid, p. 210

وجدير بالذكر أن الصلة بين الوسيط الرسمى والعروسين تظل وثيقة بعد الزواج ؛ وهو دائما كثير التردد عليهما لمشاركتهما الأفراح والأحزان . ففى كل حفلة « تسمية الطفل المولود » ، تدعو الأسرة الوسيط الرسمى لحضور الحفلة . كما أنه يحرص من جانبه على الحضور إلى منزل الأسرة فى حالة وفاة أحد أفرادها . وإذا حدث خلاف بين الزوج وزوجته ، فإنه يتدخل لتسوية الأمور بينهما . كذلك يتدخل الوسيط لإعادة المياه إلى مجاريها إذا ما هجرت الزوجة منزل الزوجية ، وهى غاضبة ، واتجهت إلى منزل أسرتها للإقامة هناك . وإذا فشلت الجهود لإصلاح الأمور ، وأصبح من الواضح أن هناك استحالة فى التوفيق بين الزوجين المتخاصمين ؛ فإنه يبذل قصارى جهده لإتمام الانفصال بينهما فى هدوء تام .

(٣)

زواج التجربة (٥٤)

وعلاوة على نمط الزواج العادى الذى تحدثنا عنه فى قرية سوهى ، فإنه يوجد هناك أيضا نمط آخر من الزواج يطلق عليه « زواج الثلاثة أيام » (٥٥) .

فالفتاة تتوجه فى يوم معين ، إلى منزل أسرة العريس ومعها بعض الهدايا من الكعك والخمر . ويصحبها عند ذهابها إلى هناك والدها ووالدتها وإحدى

(٥٤) Ibid, p. 211.

(٥٥) هذا النمط من الزواج يمارس بكثرة فى مقاطعة كوما التى توجد بها القرية سوهى .

قريباتها ؛ وفى بعض الأحيان يذهب معها أيضا الوسيط الرسمى وحرمه .

وتقيم الفتاة فى منزل أسرة العريس مدة ثلاثة أيام ، ثم تعود بعد ذلك إلى منزل أسرتها ثانية .

فإذا كانت أسرة الفتى قد أحست بالرضى والارتياح من ناحية الفتاة أثناء إقامتها معهم بالمنزل ، وتأكد لها ، بعد التشاور مع أسرة الفتاة ، إمكان قيام الحياة الزوجية بنجاح ، فإن الزواج يتم بعد ذلك .

أما إذا لم ترض أسرة الفتى عن الفتاة ، فإن الأمور تنتهى عند هذا الحد ، ويستحيل إتمام الزواج بعد ذلك حتى ولو كان الفتى والفتاة يرغبان فى ذلك .

ومما هو جدير بالملاحظة أن أهالى القرية يرون أن فشل زواج التجربة ليس من شأنه أن يسبب الكثير من الشعور بالحرج لأى من الطرفين . ذلك أن الفتاة ، عند ذهابها إلى منزل أسرة عريسها لأول مرة تتوجه فى هدوء تام ودون أن ترتدى ملابس خاصة أو تقوم بتصفيف شعرها كالمعتاد عند الزواج العادى .

(٤)

صور من التعاون

يعتبر التعاون بين الأهالى من الملامح البارزة للحياة الاجتماعية فى « القرية الصغيرة » buraku » . فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن الأهالى يتعاونون فيما بينهم فى مناسبات عديدة نذكر منها : إصلاح الطرق ، بناء المنازل ، الحفلات ،

وكذلك فى حالات الكوارث مثل الحريق والفيضان والوفاة . وفيما يلى عرض موجز لبعض هذه الصور من التعاون :

١ — التعاون لاصلاح الطرق (٥٦) : تحتاج الطرق الموجودة بالقرية إلى اهتمام الأهالى بها والعمل على إصلاحها من حين إلى آخر (٥٧) . فالأعشاب تنمو فى كثير من الأحيان بدرجة كبيرة بحيث تعرقل سير المارة بها وتسبب لهم المتاعب . كما أن مياه الفيضان تغمر الطرق أحيانا وتحيلها ، بعد أن تنحسر المياه عنها ، إلى طرق غير ممهدة .

لذلك فإن رئيس « القرية الصغيرة buraku » يتشاور فى الأمر مع رؤساء الأسر ؛ ثم يتم تحديد يوم يكون مناسبا لجميع الأسر للقيام بإصلاح الطرق . وإذا ماتم الاتفاق على ذلك ، فإن كل أسرة يتعين عليها أن ترسل أحد أفرادها — مندوبا عنها — للاشتراك فى هذه العملية .

وفى صباح اليوم الذى يتم الاتفاق عليه ، يقوم رئيس « القرية الصغيرة » بالقرع على لوح من الخشب معد لهذا الغرض (٥٨) . وعندما يسمع الأهالى

---

(٥٦) Ibid, p.p. 121—122

(٥٧) جرت العادة على أن يقوم الأهالى بإصلاح الطرق مرتين فى كل عام . أما المرة الأولى فهى فى فصل الربيع (شهر إبريل) ، وأما المرة الثانية فإنها فى فصل الخريف (شهر سبتمبر) .

(٥٨) يقوم رئيس « القرية الصغيرة » بالقرع على اللوح الخشبى لأسباب مختلفة ، نذكر منها :

١ — الاستنجاد بالاهالى لإخماد حريق فى أحد المنازل ، أو لمكافحة الفيضان .

٢ — الدعوة لعقد إجتماع للبدء فى عمل جماعى Community labor (تمهيد طريق مثلا) .

القرع على اللوح الخشبى ، فإنهم يتوجهون إلى المكان المتفق عليه حاملين فؤوسهم ومقشاتهم المصنوعة من القش ثم يبدءون فى العمل لإزالة الأعشاب وتسوية الأرض وكنسها . وبعد فترة ، يتوقف الجميع عن العمل ويجلسون بعض الوقت للراحة والتدخين . كما تقدم لهم إحدى الأسر الشاى والخلل أثناء تلك الفترة أيضا (٥٩) .

ثم يستأنف الأهالى العمل مرة ثانية بعد ذلك ، ويستمرون فى عملهم حتى يتم الانتهاء من إصلاح الطرق .

وعندما يأتى المساء ، يجتمع الأهالى فى منزل يتم الاتفاق عليه فيما بينهم ، لإقامة حفلة يتناولون فيها أقداح الخمر ، ابتهاجا بهذا المناسبة . وتدفع كل أسرة مبلغا يتراوح بين ١٠ و ١٥ « سن Sen » لتغطية نفقات هذه الحفلة (٦٠) .

٢ — التعاون لبناء الكبارى (٦١) : فى شهر يونيو من كل عام ، ترتفع المياة فى نهر كوما Kuma River لدرجة الفيضان ، فتكتسح الكبارى الخشبية

= ٣ — دعوة الأهالى لمناقشة شئون « القرية الصغيرة » .

٤ — إعلان الأهالى بأيام العطلات الرسمية والأعياد .

هذا ويلاحظ أن كل مناسبة من هذه المناسبات التى ذكرناها تتميز عن غيرها بسرعة معينة فى الدق على اللوح الخشبى ، وكذلك بعدد معين من الدقات .

ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا الشأن أيضا أن البعض من رؤساء « القرى الصغيرة » قد أخذوا يستخدمون أجراسا معدنية بدلا من الألواح الخشبية .

(٥٩) جرت العادة فى قرية سوهى على تقديم فنجان الشاى مع صحن المخلل الضيف الذى يفد إلى مسكن الأسرة المشاركة فى حفلاتها . كذلك يلاحظ أن الموظفين بمكتب القرية يتناولون الشاى مع المخلل أثناء عملهم فى الفترة الصباحية وكذلك فى فترة المساء .

(٦٠) « السن » نقد ياباني يساوى مليم واحد .

(٦١) ibid p.p. 122—124

المشة التى أقامها الأهالى فوق النهر . ولما كان الأهالى يستخدمون هذه الكبارى لنقل الأرز — فى وقت الحصاد — من السهول التى تقع على الجانب الآخر من النهر فإن رئيس القرية الصغيرة يتشاور (٦٢) مع رؤساء الأسر لتحديد يوم مناسب لإعادة بناء الكوبرى .

وفى تمام الساعة السابعة من صباح اليوم الذى يتم الاتفاق عليه يحضر مندوب عن كل أسرة للاشتراك فى العمل . وإذا كان الكوبرى المراد بناؤه يخدم « قريتين صغيرتين » ، فإن كل قرية صغيرة ترسل مندوبا عن كل أسرة بها للمساهمة فى البناء .

وبعد أن يتم الانتهاء من بناء الكوبرى ، يعود كل فرد إلى مسكنه . وهناك يخلع ملابس العمل ويستحم ثم يرتدى ملابس أخرى نظيفة .

وسرعان ما يتجمع كل الذين اشتركوا فى بناء الكوبرى فى منزل يتم الاتفاق عليه . وهناك يأكلون قليلا من السمك ويشربون الكثير من أقداح الخمر .

ويدفع كل عضو مبلغ يتراوح بين ١٠ و ١٥ « سن » لتغطية نفقات الحفلة (٦٣) .

---

(٦٢) يتم ذلك عادة فى شهر سبتمبر من كل عام ، أى قبل حصاد الارز .

(٦٣) هكذا يتضح لنا أن عملية إعادة بناء الكوبرى مرة فى كل عام ، تهيىء الفرصة لأهالى (القرية الصغيرة) أن يتجمعوا للعمل معا من أجل هدف واحد . ويلاحظ أن الأهالى ، أثناء العمل ، يتحدثون معا فى مختلف شئونهم كما أنهم يقيمون حفلة بعد الإنتهاء من بناء الكوبرى ابتهاجا بهذه المناسبة . وكل ذلك ولا شك من شأنه أن يساعد على تقوية تماسك الجماعة . =

٣ — **التعاون لإطفاء الحريق** (٦٤) : إذا شبت النار فى أحد المنازل ، فإن رجال إطفاء الحريق ، ومعهم باقى أفراد القرية الصغيرة يسرعون إلى هناك ويبذلون قصارى جهدهم لإخمادها . وبعد أن يتم إطفاء الحريق ، تقدم الأسرة ، التى أصابتها النكبة ، الطعام وأقداح الخمر لرجال إطفاء الحريق . ويتدفق أهالى القرية الصغيرة إلى منزل الأسرة المنكوبة لمواساتها وتقديم الهدايا من الأطعمة لها .

وإذا كانت النيران قد أتت على المنزل ، وأصبحت الضرورة تدعو إلى إعادة بنائه من جديد ، فإن كل أسرة بالقرية الصغيرة ترسل أحد أفرادها مندوبا عنها للاشتراك فى إعادة بناء المنزل .

٤ — **التعاون لمواجهة الفيضان** (٦٥) : كذلك يتعاون أهالى القرية الصغيرة لمواجهة أخطار الفيضان . فإذا أصيب أحد المنازل بضرر نتيجة لفيضان النهر فإن رجال إطفاء الحريق ومعهم بقية أفراد القرية الصغيرة ، تماما كما هو الحال بالنسبة لإطفاء الحريق ، يسرعون لنجدة الأسرة المنكوبة .

= ولما كان الفيضان يحدث مرة فى كل عام ، فإن هذه الفرصة تتكرر مرة فى كل عام أيضا .

إلا أن الحكومة قامت أخيرا ببناء كوبرى من الخرسانة على النهر أمام إحدى القرى الصغيرة بدلا من الجسر الخشبى المش الذى يقيمه الأهالى ، والذى لم يكن يقوى على مقاومة مياه الفيضان فى شهر يونيو من كل عام . ولقد كان نتيجة لذلك أن هذا الإجتماع السنوى للأهالى لإعادة بناء الكوبرى لم يعد يحدث ، واختفت نهائيا تلك الصورة من التعاون .

(٦٤) Ibid, p. 129

(٦٥) Ibid, p. p. 129-130

وإذا نزل الضرر بعدد كبير من المنازل بسبب الفيضان ، فإن أهالى القرى الصغيرة الأخرى يسارعون للمعاونة فى مواجهة الكارثة ، كما أنهم يقدمون كميات من الارز للأسر المصابة .

٥ — التعاون فى حالة الوفاة (٦٦) : عند حدوث وفاة فى أحد المنازل ، فإن الأسرة تخطر رئيس القرية الصغيرة ليقوم بإذاعة الخبر بين الناس .

وسرعان ما يتدفق الأهالى رجالا ونساء إلى هناك . ويقضى العرف أن تحضر امرأة من كل أسرة بالقرية الصغيرة للمعاونة فى العمل ، فى مطبخ الأسرة المصابة ، لإعداد الطعام الذى يلزم تقديمه للمعزين . كما ينبغى أيضا على كل أسرة أن ترسل أحد رجالها مندوبا عنها لتقديم العزاء وللاشتراك فى إعداد الترتيبات الخاصة بالجنازة . هذا ويلاحظ أن كل شخص يحضر لمواساة الأسرة ، يحضر معه مقدارا من الارز لتقديمه لها .

كذلك يحضر الاقارب ومعهم الهدايا من الارز والخمر وبعض القماش الملون الذى يلزم لعمل الرايات الخاصة بالجنازة . وبعد غسل الجثة وتكفينها يقوم الاقارب بوضعها فى النعش (٦٧) . ثم يلى ذلك إقامة مأدبة جنائزية داخل المنزل يقدم فيها الطعام والشراب ويحضرها الكاهن والاقارب فقط .

---

(٦٦) Ibid. p. p. 130-131.

(٦٧) جرت العادة فى قرية سوهى على وضع أشياء معينة مع الجثة فى التابوت . ومن هذه الأشياء نذكر : مسبحة rosary توضع فى يد المتوفى ، كيس به القليل من النقود ، مروحة المتوفى ، و (شىء ما) كان المتوفى يحبه جدا أثناء حياته . وإذا كانت الوفاة قد حدثت فى يوم نحس ، فإن الأهالى يقومون بصنع عروسة من القش ، ثم يضعونها مع الجثة فى التابوت . ويعتقد الأهالى أنهم إذا لم يقوموا بعمل ذلك ، فإن جثة المتوفى سوف تعمل على التعجيل بوفاة أحد الأحياء من أفراد مجتمع القرية أنظر : Suye Mura, p. 126

أما رجال القرية الصغيرة الذين حضروا لتقديم التعزية وللمعاونة ، فإن الاسرة تقدم لهم الطعام والخمر فى ساحة المنزل أو فى المخزن . وبعد الانتهاء من المأدبة الجنائزية ، يتقدم البعض من الرجال إلى داخل المنزل ويحملون النعش على أكتافهم . ثم يبدأ موكب الجنازة المنزل ويتجه إلى مقبرة القرية الصغيرة حيث يتم دفن الجثة هناك .

هذا ويلاحظ أن النساء اللائى يحضرن إلى المنزل للمعاونة ، يقمن بكنس الحجرة عقب مغادرة موكب الجنازة لساحة مباشرة ، ثم يجلسن بعد ذلك لتناول الطعام الذى تقدمه الأسرة لهن .

ومما هو جدير بالملاحظة كذلك أن رئيس القرية يعد كتابا يسجل فيه أسماء الاشخاص الذين حضروا للمعاونة ، وكذلك كمية الارز التى أحضرها كل منهم لتقديمها للأسرة المصابة .

سابعا — خاتمة

تدلنا الدراسة على أن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية — خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر — قد اعتمدوا فى الأغلب على كتابات المبشرين والرحالة والتجار وحكام المستعمرات لتزويدهم بالمعلومات اللازمة لدراساتهم . ولقد كان نتيجة لعدم اهتمام هؤلاء العلماء بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم ، أننا نجد أن الدراسات الحقلية التى قاموا بها كانت قليلة للغاية . فهناك دراسة مورجان للإيروكواو دراسة فرانزبواس للإسكيمو ودراسة بعثة جامعة كمبردج التى توجهت إلى جزر مضايق توريس عندما كان القرن التاسع عشر يطوى أعوامه الأخيرة .

كما تدلنا الدراسة كذلك على أن كثيرا من العلماء — خلال الربع الأول من القرن العشرين — قد نزلوا فعلا إلى الميدان ؛ لكنهم ركزوا جهودهم على دراسة المجتمعات البدائية فقط . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة ريفرز عن التودا، دراسة سلجمان عن قبائل جنوب السودان ، دراسة راد كليف براون عن سكان جزر الاندمان ، ودراسة مالينوسكى عن سكان جزر التروبرياند . وجدير بالذكر أن عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى فرانزبواس — حتى عام ١٩٢٥ — لم يسمح لأحد من تلاميذه بدراسة أى مجتمع غير قبائل الهنود الحمر فى أمريكا (٦٨) .

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا ، فرأينا كثيرا من الباحثين — خلال الربع الثانى من القرن العشرين — يتجهون لدراسة المجتمعات القروية والحضرية . فقد درس روبرت لندوهيلين لند « ميدلتاون » خلال عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ . كما

---

(٦٨) Solon T. Kimbal, « Problems of Studying American Culture, *American Anthropologist* . vol. p. 1131, December 1955.

قام روبرت ردفيلد بدراسة قرية تيبوزتلان خلال عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ (٦٩). وهناك أيضا دراسة وورنر وزملاؤه عن يانكى سيتى فى الفترة من سنه ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥ (٧٠) . ونحن عند دراستنا لهذا الاتجاه لدراسة المجتمعات القروية والحضريه يجب أن نأخذ فى الاعتبار ذلك الدور الهام الذى قام به أساتذة جامعة شيكاغو وجامعة هارفارد . ونخص بالذكر منهم الأساتذة فاى كوبر كول Fay-Cooper Cole وروبرت ردفيلد و و . ل . وورنر W. L Warner الذين وجهوا تلاميذهم للقيام بدراسات حقلية هامة عن المجتمعات فى صقلية والمكسيك والمسيسيبى وأيرلندة (٧١) .

وتمشيا مع هذا الاتجاه أيضا قام قسم العلوم الاجتماعية فى جامعة شيكاغو، بتوجيه من الأستاذ راد كليف براون ، بإعداد خطة بحوث للقيام بدراسات حقلية عن أنماط مختلفة من المجتمعات فى شرق آسيا (٧٢). وكانت سوهى مورا هى باكورة الأبحاث فى تلك الخطة .

وهكذا نرى أن جون إمبرى ، حينما قام بدراسة عن سوهى مورا فى الريف اليابانى ، لم يكن إلا ممثلا لاتجاه ظهر فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وأنه قد سبقه فى ذلك الاتجاه رواد كثيرون مثل روبرت لند ، روبرت ردفيلد ،

---

(٦٩) Robert Redfield, *Tepoztlan : A Mexican Village*, (The University of Chicago Press, Chicago 1930), p. vii.

(٧٠) W L. Warner and J. O. Low, *The Social System of The Modern Factory* (New Haveu : Yale University Press, 1951). p. 5.

(٧١) A. R. Radcliffe-Brown, «Introduction» in *Suye Mura* by John Embree, p.p. ix x.

(٧٢) *Suye Mura*, p. xvi.

و . ل . وورنر كما سبق وأشرنا من قبل .

وفى الوقت الحاضر توجد لدينا دراسات كثيرة قام بها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن مجتمعات ريفية فى أجزاء مختلفة من العالم . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة روبرت ردفيلد عن يتبوزتلان فى المكسيك ، ودراسة أرنسبرج عن الفلاحين فى أيرلندة، ودراسة مارتن يانج عن قرية تايتو فى الصين ، ودراسة أوسكار لويس عن قرية يتبوزتلان ، ودراسة دوبى عن قرية شاميربت فى بلاد الهند ، ودراسة أ . فريدل عن قرية فاسيليكا فى بلاد اليونان (٧٣) .

(٧٣) أنظر :

Robert Redfield, *Tepoztlan : A Mexican Village* (The University of Chicago Press. Chicago, 1930) ; Conrad M. Arensberg, *The Irish Countryman*, (Gloucester, Mass. Peter Smith, 1959); Martin C. Yang, *A Chinese Village* (London, Kegan Paul Trench, Trubner & Co., Ltd. 1947); Oscar Lewis, *Tepoztlan ; Village in Mexico*, (Holt. Rinehart And Winston. New York, 1963). S C. Dube, *Indian Village*, (Routledge & Kegan Paul Ltd, fifth Impression, 1965), E. Friedl, *Vasilika; A Village in Modern Greece*, (Holt Rinehart and Winston. New York, 1962),

الفصل الثالث عشر

شاميربت

س . دوبى

أولا ـ لمحة عن قرية شاميربت

تقع قرية شاميربت Shamirpet على مسافة ٢٥ كيلو متر تقريبا من مدينة حيدر أباد فى هضبة الدكن بالهند (١) .

وقد بلغ عدد السكان بها ٢٤٩٤ نسمة طبقا لتعداد سنة ١٩٥١ ، كما بلغ عدد المنازل بها ٥٠٨ منزلا (٢) .

ومن الناحية الدينية ، ينقسم السكان إلى جماعتين مختلفتين هما جماعة الهندوس الإسلام وجماعة المسلمين . ومن الناحية التاريخية نجد أن الديانة الهندوسية أقدم من الإسلام فى قرية شاميربت . وأما من الناحية العددية ، فإن غالبية السكان تعتنق الديانة

(١) S C. Dube, *Indian Village*, p . 17

(٢) Ibid, p. 19

الهندوسية . وتتكون جماعة المسلمين أساسا من أفراد تركوا الديانة الهندوسية وتحولوا إلى الدين الإسلامى . ومما تجدر الإشارة إليه أن البعض منهم قبل دخولهم فى الدين الإسلامى كانوا ينتمون إلى طوائف ذات مكانة عالية كما كان البعض منهم أيضا ينتمون إلى طوائف ذات مكانة منحطة . ويشعر أفراد جماعة الهندوس فى قرارة أنفسهم بالاستعلاء على أفراد جماعة المسلمين نظرا لأن الديانة الهندوسية هى الأقدم ، وكذلك بسبب طريقة تكوين جماعة المسلمين كما سبق وأشرنا من قبل . ولما كانت الولاية حتى سنة ١٩٤٨ تخضع لإدارة إسلامية فإن الهندوس لم يكن فى استطاعتهم حتى ذلك الحين التعبير جهرة عن ذلك الشعور بالاستعلاء ، ومن ثم فقد آثروا الاتجاه إلى الالتزام بالصمت . كذلك يشعر أفراد جماعة المسلمين بالاستعلاء على جماعة الهندوس بالقرية ، وهم فى نظرهم ليسوا إلا جماعة من الكفار . ولما كان حكم الولاية حتى سنة ١٩٤٨ فى أيدى المسلمين فإنهم قد حاولوا السيطرة على مسرح الحياة بالقرية كما أنهم قد ناصبوا الهندوس العداء الشديد وأظهروا احتقارهم للديانة الهندوسية . ولم ينس الهندوس المسلمين ذلك الموقف . فبعد سقوط الحكم الإسلامى بالولاية ، خرج الهندوس من صمتهم وأخذوا يوجهون الإهانات علنا للدين الإسلامى ولجماعة المسلمين . ولم يستطع المسلمون الرد على إهانات الهندوس وآثروا التزام الصمت . هذا ويذكر لنا دوبى أنه قد لاحظ خلال فترة البحث الميدانى أن حدة ذلك الصراع قد أخذت تهدأ ، كما أنه لم تحدث توترات خطيرة بين الجانبين (٣) .

وينقسم الهندوس بالقرية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى (٤):

---

(٣) Ibid, p.p. 161—162

(٤) Ibid, p. 19



صورة رقم /٥٦

امرأة من طائفة الريدى



صورة رقم /٥٧

أم تحمل طفلها



صورة رقم /٥٨

رجل مسلم



صورة رقم /٥٩

أحد الحلاقين بالقرية

١ ــ طوائف تشتغل أساسا بالزراعة .

٢ ــ طوائف حرفية لها مهن تقليدية يعتبرها المجتمع نظيفة ومحترمة . ومن الأمثلة على ذلك نذكر طوائف البراهمة والتجار والفخرانية .

امثلة على ذلك نذكر طوائف للبراهمة والتجار والفخرانية .

٣ ــ طوائف منبوذة ولها مهن حقيرة . ولا يوجد بالقرية إلا طائفتان منبوذتان فقط هما طائفة « المالا » وطائفة « الماديجا » .

ويعتبر الأرز والذرة هما المحصولان الرئيسيان في القرية (٥) . وهناك أيضا الدخان والخروع . وفضلا عن ذلك فهناك أشجار النخيل العالية وأشجار التمر هندى . ومن الحيوانات التى يربيها الأهالى نذكر البقر والجاموس والماعز والأغنام والخنازير (٦) .

والمهنة الرئيسية للأهالى هى الزراعة . ولكن توجد بجانب ذلك مهن أخرى نذكر منها صناعة الفخار والنجارة والحدادة وغسل الملابس والحلاقة والرعى والصيد (٧) .

والأسرة الممتدة هى النمط الشائع للأسرة بالقرية وهى عادة تتكون من الزوج والزوجة والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم ، أو من الإخوة الذكور وزوجاتهم وأطفالهم . ورغما من أن الأسرة الممتدة تعتبر فى نظر الأهالى النمط المثالى للأسرة ، فإن كثيرا من الأبناء ينفصلون عن الأسرة الممتدة بعد مرور عدة سنوات على زواجهم ويكونون أسرا مستقلة (٨) .

---

(٥) Ibid, p. 76

(٦) Ibid, p. 81

(٧) Ibid, p. 72

(٨) Ibid, p. 133

ويوجد بالقرية مدرسة وعيادة خارجية ومكتب للبريد ومركز للبوليس (٩) .

وبالنسبة للتنظيم الداخلي ، فإن القرية لها رئيس يدير شئونها بمعاونة مجلس القرية . ووظيفة الرئاسة وراثية . ويتكون مجلس القرية من رئيس القرية ورؤساء الطوائف والجماعات الدينية وبعض الأشخاص الأثرياء والمهمين بالقرية (١٠) .

---

(٩) Ibid, p p. 25 – 27

(١٠) Ibid, p.p. 45 – 46

ثانيا — ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — تمويل البحث : قدمت جامعة عثمانيا Osmaia University بالهند التمويل اللازم لإجراء ذلك البحث (١١) .

٢ — كيفية اختيار القرية . (١٢) هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة وصفية لقرية شاميربت في ولاية حيدر أباد بالهند. وقد وقع الاختيار على هذه القرية لتكون ميدانا للبحث الحقلي للأسباب الآتية :

ا — لم تكن تبعد كثيرا عن مدينة حيدر أباد ، كما أنها لم تكن في نفس الوقت أيضا قريبة جدا منها بحيث تصبح مجرد ضاحية من ضواحيها أو امتداد عمراني لها .

ب — لم تكن كبيرة جدا ولا صغيرة جدا من ناحية المساحة وكذلك من ناحية عدد السكان بالنسبة للقرى الموجودة في هذا الجزء من الإقليم .

حـ — كانت القرية ممثلة لمنطقة « تيلانجانا Telangana » في حيدر أباد من من ناحية النظام الطائفي بها .

٣ — فريق البحث : . (١٣) لقد اشتركت ستة كليات بجامعة عثمانيا في إجراء هذا البحث . وهذه الكليات هي : الآداب ، الطب ، الزراعة ، الطب البيطري ، الهندسة ، التربية . وكانت كل كلية ممثلة في البحث عن طريق وحدة تتكون من أحد أعضاء هيئة التدريس واثنين أو أكثر من الخريجين .

---

(١١) Ibid, p. xi

(١٢) Ibid, p. 13

(١٣) Ibid, p. 13

٤ — **مدى تقبل أهالى القرية لفريق البحث** . (١٤) فى بداية الأمر كان استقبال الاهالى لهم يتسم بشىء من الفتور وعدم الاكتراث ، كما لوحظ أيضا أن نظرتهم إلى مهمة أعضاء الفريق تباينت إلى حد كبير . فالبعض من الناس قد ظن أنهم ليسوا إلا مجموعة من المبشرين حضرت إلى القرية لتأدية رسالة دينية . كما اعتقد البعض الآخر من الاهالى أنهم موظفون حكوميون حضروا إلى القرية بغرض تنظيم حملة ضد الشيوعية . كذلك اعتقد البعض من طائفة الهندوس ذات المكانه العالية فى المجتمع أن الهدف من حضور فريق البحث إلى القرية هو تحريض طائفة المنبوذين ذات المكانة المنحطة بالمجتمع على الثورة ضدهم .

إلا أن هذه النظرة من جانب أفراد المجتمع إلى فريق البحث لم تلبث أن أخذت فى التغير خلال أيام قليلة . وسرعان مانشأت صداقات عديدة بين أفراد الفريق وبين الكثير من أهالى القرية .

ولا شك أن ذلك التحول فى اتجاهات الأهالى إنما يرجع إلى عوامل مختلفة، نذكر منها :

١ — معاونة كبار الموظفين بالمنطقة لأفراد هيئة البحث .

٢ — الخدمات التى قدمتها وحدات البحث المختلفة لأهالى القرية . فمثلا قامت وحدة البحوث الطبية بعلاج ٣٩٠ حالة . كما قامت وحدة البحوث الزراعية بتقديم الإرشاد الزراعى وتوزيع بذور الخضروات وشجيرات الفاكهة والخصبات الكيماوية الحديثة . كذلك قامت الوحدة الهندسية بتحسين بئر المياه الموجود بالقرية ، كما أنها قامت أيضا بتشييد عدد من الأفران النموذجية .

---
(١٤) Ibid, p.p. 14—15.

٣ — امتناع أفراد فريق البحث عن الحديث فى أمور السياسة والدين .

٤ — عدم تعالى أفراد الفريق أو تهكمهم على أهالى القرية وكذلك حرصهم على معاملتهم باحترام زائد .

٥ — **مدة الدراسة الحقلية** . أجرى البحث خلال عامى ١٩٥١ و١٩٥٢ (١٥). هذا ويلاحظ أن وحدة البحث الانثروبولوجى قد قضت بالقرية عاما كاملا ، فى حين أن جملة الفترة التى قضتها كل وحدة من الوحدات الأخرى قد بلغت عشرين أسبوعا فقط (١٦) .

٦ — **وسائل جمع البيانات** . اعتمد فريق البحث على أكثر من وسيلة لجمع المادة من الميدان . ومن هذه الوسائل نذكر :

١ — الإقامة بالقرية والاعتماد على الملاحظة بالمشاركة وتوجيه الأسئلة .

٢ — القيام بعمل إحصاء اجتماعى شامل لمجتمع القرية .

٣ — تم اختيار عينة مكونة من ١٢٠ أسرة تمثل الطوائف المختلفة ومستويات الدخل والتعليم بالقرية ، وقد قامت هيئة البحث بإجراء دراسات مركزة عنها .

٤ — القيام بتسجيل تاريخ حياة عدد كبير من الأفراد .

٥ — دراسة السجلات الموجودة بالقرية .

٦ — الاعتماد على المعمرين من الأهالى للحصول على بيانات عن الأحداث الماضية. (مثلا : عندما أراد دوبى أن يتعرف على نشأة القرية ، ولم يجد تاريخا مكتوبا لها) .

---
(١٥) Ibid, p. xi

(١٦) Ibid, p. 14

٧ ـ دراسة التقارير التى أعدتها وحدات البحوث المختلفة عن القرية والاستفادة منها عند كتابة التقرير النهائى البحث. ومن الأمثلة على ذلك نذكر: التقرير الطبى الخاص بفحص ٢٠٠ حالة ، التقرير الخاص بالزراعة والمشكلات الخاصه بها ، التقرير الخاص بالتغذية وكذلك التقرير عن رعاية الحيوانات بالقرية (١٧) .

٧ – وسائل الايضاح .ضمن دوبى كتابه عددا من الصور الفوتوغرافية. إلا أننا نلاحظ أن الكتاب قد خلا كلية من الرسوم البيانية والخرائط .

(١٧) Ibid., P. 15

ثالثا – نشر نتائج الدراسة

أشرنا من قبل إلى أن البحث الميدانى قد أجرى فى قريه شاميربت خلال عامى ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وقد ظهرت الطبعة الأولى من كتاب Indian Village سنه ١٩٥٥ (١٨) .

ويتكون الكتاب من مقدمة كتبها موريس أوبلر Morris Opler ومقدمة للمؤلف وثمانية فصول . وفضلا عن ذلك فهناك أيضا بيان بالمصطلحات الفنية وقائمة بالمراجع ودليل الكتاب . وفصول الكتاب الثمانية هى : البيئة ، البناء الاجتماعى ، البناء الاقتصادى ، البناء الشعائرى (١٩) ، نسيج العلاقات الأسرية ، مستويات المعيشة ، (٢٠) ، الحياة فى القرية ، التغير الاجتماعى .

(١٨) اعتمدنا فى عرض الكتاب على الطبعة الخامسة التى ظهرت سنة ١٩٦٥ ، وهى تقع فى ٢٤٨ صفحة . أنظر :

S. C. Dube, *Indian Village* (Routledge & Kegan Paul Ltd, Fifth impression, 1965).

(١٩) من النقاط التى تناولها دوبى بالدراسة فى الفصل بعنوان « البناء الشعائرى Ritual Structure » نذكر : معتقدات الهندوس والمسلمين ، الاحتفالات عند الهندوس والمسلمين ، الشعائر الخاصة بدورة الحياة (مثل الميلاد والبلوغ والزواج والموت) .

(٢٠) درس دوبى فى الفصل بعنوان « مستويات المعيشة The Levels of Living » النقاط التالية : تمايز المراكز ، مستوى المعيشة ، تقسيم العمل ، التغذية .

رابعاً - عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

طقوس البلوغ الخاصة بالفتاة [٢١]

عندما تحيض الفتاة لأول مرة فى حياتها ، فإن أسرتها - سواء كانت من الهندوس أو من المسلمين - تقوم بإجراء طقوس معينة احتفالاً بهذه المناسبة . هذا ويلاحظ أن الطقوس التى يقوم بها الهندوس تختلف عن الطقوس التى يقوم بها المسلمون فى هذه الناحية .

فالفتاة من الهندوس تعتزل لمدة خمسة أيام ، وفى نهاية هذه الفترة تستحم ثم ترتدى ملابس جديدة . وبعد ذلك تتوجه الفتاة إلى « مزار » الأسرة المفضل « The family's Favourite Shrine » ويصحبها أثناء ذهابها إلى هناك زفة من نساء القرية . كما تصحبها إلى هناك أيضاً فرقة موسيقية تستأجرها الأسرة لتصدح بأنغامها أثناء سير الموكب . كذلك جرت العادة عند طوائف الهندوس باستثناء طائفتى رجال الدين والتجار ، على أن تتجمع النسوة من المنازل المجاورة مساء كل يوم فى منزل أسرة الفتاة ليقمن بالرقص والغناء احتفالاً بهذه المناسبة .

أما بالنسبة للفتاة المسلمة فإنها — عند حدوث الحيضة الأولى — تعتزل لفترة تتراوح بين سبعة أيام وأحد عشر يوماً . وفى نهاية هذه الفترة تستحم ثم ملابس جديدة .

(٢١) Ibid, p p. 118—119



صورة رقم /٥٧
رجل من طائفة نظيفة



صورة رقم /٥٨
أحد المنبوذين من طائفة الماديجا



صورة رقم /٥٩
أحد المنبوذين من طائفة المالا



صورة رقم /٦٠
امرأة من طائفة المالا

(٢)

الطوائف المنبوذة

لايوجد فى قرية شاميربت إلا طائفتان منبوذتان فقط هما طائفة « المالا The Mala » وطائفة « الماديجا The Madiga (٢٢) . ويعيش أفراد هاتين الطائفتين فى مستعمرتين تنفصلان تماما عن مساكن القرية (٢٣) .

وطبقا لتعداد سنه ١٩٥١ بلغ عدد المنبوذين ٦٨٠ نسمة ، أى ما يوازى ثلث عدد الهندوس فى مجتمع القرية .

ومن الناحية الاجتماعية يعتقد أفـراد طائفة « المالا » أنهم أسمى مكانة من أفراد طائفة « الماديجا » كما أنهم يرون أيضا أنه إذا لمس شخص من طائفة « الماديجا » أى شخص من طائفة « المالا » ، فإن ذلك يؤدى إلى نجاسته (٢٤) .

ومن الناحية الاقتصادية (٢٥) ، يعتبر أفراد طائفة « الماديجا » أشد الناس فقرا فى المجتمع القرية ، ومن النادر أن نجد شخصا منهم يمتلك قطعة من الأرض . وتعمل الغالبة الكبرى من أسر هذه الطائفة فى حقول كبار المزارعين بالقرية . وعلاوة على الاشتغال بالزراعة ، فهم يقومون بتخليص القرية من الماشية الميتة . ذلك أن أفراد هذه الطائفة لا يجدون غضاضة فى أكل لحوم الحيوانات الميتة ؛ وهم يعتبرونها مصدرا من مصادر الطعام بالنسبة لهم ، كما يشتغل البعض من

---

(٢٢) Ibid, p. 20

(٢٣) Ibid, p. 224.

(٢٤) Ibid, p. 20

(٢٥) Ibid, p. 63

أفراد هذه الطائفة أيضا بكنس شوارع القرية (٢٦) وفى مقابل ذلك تمنحهم الحكومة حق الانتفاع ببعض الأراضى الزراعية (٢٧) .

كذلك يقوم البعض من أفراد هذه الطائفة أيضا بكسب قوت يومهم عن طريق الزمر ودق الطبول فى الحفلات التى تقام فى المناسبات المختلفة بالقرية (٢٨) .

وجدير بالذكر أن دستور الهند قد ألغى ذلك النظام . وبذلك أصبح من الممكن لطوائف المنبوذين مثلا أن يستخرجوا المياه اللازمة لهم من الآبار العامة ، كما أن أطفالهم قد أصبحوا يلتحقون بمدرسة القرية (٢٩) .

إلا أننا بالرغم من ذلك ، يجب أن نضع فى الاعتبار أن التشريع وحده لا يمكن أن يقضى بسهولة وفى فترة وجيزة على ذلك التراث المتأصل فى حياة المجتمع الهندى (٣٠) . فالطائفة لازالت تتسم بنظام الزواج من داخل الجماعة Endogamous

---

(٢٦) Ibid p.p. 27—28

(٢٧) يذكر لنا مارشال كلينارد فى دراسة عن المناطق المتخلفة بالمدن فى الهند أن الطوائف المنبوذة هى التى تقوم بكنس الشوارع هناك أيضا ، أنظر :
Marshall B. Clinard, *Slums and Community Development*, (The Free Press, New York , 1969) , p. 81.

(٢٨) Ibid, p. 69 .

(٢٩) Ibid , p. 20 .

(٣٠) نظام الطوائف وجد فى بلاد الهند منذ ٣٠٠٠ سنة تقريبا . أنظر :
G. Duncan Mitchell, *A Dictionary Of Sociology*; (London, Routledge & Kegan Paul , 1970) , p. 182.

وفضلا عن ذلك ، فإن تناول الطعام مع أفراد من طوائف أقل مكانة ، مازال محظورا حتى اليوم . وبينما نجد أن الفرد من الطوائف النظيفة Clean Castes فى المدينة لم يعد يتأثر إذا مالمسه شخص ينتمى إلى طائفة منبوذة فإن ما يجرى فى الريف عكس ذلك تماما . فالفرد من طائفة المنبوذين ، حتى وقتنا الحاضر ؛ لا يستطيع أن يدنو كثيرا من فرد ينتمى إلى طائفة نظيفة خشية أن ينجسه بلمسة من ذراعه قد تحدث مصادفة (٣١) .

---

(٣١) Ibid. p. 22

(٣)

البراهمة (٣٢)

لا يوجد فى شاميربت إلا أسرة برهمية واحدة . ويتمتع رئيس هذه الأسرة بمكانة عالية فى مجتمع القرية بسبب عامل المولد ، أى لانتمائه إلى طائفة البراهمة ، وكذلك لأنه يمتلك مساحة كبيرة من الأرض (٣٣) .

وبالنسبة للدور الذى يقوم به فى مجتمع القرية ، فإنه يمكن إيجازه فيما يلى :

١ — هو كاهن القرية ، كما أنه منجمها فى نفس الوقت أيضا .

٢ — يتجه إليه الأهالى لاستشارته فى مناسبات مختلفة كالزواج والولادة والوفاة . وهم يدفعون له لقاء ذلك أجرا نقديا .

٣ — وعلاوة على ما تقدم ، فإنه له دوره أيضا فى النشاط الزراعى بالقرية . فهو يقدم النصح للفلاحين بالنسبة لمواعيد بذر التقاوى وجنى المحاصيل . كما أنه يقوم بزيارة منازلهم مرة كل أسبوعين أو مرة كل شهر . وقد جرت العادة على أن تقدم له كل أسرة مقدارا معينا من الحبوب .

---

(٣٢) Ibid, p 62

(٣٣) يذكر لنا دوبى أن هناك عوامل مختلفة تلعب دورها بالنسبة لتحديد مركز الفرد الاجتماعى فى مجتمع القرية . ومن هذه العوامل تذكر الدين والطائفة ، ملكية الأراضى الزراعية ، الثروة ، الوظيفة الحكومية ، السن ، الشخصية .

انظر : *Indian Village*, p.p. 161—164.

(٤)

طائفة الفخرانية (٣٤)

تتكون طائفة الفخرانية بالقرية من خمسة أسر فقط . وقد بلغ عدد العاملين بها ١٤ عاملا .

وترتبط كل أسرة من هذه الأسر بعدد من المزارعين بالقرية . فهى تقدم لهم الأوانى الفخارية التى يحتاجون إليها ، وفى مقابل ذلك تقدم أسرة المزارع لأسرة الفخرانى قدرا معينا من الحبوب فى مواسم معينة من السنة . وتتوقف كمية الحبوب التى تقدم لأسرة الفخرانى على مساحة الأرض المنزرعة التى يمتلكها المزارع ، وكذلك على حالته المالية (٣٥) .

ويستطيع الفخرانى ، بنفس الطريقة التى يتبعها فى التعامل مع المزارعين ، أن يتفق مع أفــراد الطوائف الحرفية الأخرى بالقرية كالحلاقين والغسالين والنساجين . فهو مثلا يقدم الأوانى الفخارية اللازمة للحلاق مقابل القيام بالحلاقة لأفراد أسرة الفخرانى .

وإذا ما تعذر الاتفاق مع بعض الأفراد على اتباع هذه الطريقة ، فإن دفع ثمن الأوانى الفخارية فى هذه الحالة يكون نقدا .

---

(٣٤) Ibid,p. 63

(٣٥) هناك طوائف أخرى بالقرية تتبع نفس هذه الطريقة فى تعاملها . ومن الأمثلة على ذلك نذكر طائفة النجارين وطائفة الحدادين وطائفة الحلاقين .

(٥)

الدور الذى تقوم به الطائفة لحماية أعضائها (٣٦)

أوضح لنا دوبى مدى أهمية الدور الذى تقوم به الطائفة لحماية أعضائها . وقد ضرب لنا مثلا على ذلك فقال : لو افترضنا أن أ (وهو حلاق) يرتبط بأسرة ب (وهو مزارع) ، أى يقوم بالحلاقة له هو وجميع أسرته مقابل الحصول على مقادير محددة من الحبوب فى مواسم معينة فى السنة . ولسبب معين ، كهبوط مستوى الخدمة مثلا ، تبرم المزارع بالحلاق واتجه إلى التفكير فى استبداله بحلاق آخر . وهنا سوف يواجه الفلاح مشكلة كبرى . فهو لن يتمكن من أن يجد فردا آخر من أفراد طائفة الحلاقين بالقرية يقبل العمل محل الزميل المطرود . فالطوائف الحرفية لها دستورها الخاص بأخلاقيات الحرفة ، ويمكنها إذا دعى الأمر — أن توقع العقوبات على الأعضاء الذين يخرجون على آدابها . ولو افترضنا أن مجموعة من الأسر اتفقت فيما بينها على إحضار حلاق من قرية أخرى، فإن تنفيذ ذلك لن يكون أمرا هينا . فالحرفيون بالقرية سوف يعلنون عداءهم السافر للحلاق الوافد ، كما أنهم سوف يضعون أمامه كافة العقبات بحيث تصبح الحياة بالنسبة له هناك أمرا لا يطاق .

ويذكر لنا دوبى أنه قد قام ، خلال إقامته بالقرية ، بتسجيل ثلاث حالات نزاع من هذا النوع . وبالنسبة للحالة الأولى فقد تدخلت الطائفة فى الأمر وأمكنها استرضاء الأسرة الشاكية . وفى نفس الوقت أيضا تعهدت الأسرة الحرفية بالعمل على تحسين خدماتها مستقبلا . وفى الحالة الثانية أمكن الوصول إلى تسوية ودية ترضى الطرفين. فقد وافقت الطائفة على عزل الرجل الحرفى من

(٣٦) Ibid. 60—61

خدمة الأسرة الشاكية ، ثم ألحقته بخدمة أسرة أخرى حديثة العهد بالقرية . كما وافقت الطائفة فى نفس الوقت أيضا على التحاق عضو آخر من أفراد الطائفة بخدمة الأسرة الشاكية . وأما بالنسبة للحالة الثالثة ، فقد وافقت الطائفة على عزل الرجل الحرفى من خدمة الأسرة الشاكية ، كما قدمت أيضا لها بديلا عنه من بين أعضاء الطائفة .

الفصل الرابع عشر

ميدلتاون

روبرت س. لند وهـ. م. لند

أولا ـ لمحة عن حياة ومؤلفات روبرت لند

ولد روبرت لند بالولايات المتحدة (سنة ١٨٩٢) وتعلم فى جامعتى برنستون وكولومبيا . وقد شغل وظيفة أستاذ علم الاجتماع بجامعة كولومبيا فترة طويلة من الزمن (اعتبارا من سنة ١٩٣١) (١) .

ومن مؤلفاته نذكر :

(1) Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown: AStudy in American Culture* (NewYork Harcourt, Brace and Company, 1929) .

(2) Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown In Transition : A Study in Cultural Conflicts*. (Harcourt, Brace and Company, New York, 1937).

---

(١) *The International Who's Who* (Twenty. sixth Edition 1962 . 63). p 6.5.

(3) Robert S. Lynd, *Knowledge For what? The Place Of Social Science In American Culture*. (Princeton, New Jersey, Princeton University Press. 1939).

ثانيا ـ لمحة تاريخية عن « ميدلتاون »

تقع « ميدلتاون » فى ولاية « إنديانا » بالولايات المتحدة . ويرجع تاريخ نشأة هذه المدينة الصغيرة إلى قرب نهاية الربع الاول من القرن التاسع عشر (٢).

وفى سنة ١٨٨٥ كان عدد السكان بها قد بلغ ٦٫٠٠٠ نسمة تقريبا .

وفى سنة ١٨١٦ أكتشف الغاز الطبيعى بها فجأة ، وكان لذلك أثره الكبير بالنسبة لازدياد عدد السكان بالمدينة . كما ظهرت أيضا صناعات جديدة مثل صناعة الزجاج وصناعة الحديد (٣) .

وبعد مرور عدة أعوام ، وكما ظهر الغاز الطبيعى فجأة ، نجد أنه قد اختفى أيضا فجأة من المنطقة عند نهاية القرن التاسع عشر . ولا شك أن ذلك كان له أثره من ناحية هجرة بعض الصناعات من المدينة فى ذلك الحين .

وفى خلال الفترة من سنة ١٨٩٠ حتى وقت إجراء البحث الحقلى (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥) ، نجد أن عدد السكان بالمدينة قد تضاعف عدة مرات . ففى سنة ١٨٩٠ كان عددهم ١١٫٠٠٠ نسمة ؛ أما فى وقت إجراء البحث الحقلى ، فقد أصبح عددهم ٣٨٫٠٠٠ نسمة (٤) .

---

(٢) Robert S. Lynd & H. M. Lynd. *Middletown*, p. 10.

(٣) Ibid, p. 9.

(٤) Ibid, p. 510.

ثالثا – الغرض من البحث الحقلى

لقد كان الغرض من إجراء البحث الحقلى – كما يقول المؤلفان – هو دراسة الحياة الاجتماعية فى إحدى المدن الامريكية الصغيرة. وحيث أنه لا توجد فى الولايات المتحدة مدينة يمكن أن تعتبر ممثلة لكل المدن الامريكية الاخرى، فإنه قد روعى – عند اختيار المدينة المراد دراستها – أن تتسم بكثير من السمات الموجودة فى عدد كبير من المجتمعات الامريكية.

وهذا ويجدر الإشارة هنا إلى أن هيئة البحث، سواء فى أثناء مرحلة البحث الحقلى أم فى أثناء مرحلة كتابة التقرير النهائى للبحث، لم تحاول البرهنة على مبحث معين، وإنما كان الهدف هو تسجيل الظواهر الاجتماعية التى تم بحثها (٥).

رابعا – نشر نتائج الدراسة

تم إجراء البحث الميدانى فى «ميدلتاون» خلال عامى ١٩٢٤ و١٩٢٥، وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنه ١٩٢٩(٦). ويتكون الكتاب من كلمة استهلالية كتبها «كلارك ويسلر»، ومقدمة وستة أجزاء وخاتمة. وفضلا عن ذلك فهناك أيضا ملحق فى نهاية الكتاب يشتمل على دليل وملاحظات عن وسائل جمع البيانات.

---

(٥) Ibid, p. 3.

(٦) اعتمدنا فى عرض الكتاب على الطبعة الأولى التى ظهرت سنة ١٩٢٩، وهى تقع فى ٥٥٠ صفحة. أنظر:
Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown : A Study In American Culture* (New York. Harcourt. Brace and Company, 1929).

وتحتوى المقدمة على بيان لماهية البحث وكيفية اختيار المدينة وكذلك لمحة تاريخية عن «ميدلتاون».

وفى الباب الأول نجد عرضا للجانب الاقتصادى بالمدينة، كما نجد فى الباب الثانى دراسة للبيت فى «ميدلتاون» (المساكن – الزواج – تربية الأطفال – الطعام – الملبس).

أما الباب الثالث، فهو يحتوى على دراسة عن التلاميذ والمدرسين والمناهج الدراسية وكذلك الحياة المدرسية بصفة عامة. ويشتمل الباب الرابع على دراسة لوقت الفراغ (الطرق التقليدية لقضاء وقت الفراغ – المخترعات وأثرها على وقت الفراغ – تنظيم وقت الفراغ).

ويحتوى الباب الخامس على دراسة للنظم الدينية، أما الباب السادس فهو يشتمل على دراسة الحكومة المحلية والحالة الصحية ورعاية العجزة والإعلام وكذلك العوامل التى تساعد على تماسك أو عدم تماسك مجتمع «ميدلتاون»(٧).

---

(٧) عاد المؤلفان مرة ثانية إلى «ميدلتاون» سنة ١٩٣٥، ودرسا التغير الاجتماعى الذى حدث بها. وقد نشرت نتائج تلك الدراسة سنة ١٩٣٧. أنظر:
Robert S. Lynd & Helen M. Lynd. *Middletown in Transition* (Harcourt ; Brace and Company, New York, 1937).

خامسا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — كيفية اختيار المدينة(٨): لم تكن هناك دوافع خفية تكمن وراء اختيار « ميدلتاون » لإجراء البحث الحقلى فيها . كما أن هيئة البحث لم تأخذ رأى أهل المدينة بالنسبة للشروع ، ولم تلق أية مساهمة سواء من جانب الأفراد أو المنظمات بها .

هذا ويقرر المؤلفان أنهما — عند القيام باختيار المجتمع الذى تجرى فيه الدراسة — قد وضعا نصب أعينهما اعتبارين هامين هما :

أولا — أن تكون المدينة — قدر الإمكان — ممثلة Representative للحياة الأمريكية المعاصرة .

ثانيا — أن تكون المدينة — فى نفس الوقت — متجانسة بدرجة كافية ، وذلك ليتيسر لهيئة البحث القيام بإجراء مثل هذه الدراسة الكلية للمجتمع .

وبناء على ماتقدم، فقد رؤى ضرورة توافر أمور معينة فى المدينة التى تجرى فيها الدراسة الحقلية هى :

١ — أن تكون مدينة ذات مناخ معتدل .

٢ — أن تكون مدينة ذات معدل سريع للنمو بدرجة كافية ، وذلك حتى يمكن ضمان وجود قدر واف من الأشكال المتنوعة للآلام والمتاعب المصاحبة للتغير الاجتماعى فى العصر الحاضر .

---

(٨) Ibid, p.p 7 — 9.

٣ — أن توجد بالمدينة صناعة ذات إنتاج آلى حديث .

٤ — ألا تكون من المدن التى تتسم بوجود صناعة واحدة فقط .

٥ — أن توجد بالمدينة حركة فنية قوية ذات طابع محلى .

٦ — ألا تتسم المدينة بخصائص أو صفات غير عادية بشكل ظاهر ، أو توجد بها مشكلات محلية حادة .

٧ — أن يكون موقع المدينة — إذا أمكن — فى أواسط الولايات المتحدة .

٨ — أن يتم اختيار المدينة من بين مجموعة المدن التى يتراوح عدد سكانها بين ٢٥٠٠٠و٥٠٠٠٠ نسمة حسب تعداد سنة ١٩٢٠ فى الولايات المتحدة. فمثل هذا العدد ييسر لهيئة البحث مهمتها من ناحية دراسة المجتمع من جوانب مختلفة كوحدة .

٩ — أن تكون المدينة — بقدر الإمكان — مستقلة بذاتها ، بمعنى ألا تكون مدينة تدور فى فلك مدينة أخرى مجاورة لها .

١٠ — أن تكون نسبة الزنوج بالمدينة قليلة بالنسبة لعدد السكان البيض فيها .

٥ ٥ ٥

وفى ضوء الاعتبارات السابقة ، وبعد القيام بزيارة عدة مدن ، تم اختيار « ميدلتاون » . هذا ويقرر المؤلفان أن ذلك قد تم للأسباب الآتية : -

١ — تعتبر « ميدلتاون » ذات مناخ معتدل .

٢ — كانت المدينة فى سنة ١٨٨٥ مجرد مركز لإقليم زراعى ، وكان عدد

السكان بها فى ذلك العام ٦٠,٠٠٠ نسمة تقريبا . ومن دراسة تطور السكان بها فى الفترة من سنة ١٨٨٥ حتى سنة ١٩٢٠ ، يتبين أنهم قد تضاعفوا عدة مرات حتى أصبحوا ٣٥,٠٠٠ نسمة تقريبا سنة ١٩٢٠ . ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا المجال أن ذلك النمو السريع فى عدد السكان بالمدينة قد تأثر إلى حد كبير بنمو الصناعة فيها . وتعتبر صناعة الزجاج وصناعة المعادن وصناعة السيارات هى أهم الصناعات بالمدينة .

٣ — يعتبر الزنوج أقلية فى المدينة (٦ ٪) ، أما البيض فهم يكونون الأغلبية الساحقة . هذا ويقرر المؤلفان أن الدراسة قد تركزت بصفة أساسية على السكان البيض فقط .

٤ — تعتبر «ميدلتاون» مستقلة بذاتها إلى حد كبير . فهى ليست مدينة تدور فى فلك مدينة أخرى مجاورة لها . وقد أوضحت الدراسة أن أقرب مدينة كبيرة لها تبعد عنها بمسافة ٦٠ ميلا ، وهى مسافة يقطعها القطار — فى ذلك الحين — فى فترة ساعتين تقريبا .

٥ — وبالإضافة إلى ماتقدم ، فإن « ميدلتاون » منذ أواخر القرن الماضى ، تشتهر فى كافة أرجاء الولاية بازدهار الموسيقى بها .

ويخلص المؤلفان بعد ذلك إلى القول بأنه إذا كانت «ميدلتاون» لا تمثل كل المدن الأمريكية ، إلا أنه من الممكن، وبشىء من الحذر أن تطبق نتائج الدراسة على مدن أخرى أو على الحياة فى أمريكا بصفة عامة (٩) .

(٩) هكذا يتبين لنا أن المؤلفان قد اتجها لدراسة مدينة أمريكية صغيرة ، واستخدما هناك أدوات البحث التى يستخدمها عادة الأنثربولوجى الاجتماعى . ومما لاحظ فيه أن مثل هذا =

٢ — **تمويل البحث** : قدم معهد البحوث الاجتماعية والدينية بالولايات المتحدة التمويل اللازم لإجراء البحث (١٠) .

٣ — **مدة الدراسة الحقلية** : أجرى البحث فى الفترة من يناير سنه ١٩٢٤ حتى يونيو سنه ١٩٢٥ ، وبذلك تكون جملة الفترة التى قضتها هيئة البحث بالمدينة سنة ونصف (١١) .

٤ — **وسائل جمع البيانات** : تدلنا الدراسة على أن هيئة البحث قد اعتمدت على أكثر من وسيلة لجمع المادة اللازمة للبحث . ومن ذلك نذكر :

أ — **المشاركة فى الحياة الاجتماعية** (١٢) : حاول أفراد هيئة البحث، بكل طريقة ممكنة ، خلال فترة البحث الحقلى ، المشاركة فى الحياة الاجتماعية فى « ميدلتاون » . فهم قد عاشوا فى غرف مع الأسر ، كما نشأت بينهم وبين أفراد المجتمع صداقات عديدة . كذلك كان أفراد هيئة البحث يحضرون المآدب والاجتماعات

= الاتجاه يعتبر اتجاها عمليا يتلاءم وأغراض البحث، ذلك أن دراسة المدينة الكبيرة « ككل » تعتبر مشكلة ليس من اليسير التغلب عليها . وفى رأينا أن هذه الدراسة ربما تكون ممثلة لبعض المدن الصغيرة فى أواسط الولايات المتحدة ، لكنها لاتمثل الحياة الأمريكية عامة .

ومن العلماء الذين اتجهوا هذا الاتجاه أيضا نذكر وورنر وزملاؤه فى « جونزفيل » ؛ فمثلا نجد أن وورنر يقرر أن « جونزفيل » هى (المعمل لدراسة سكان أمريكا) . كما نجده يكرر هذا المعنى أيضا فيقول (إننا إذ ندرس «جونزفيل» فنحن إنما ندرس أمريكا) . انظر :

W L. Warner and Associates *Democracy In Jonesville*, (Harper & Brothers, New York, 1949), p. xv.

(١٠) Ibid, p. xi.

(١١) Ibid, p. 505.

(١٢) Ibid, p. 506

المدرسية والاجتماعات السياسية واجتماعات العمال واجتماعات رجـــال الدين والمحاضرات العامة .

ب — الرجوع إلى ما كتب عن المدينة(١٣) : كما رجعت هيئة البحث كذلك إلى العديد من الوثائق والمستندات واستفادت منها بدرجة كبيرة . ومن ذلك نذكر : كتب التاريخ ، بيانات التعداد ، السجلات الخاصة بالإقليم ، ملفات المحاكم ، السجلات المدرسية ، بعض الصحف اليومية التى صدرت خلال عامى ١٨٩٠ و ١٨٩١ ، وكذلك بعض الصحف اليومية التى صدرت خلال عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، محاضر جلسات الكثير من المنظمات (مثل الجمعيات الخيرية ولجنة المكتبات ونادى المرأة) ، أوراق أسئلة الامتحانات خلال عام ١٨٩٠ وكذلك خلال فترة البحث الميدانى ، المذكرات اليومية التى كتبها بعض الأهالى بالمدينة ، الخطابات ، نشرات الغرفة التجارية ، الخرائط ، وحوليات المدارس العليا .

ج — تجميع الإحصاءات(١٤) : وفى بعض الحالات ، كان أفراد هيئة البحث يقومون بأنفسهم بتجميع الإحصاءات إذا وجدوا أنها غير متوفرة . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : الإحصاءات الخاصة بالأجور ، التخديم ، حوادث الصناعة ، عضوية الأندية ، العضوية فى الكنائس ، التبرعات ، رواد السينما والمسرح وملاك السيارات بالمدينة .

د — المقابلة : وتعتبر المقابلة كذلك من أهم أدوات البحث الاجتماعى فى

---

(١٣) Ibid, p. 306.

(١٤) Ibid, p. 506

« ميدلتان » . هذا ويلاحظ أن بعض المقابلات كانت لا تستغرق إلا وقتا يسيرا ، فى حين البعض الآخر منها قد استغرق عدة ساعات . ومن الأمثلة على ذلك نذكر المقابلة التى أجريت مع قادة جمعية الشبان المسيحية ، فهى قد استغرقت حوالى أربعة ساعات .

كما يلاحظ أيضا أن الباحثين فى بعض المقابلات قد اعتمدوا - عند توجيه الأسئلة - على استمارات صممتها هيئة البحث . ومن الأمثلة على ذلك نذكر المقابلات التى أجريت مع مجموعة من أسر الطبقة العاملة وعددها ١٢٤ أسرة ، والمقابلات التى أجريت مع مجموعة من أسر طبقة رجال الأعمال وعددها ٤٠ أسرة (١٥) .

هـ — الاستبيان البريدى(١٦) : كما اعتمدت هيئة البحث كذلك على الاستبيان البريدى للحصول على بعض المعلومات اللازمة للبحث . ومن الأمثلة على ذلك نذكر الاستبيان ، الذى صمم سنة ١٩٢٤ عن الأندية بالمدينة والتى يزيد عددها على ٤٠٠ نادى ، لدراسة العضوية والأنشطة بها .

و — الاستعانة بالمسنين : كان أفراد هيئة البحث يستعينون بالمسنين من أفراد المجتمع عند دراسة الماضى . فمثلا نجد أنها قد رجعت إلى طبيب مسن من أهل المدينة عند دراسة الحياة الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر (مثل وصف المنازل ودخول الكهرباء والتلغراف) (١٧) .

---

(١٥) Ibid. p. 507.

(١٦) Ibid, p. 509.

(١٧) Ibid p. 10

— وسائل الايضاح : نلاحظ أن الكتاب قد خلا كلية من الخرائط والرسوم البيانية والصور الفوتوغرافية . ومن المعلوم أن الصورة الفوتوغرافية قد أصبحت تعتبر جزءا هاما من التقارير التى تكتب عن الأبحاث الحقلية فى ميدان الانثروبولوجيا الاجتماعية . فالصورة تعتبر نوعا من الإثبات للوصف الذى يقدمه الانثروبولوجى الاجتماعى (١٨) . ونحن نلاحظ أن الكثير من العلماء قد ضمنوا تقاريرهم عن المجتمعات التى درسوها صورا فوتوغرافية . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر سلجمان (١٩) (جنوب السودان) وبريستيانى (الكبسجس) وريموند فيرث (تيكوبيا) وإيفانز بريتشارد (الأزاندى) ورادكليف براون (الأندمان) وردفيلد (شان كوم) .

ومما هو جدير بالملاحظة كذلك أن كتاب Middletown In Transition قد خلا أيضا كلية من الصور الفوتوغرافية .

٦ — **استمارات البحث** : لم يشتمل التقرير النهائى للبحث كذلك على صور من الاستمارات والاستبيانات البريدية التى استخدمت لجمع المادة من الميدان خلال مرحلة البحث الحقلى . وقد برر المؤلفان ذلك بقولهما أن ذلك قد تم تلبية لرغبة المسئولين عن البحث لاعتبارات خاصة بحجم الكتاب (٢٠) .

---

(١٨) *Notes and Queries On Anthropology*, (sixth edition, 1951), p. 48.

(١٩) يشتمل كتاب سلجمان وزوجته من قبائل جنوب السودان على عدد كبير من الصور الفوتوغرافية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر الرجال ، والنساء ، الأكواخ ، القرى ، الأضرحة ، القبور .

(٢٠) Ibid, p. 509

٧ — **اسم المدينة** : لم يذكر لنا المؤلفان الاسم الحقيقى للمدينة التى قاما بدراستها (Muncie) وإنما نجد أنهما قد أطلقا عليها اسما مستعارا هو « ميدلتاون » . وجدير بالذكر أن كثيرا من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية قد انتهجوا هذا الاتجاه . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة وورنر وزملاؤه فى « جونزفيل » و « أوجيست هولنزهد » فى « المتاون » و « هارى تيرنى هاى » فى « شاتو جيرار » (٢١) .

٨ — **نظام بحث الفريق** : لم يذهب « روبرت لند » وحيدا إلى « ميدلتاون » لإجراء دراسته الحقلية هناك ، كما فعل غيره من معاصريه من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية (٢٢) ، وإنما نجده قد أشرك معه زوجته وعدد من الباحثين (٢٣) . وجدير بالذكر أن البعض من العلماء قد اتبعوا نفس هذه الطريقة أيضا . ومن الأمثلة على ذلك نذكر « دوبى » فى « شاميربت » (٢٤) و « وورنر » وزملاؤه فى « يانكى سيتى » (٢٥) .

---

(٢١) أنظر :

W L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville*, (1940); August Hollingshead, *Elmtown's Youth* (1947); H Turney—High, *Chateau - Gerard* (1953).

(٢٢) من العلماء الذين نزلوا وحدهم إلى الميدان نذكر مالينوسكى ورادكليف براون وإيفانز بريتشارد .

(٢٣) Ibid, p. XI.

(٢٤) S C. Dube, *Indian Village* (1965), p. 18.

(٢٥) فى بداية البحث الحقلى فى « يانكى سيتى » كان عدد الباحثين أربعة فقط ، ثم أخذوا يتزايدون تدريجيا بعد ذلك ، ويذكر لنا وورنر أن عددهم — خلال فترة البحث الحقلى — كان يتراوح بين ٤ و ١٥ باحثا . أنظر = :

٩ — الاهتمام بدراسة التغير الاجتماعى : هذا ويهمنا أن نشير أيضا إلى أن ، روبرت لند ، وزوجته قد درسا المدينة وقت إجراء البحث (١٩٢٤ و ١٩٢٥) ، كما أنهما كانا — فى نفس الوقت — يرجعان إلى الماضى (سنة ١٨٩٠) للتعرف على ماحدث من تغير فى جوانب الحياة الاجتماعية . وبعبارة أخرى ، لقد درس المؤلفان الحياة الاجتماعية المعاصرة لإحدى المدن الأمريكية فى ضوء التغير الذى حدث بها خلال الخمسة وثلاثين عاما الماضية (٢٦) .

ويذكر لنا المؤلفان أنه قد وقع الاختيار على سنة ١٨٩٠ لتكون نقطة البداية ، نظرا لوفرة البيانات التى يمكن الحصول عليها عن المدينة اعتبارا من ذلك العام (٢٧) .

وللحصول على صورة للحياة الاجتماعية بالمدينة فى سنة ١٨٩٠ ، نجد أن المؤلفان قد اعتمدا على مصادر مختلفة نذكر منها : ذاكرة المسنين ، مذكرات بعض الأهالى ، الصحافة المحلية محاضر جلسات المنظمات ، كتب التاريخ (٢٨) .

W. L. Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of A—Modern Community* (1955), p. 42.

(٢٦) Ibid. p. 6.

(٢٧) Ibid, p. 5.

(٢٧) Ibid, p. 506.

سادسا — عرض لبعض نتائج الدراسة

المرأة والعمل فى « ميدلتاون » (٢٩) .

أوضحت الدراسة أن نسبة الأفراد الذين يعملون — وقت إجراء البحث — قد بلغت ٤٣ ٪ من جملة عدد السكان بالمدينة . وهذا ويلاحظ أن نسبة العاملين من الذكور (٨٠ ٪) تزيد كثيرا عن نسبة النساء العاملات (٢٠ ٪) .

كما أوضحت الدراسة كذلك أن الرجل الذى لا يعمل يفقد مكانته بين أفراد المجتمع ، ولاسيما إذا كان سليما من الناحية البدنية . ذلك أن مجتمع « ميدلتاون » سواء فى سنة ١٨٩٠ أو فى سنة ١٩٢٥ — يوجب العمل بالنسبة للبالغين من الذكور .

أما بالنسبة للمرأة ، فإنه يلاحظ أن نظرة المجتمع إلى اشتغالها قد تباينت ، إلى حد كبير ، خلال الخمسة وثلاثين عاما الماضية .

فلقد اعترض الكثير ، من الرجال والنساء على السواء ، على نزول المرأة إلى ميدان العمل . ففى سنة ١٨٩٠ ، مثلا ، التحقت فتاة من أسرة مشهورة بالمدينة بوظيفة مراسلة صحفية فى إحدى المحاكم . وكانت هذه هى المرة الأولى التى تشغل فيها مثل هذا المنصب . وحينما علمت بذلك إحدى السيدات من صديقات والدة الفتاة أظهرت دهشتها ، كما أبدت أيضا اعتراضها الشديد على ذلك بحجة أن مثل هذا العمل ربما « يفقد الفتاة جنسها » !!

كما يلاحظ كذلك أن هناك الكثير من الأفراد فى « ميدلتاون » الذين

---

(٢٩) *Middletowu*, p p. 25 — 30

يؤيدون اشتغال المرأة ويباركون هذا الاتجاه الجديد . ففى سنة ١٩٢٤ أجرت هيئة البحث استفتاء بين ٤٤٦ طالبة فى إحدى مدارس البنات بالمدينة ، للتعرف على اتجاهاتهن بالنسبة للعمل بعد التخرج . وقد كانت نتيجة ذلك الاستفتاء كما يلى :

٨٩ ٪ يرغبن فى العمل بعد التخرج .

٢ ٪ مترددات .

٣ ٪ لا يرغبن .

٦ ٪ لم يجبن على الأسئلة .

معنى ذلك أن الغالبية العظمى من الطالبات ينوين النزول إلى ميدان العمل بعد التخرج ، فى حين أن نسبة الطالبات غير المؤيدات كانت نسبة ضئيلة جدا.

وفى الوقت الحاضر ، يلاحظ أيضا أن الزوجات اللائى لا يعملن يجأرن بالشكوى من اشتغال المرأة المتزوجة . فهى فى رأيهن ، تزاحم الرجل فى عمله ، وتعمل على خفض الأجور كما يؤدى اشتغالها أيضا إلى إهمال الأطفال، وربما تعمد إلى التهرب من مسئوليات الإنجاب. وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإن الزوجة العاملة ، باختلاطها بغير تكلف بالرجال داخل المصنع ، تشجع على الطلاق .

كذلك يبدى الكثير من الأزواج أيضا اعتراضهم على اشتغال زوجاتهم ، بحجة أن ذلك ربما يعتبر انعكاسا لمدى قدرتهم على إعالة الأسرة .

* * *

ورغما من كل هذه الاعتراضات على اشتغال المرأة المتزوجة ، فإن الإحصاءات تبين أن النساء المتزوجات اللائى يعملن بأجر ، قد تضاعف عددهن خلال الخمسة والثلاثين عاما الماضية .

ولكن : لماذا تعمل المرأة المتزوجة ؟

أوضحت الدراسة أن امرأة واحدة فقط ، من بين ٤٠ إمرأة من طبقة رجال الأعمال ، قد اشتغلت (فى الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٤) بغرض الحصول على المال . وجدير بالذكر أن طبيعة العمل الذى التحقت به هذه السيدة كانت تعتبر نصف فنية .

وبالنسبة للطبقة العاملة، فقد قامت هيئة البحث كذلك بالتعرف على الأسباب التى دعت ٥٥ إمرأة متزوجة إلى العمل (فى الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٤) وقد تبين الآتى :

عدد النساء	أسباب اشتغال المرأة .
٢٤	كانت بطالة الزوج هى السبب الرئيسى .
٦	الحاجة إلى المال اللازم لتعليم الأطفال .
٥	الديون .
٤	الحاجة المتزايدة إلى المال، ذلك أن دخل شخص واحد بمفرده لم يعد يكفى الأسرة فى الوقت الحاضر .
٣	كثرة الأطفال .

أما بقية المجيبات ، وعددهن ١٣ امرأة ، فقد ذكرن إجابات مختلفة :

« كنت أشعر بالملل من إدارة شئون البيت . كذلك كان طفلى قد بلغ من العمر خمسة شهور ويمكن تركه لغيرى » .

« كنت فى حاجة إلى ملابس » .

« كنت أرغب فى أن أنفق من دخلى الخاص » .

« لقد تمكن غيرى من النساء من أن يعملن ، وشعرت أنا بدورى أنه ينبغى على أن أعمل مثلهن » .

« كان زوجى مريضا ، ومن ثم فقد كان لزاما على أن أعمل » .

وجدير بالذكر أن هيئة البحث قد قامت بدراسة لعدد من الحالات (من الزوجات العاملات) ، بغرض إلقاء المزيد من الضوء على العوامل التى تدفع المرأة المتزوجة إلى العمل . وفيما يلى عرض موجز لبعض هذه الحالات :

الحالة رقم ١ : تبلغ هذه السيدة من العمر ٤٥ عاما . وهى أم لاربعة أولاد أعمارهم كالآتى : ١٨ سنة ، ١٦ سنة ، ١٥ سنة و ١٢ سنة .

وقد اشتغلت فى مصنعين مختلفين لمدة خمسة عشر شهرا خلال الخمس سنوات الماضية . وكان أجرها الاسبوعى ، سواء فى المصنع الأول أم فى المصنع الثانى ، هو خمسة عشر دولار تقريبا . وبالنسبة لعدد ساعات العمل اليومية ، فإنها كانت تعمل فى المصنع الأول لمدة عشر ساعات ، وفى المصنع الثانى لمدة تسعة ساعات ونصف . وقد توقفت عن العمل فى المصنع الأول نظرا لاستغناء المصنع عن خدماتها ، فى حين أنها توقفت عن العمل فى المصنع الثانى بسبب اعتلال صحتها .

وتحدثنا هذه السيدة عن الاسباب التى دفعتها إلى العمل ، فتقول :

« لقد أجريت لزوجى عملية جراحية ، وقد أردت أن أعاون فى دفع حساب الطبيب المعالج . بعد ذلك عاد زوجى إلى عمله ، لكن المصنع لم يلبث أن استغنى عن خدماته . وقد ظل عاطلا عن العمل لمدة تسعة شهور خلال العام الماضى . وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد كان الاولاد فى حاجة إلى ملابس ، وكان لزاما على أن أعمل من أجل ذلك » .

وجدير بالذكر أن هذه السيدة كانت تبذل قصارى جهدها للعمل فى بيتها بعد انتهاء فترة عملها يوميا بالمصنع . كما أنها كانت فى يوم الاحد من كل أسبوع ، تغسل ملابس الأسرة ثم تقوم بكيها بعد ذلك . ورغما من ذلك كله ، فقد اضطرت ابنتها الكبرى إلى التوقف عن مواصلة الدراسة فى المدرسة ، وذلك لكى تبقى فى البيت لرعاية الأطفال .

الحالة رقم ٢ : تبلغ هذه السيدة من العمر ٤٦ عاما . وهى أم لثلاثة أولاد أعمارهم كالآتى : ١٩ سنة ، ١٣ سنة و ١٠ سنوات . أما زوجها فهو يعمل فى إحدى الورش المكانيكية ، ويبلغ من العمر ٤٩ سنة .

وقد التحق الابن الاكبر بإحدى الكليات . ولما كانت الام ترغب فى تعليم أولادها تعليما عاليا ، فقد التحقت بالعمل فى أحد المصانع بالمدينة ، وهى تنوى أن تستمر فى عملها حتى تتمكن من تحقيق أمنيتها .

الحالة رقم ٣ : تبلغ هذه السيدة من العمر ٤٢ عاما . وهى تقوم بالتنظيف فى إحدى المؤسسات العامة لمدة ستة أيام فى كل أسبوع . أما زوجها فهو يعمل براد مواسير . والأسرة لديها ولدين اثنين فقط ، وقد ألحقتهما فى إحدى المدارس .

وبالنسبة للظروف التى أحاطت باشتغال هذه الزوجة ، فانها تتلخص فى الآتى :

التحقت هذه السيدة بالعمل فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، شأنها فى ذلك شأن الكثير من الناس فى ذلك الحين . فالأسعار كانت فى ارتفاع مستمر ، وكان لزاما عليها أن تساهم لتوفير ما يتطلبه البيت . وفى البداية اعترض الزوج على اشتغال زوجته ، أما الآن فهو لايمانع فى ذلك .

ونتيجة لاشتغال الزوجة فقد تمكنت الأسرة من :

١ — بناء بيت جميل يبلغ ثمنه حوالى ٦٫٠٠٠ دولار .

٢ — شراء سيارة وغسالة كهربائية ومكواة كهربائية ومكنسة شفاطة وثلاجة .

٣ — القيام برحلة إلى « بنسلفانيا » لقضاء إجازة العطلة الصيفية هناك .

وبالنسبة للمستقبل ، فإن الزوجة تنوى أن تستمر فى عملها حتى تتمكن من تعليم ولديها تعليما عاليا ، وحتى توفر المصروف اللازم لهما .

الفصل الخامس عشر

يانكى سيتى و جونزفيل

و. ل. وورنر

أولا ـ لمحة عن حياة وورنر ومؤلفاته[1]

اشتهر عالم الانثروبولوجيا الامريكى « و.ل. وورنر W. L. Warner » (١٨٩٨-) بأبحاثه الحقلية عن البدائيين فى استراليا ؛ وكذلك بأبحاثه الحقلية عن المجتمعات الحضرية فى الولايات المتحدة .

ففى سنة ١٩٢٦ ، سافر وورنر إلى أستراليا للقيام بدراسة حقلية عن « المورنجن » . وقد استغرقت تلك الدراسة ثلاث سنوات (١٩٢٦-١٩٢٩) . وبالنسبة لنتائج ذلك البحث الحقلى ، فقد نشر وورنر عددا من المقالات فى عدة

(١) أرسل الى الأستاذ و ل . وورنر خطابا بتاريخ ١٢ ابريل سنة ١٩٦٨ ذكر لى فيه كثيرا من البيانات عن أعماله العلمية . كما أنه قد أرسل الى أيضا صورة فوتوغرافية له (الصورة المنشورة فى الصفحة التالية) .



صورة رقم /٦١

و . ل وورنر

دوريات ، كما نشر أيضا كتابا ظهر لأول مرة سنة ١٩٣٧ .

وبعد عودته من استراليا ، اتجه وورنر للقيام بدراسات عديدة عن المجتمع الامريكى . ومن الأمثلة على تلك الداسات نذكر دراسته هو وزملاؤه عن « يانكى سيتى » و « جونزفيل » .

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن وورنر كان رئيسا لفريق علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذى أرسله قسم الأنثروبولوجيا بجامعة هارفارد إلى أيرلنده لإجراء دراسات حقلية هناك (٢) (١٩٣١ ، ١٩٣٢) .

وبالنسبة للتدريس بالجامعات ، فقد قام وورنر بالتدريس فى جامعة هارفارد (١٩٢٩ — ١٩٣٥) ثم فى جامعة شيكاغو فى الفترة من سنة ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٥٩ . ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة ميتشيجان ليشغل وظيفة أستاذ البحث الاجتماعى هناك .

ومن مؤلفاته نذكر :

A Black Civilization : A Social Study of an Australian Tribe. New York : Harper & Brothers, 1937.

Color and Human Nature. Co-Author with Buford Junker and Walter A. Adams. Washington, 1941.

Who Shall be Educated ? Co author with Robert J. Havighurst and Martin B. Loeb. New York ; Harper and Brothers, 1945.

---

(٢) W.L. Warner, "Preface" in *Family And Community in Ireland* by Conrad Arensberg and Solon T. Kimball, Harvard University Press, 1940, p. ix.

Social Class in America, Co-author with Marchia Meeker and Kenneth Eells. Chicago, 1949.

Democracy in Jonesville. Warner and associates. New York : Harper and Brothers, 1949.

The Corporation in the Emergent American Society. New York. Harper and Brothers, 1961.

The Social Life of a Modern Community. Co-author with Paul S. Lunt. New Haven : Yale University Press, 1941.

The Status System of A Modern Community. Co author with Paul S. Lunt. New Haven ; Yale University Press, 1942.

The Social Systems of American Ethnic Groups. Co-author with Leo Srole. New Haven ; Yale University Press, 1945.

The Social System of The Modern Factory. Co-author with J. O. Low. New Haven ; Yale University Press, 1947.

« Birth Control in Primitive Society » *Birth Control Review*, Vol. xv, No, 4 : 105—107 (April 1931).

« Murngin Warfare », *Oceania*, Vol. I No. 4; « Jan. — Mar., 1931.

"Anthropology", *Encyclopaedia Britannica* (Jan. 1941).

"Social Anthropology and the Modern Community", *American Journal of Sociology*, May 1941.

The Factory in the Community" by W. Lloyd Warner and J. O. Low in *Industry and Society*, edited by William F. Whyte (New York : Mc Graw-Hill Book Co. In c., 1946).

A Methodology for the Study of Social Class", in *Social Structure*, edited by Meyer Fortes, Oxford University Press, 1949.

"Social Stratification" in *Review of Sociology*: 1945-55, edited by Joseph B. Gittler, New York: John Wiley & Sons, 1957.

"Women Executives in the Federal Government", by W. Lloyd Warner and others, *Journal of the Public Personnel Association*. Vol 23, No 4, Oct. 1962, p.p. 227—34.

ثانيا - لمحة عن يانكى سيتى

تقع « يانكى سيتى Yankee city » فى نيو إنجلاند بالولايات المتحدة (٢). وقد أنشئت هذه المدينة فى النصف الأول من القرن السابع عشر ؛ وبذلك فإنها تعتبر من أقدم المدن بالولايات المتحدة.

ومن الناحية العددية ، تعتبر « يانكى سيتى » من المدن الصغيرة . فقد بلغ عدد السكان بها ، وقت إجراء البحث ، ١٧,٠٠٠ نسمة تقريبا (٢).

وأما من ناحية التركيب السكانى ، فإن هيئة البحث قد قسمت سكان المدينة إلى عشر جماعات هى : اليانكى jaokees ، أو أبناء البلد ، جماعة الأيرلنديين ، جماعة الفرنسيين ، جماعة اليهود ، جماعة الإيطاليين ، جماعة البولنديين ، جماعة اليونانيين ، جماعة الأرمن ، جماعة الروس ، جماعة الزنوج. وقد أطلقت هيئة البحث على جماعات الأيرلنديين والفرنسيين واليهود والإيطاليين والبولنديين واليونانيين والأرمن والزنوج كلمة « جماعات إثنية Ethnic groups » (٤).

(٢) W. L. Warner and P. S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, p. 76.

(٣) Ibid p. 77

وتجدير بالذكر أن كلمة « إثنى ethnic » لا يقصد بها - فى هذا البحث - المولد فى بلد أجنبى لقد كان الفرد يعد ضمن جماعة إثنية معينة إذا كان هو شخصيا يعتبر نفسه عضوا فى هذه الجماعة أو إذا كان مجتمع « يانكى سيتى » يعتبره عضوا فى هذه الجماعة . وعلاوة على ماتقدم ، فهناك أيضا مشاركة العضو فى أنشطة هذه الجماعة الإثنية . وقد بلغت نسبة « اليانكى » بالمدينة ٥٣,٨ ٪ من الجملة الكلية لعدد السكان بها ، أما الجماعات الإثنية فقد بلغت نسبتها ٤٥,٥٥ ٪. وتعتبر جماعة الأيرلنديين هى أكثر الجماعات الإثنية عددا (٣,٩٤٣ نسمة ، فى حين أن جماعة الزنوج هى أقلها عددا (٥) (٨ نسمة) .

وتوجد بالمدينة صناعات مختلفة نذكرمنها صناعة الأحذيةوصناعة الأدوات الفضية وصناعة القبعات . وتعتبر صناعة الأحذية هى أكبر الصناعات بالمدينة وأكثرها أهمية. وقد بلغت جملة القوة العاملة بالمدينة وقت إجراء البحث ٦,١٥٥ نسمة . وبالنسبة لتقسيم هذه القوة العاملة حسب النوع ، فإننا نلاحظ أن نسبة الذكور (٧١ ٪) تزيد على ضعفى نسبة الإناث (٢٩ ٪)(٦) .ويوجد بالمدينة عدة كنائس ومعبد لليهود(٧) . وكذلك يوجد بها أيضا صحافة محلية وهيئات اجتماعية ، وعدد من المدارس والجبانات والمتنزهات .

(٥) Ibid, p. 78

(٦) Ibid, p. 256

(٧) Ibid, p. 79

ثالثا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث فى يانكى سيتى

١ — **تمويل البحث الحقلى** قدمت جامعة هارفارد التمويل اللازم لإجراء البحث الحقلى (٨) .

٢ — **مدة الدراسة الحقلية** . أجرى البحث الحقلى فى « يانكى سيتى » فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى ١٩٣٥ . كما أن هيئة البحث قد عادت ثانية إلى المدينة فى سنة ١٩٤٥ بغرض جمع مزيد من المعلومات عن الدراسة التى قامت بها عن التنظيم الاجتماعى فى المصنع الحديث، والتى نشرت لأول مرة سنة ١٩٤٧ (٩) .

٣ — **المعايير التى استخدمت لاختيار مجتمع البحث** . اشترطت هيئة البحث ضرورة توافر عدة مقاييس بالنسبة للمجتمع المراد دراسته . ومن هذه المقاييس نذكر (١٠) :

١ — أن يكون المجتمع متكاملا بدرجة كبيرة .

٢ — أن تكون غالبية سكان المدينة من « الأمريكيين القدامى » .

٣ — أن يكون للمجتمع تقاليد قديمة . بمعنى أن يكون التنظيم الاجتماعى بالمدينة راسخا ، وأن تكون العلاقات بين الأفراد محددة بدقة ومعروفة لهم .

٤ — أن تكون هناك صناعات industries قليلة ومصانع factories كثيرة .

٥ — أن تكون المدينة قائمة بذاتها بدرجة كافية autonomous . بمعنى

---

(٨) Ibid, p. xi

(٩) W. L. Warner and J. O Low, *The Social System of The Modern Factory* p.p. 5-6

(١٠) *The Social Life of A Modern Community*, p.p. 38.39

أن تكون هذه المدينة لها حياتها الخاصة بها ، ولا تكون مجرد ذيل أو تابع satellite لإحدى المدن الكبيرة .

٦ — أن توجد بالمجتمع عدة جماعات إثنية ، حيث أن مثل هذه الجماعات توجد فى الغالبية الكبرى من المجتمعات الأمريكية .

٧ — أن تكون المدينة صغيرة من حيث المساحة وعدد السكان . ذلك أن طرق الملاحظة المفصلة يصعب تطبيقها فى المدينة الكبيرة بسبب عوامل الوقت والتمويل financing وصغر حجم هيئة البحث research staff . ومن ثم فقد استقر الرأى على اختيار مدينة يقل عدد السكان بها عن ٢٠,٠٠٠ نسمة . فمثل هذا المجتمع يمكن أن يعكس الكثير من تعقيد الحياة الحديثة فى المجتمع الأمريكى ، ولا تكون هناك — فى نفس الوقت — استحالة فى إمكانية تطبيق الدراسة المفصلة .

٤ — **اسم المدينة** . لم يذكر لنا وورنر وزملاؤه الاسم الحقيقى للمدينة التى قاموا بدراستها (نيوبرى بورت Newbury Port) وإنما نجد أنهم قد أطلقوا عليها اسما مستعارا هو « يانكى سيتى Yankee City » . وجدير بالذكر أن وورنر وزملاؤه — فى بحث آخر — قد فعلوا هذا أيضا ، فأطلقوا على المدينة اسم « جونزفيل Jonesville » .

٥ — **فريق البحث** . لم يذهب وورنر وحده لإجراء البحث فى « يانكى سيتى » ، كما سبق وفعل من قبل فى دراسته للمورنجن فى استراليا . ومن العلماء الذين أشتركوا معه فى إجراء ذلك البحث نذكر ل . سرول L. Srole ، ب . س . لنط P. S. Lunt ، ج . لو J. O. Low ، ب . جاردنر B. Gardner ، س . كمبول Kimball ، ك . أرنسبرج C. Arensberg

وفى البداية كانت هيئة البحث الحقلى تتكون من أربعة باحثين فقط، ثم ازداد عددهم بعد ذلك. وكان العدد يتراوح بين ١٠ و ١٥ باحثا (١١).

وبالنسبة لتوزيع الباحثين، فقد راعت الهيئة مدى كفاءة الباحث واستعداده. فمثلا أسندت الهيئة دراسة البنوك بالمدينة إلى أحد الباحثين فى علم الاقتصاد an economist، كما أسندت دراسة التعليم إلى باحث لديه معرفة كبيرة بالتعليم هناك.

ولا شك أن اسم جامعة هارفارد كان له أثره الكبير فى حصول أفراد هيئة البحث على ثقة واحترام مجتمع «يانكى سيتى» (١٢).

وجدير بالذكر أن نظرة أفراد المجتمع إلى مهمة فريق البحث بالمدينة قد تباينت إلى حد كبير. فلقد ظن الكثير من المسنين أن الفريق يهتم بدراسة التاريخ الاجتماعى social history. كما اعتقد رجال الصناعة والبعض من الأعمال أن مهمة الفريق هى دراسة الاقتصاد الاجتماعى بالمدينة. وكذلك تبادر إلى ذهن الكثيرات من السيدات المسنات أن مهمة الفريق هى دراسة تاريخ الأنساب genealogical history. أما أولئك الأشخاص الذين كانوا كثيرا مايشاهدون أعضاء الفريق فى الحفلات والمآدب، فقد نظروا إليهم على أنهم مجرد جماعة من الشبان لديهم وقتا كافيا للهو، ولا يهتمون كثيرا بالالتفات إلى أعمالهم (١٣).

Ibid, p. 42 (١١)

Ibid, p. 43 (١٢)

Ibid, p. 43 (١٣)

٦ – وسائل جمع البيانات: قام كثير من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية – عند عرض النتائج النهائية لدراساتهم الحقلية – بتخصيص جزء من تقاريرهم لشرح المنهج الذى اتبعوه والأدوات التى اعتمدوا عليها لجمع المعلومات. ومن الأمثلة على ذلك نذكر ريفرز، مالينوسكى وريموند فيرث. ولقد سار وورنر وزملاؤه على هذا المنوال، فخصصوا جزءا من الكتاب الأول فى سلسلة «يانكى سيتى» لايضاح وسائل جمع البيانات (١٤). وفيما يلى عرض موجز لهذه الوسائل:

أقام أعضاء فريق البحث بالمدينة عدة سنوات، وشاركوا خلالها فى الحياة الاجتماعية هناك. فمثلا ألحقت هيئة البحث بعض الباحثين fieldmen بالمصانع لملاحظة سلوك العمال وعلاقاتهم الاجتماعية. كما خصصت بعض الباحثين ليكونوا فى صفوف العمال أثناء فترة الاضراب strike عن العمل بالمصانع (١٥).

ولقد كانت المقابلة iterview هى الإدارة الأساسية (١٦) لجمع المعلومات كما أنها كانت تعتبر أكثر الأدوات أهمية وهناك أيضا الملاحظة والإحصاءات المختلفة والوثائق وفضلا عن ذلك، فقد تم الاعتماد على وسائل أخرى نذكر منها:

١ – استمارة البحث: مثلا نجد أن هيئة البحث قد صممت استمارة لدراسة ميزانية بعض الأسر بالمدينة. وجدير بالذكر أن هذه الاستمارة قد اشتملت على كثير من البيانات نذكر منها: وصف الأسرة، وصف المسكن، الدخل،

Ibid, p. 88-75 (١٤)

Ibid, p. 43 (١٥)

Ibid, p. 44. (١٦)

الإيجار، الطعام، الملبس، إدارة المسكن، السيارة، التسلية، الإحسان، التعليم، العطايا، نفقات العلاج، نفقات الدفن، الضرائب، السفر، المدخرات، الديون

كذلك نلاحظ أن هيئة البحث قد صممت أيضا استمارة لجمع معلومات عن تلاميذ المدارس وأسرهم وقد أطلقت على هذه الاستمارة « الإحصاء التاريخي والجينالوجي للمدارس في نيو إنجلاند » (١٧).

ب – سلاسل النسب : اهتم فريق البحث بدراسة سلاسل النسب الخاصة بالأسر . كذلك نلاحظ أنهم قد درسوا أيضا سلاسل النسب الخاصة بالمنازل القديمة بالمدينة (١٨).

حـ – السير : مثلا نلاحظ أن هيئة البحث قد جمعت سير بعض رجال البنوك، وبعض الشخصيات السياسية وكذلك بعض الأشخاص الناجحين في ميدان صناعة الأحذية (١٩) .

د – الصحافة المحلية . كانت الهيئة تجمع قصاصات من الصحف تحت عناوين مختلفة مثل : البنوك، السيارات، السجون، المحاكم، الصحة، الهيئات الاجتماعية، الكنائس، الأسرة (المواليد – الخطوبة – الطلاق – أعياد الميلاد – الوفيات) . وترى هيئة البحث أن الصحافة قد أفادتها لأنها كانت تمدها بوصف للأحداث بالمدينة . هذا فضلا عن أن الصحافة كانت أيضا تعكس اتجاهات بعض الجماعات الاجتماعية بالمدينة (٢٠) .

(١٧) Ibid, p. 57

(١٨) Ibid, p.p 60-61

(١٩) Ibid, p. 59

(٢٠) Ibid, p.p. 65-68

هـ – الصور الفوتوغرافية والخرائط : تضمنت التقارير الخاصة بنتائج بحث « يانكي سيتي » عددا من الرسوم البيانية . إلا أننا نلاحظ أن هيئة البحث لم تضمن تقاريرها صورا فوتوغرافية رغما من أنها قد ذكرت صراحة أنها قد قامت بتصوير المنازل بالمدينة (٢١) .

وأما بالنسبة للخرائط، فقد ضمنت هيئة البحث تقاريرها خريطة للمناطق الإيكولوجية بالمدينة (٢٢)، ولكنها لم تقدم لنا خريطة توضح موقع المدينة في الولايات المتحدة .

نشر نتائج الدراسة لم تنشر نتائج هذه الدراسة الميدانية في كتاب واحد، وإنما نجد أن وورنر وزملاؤه قد نشروا سلسلة من الكتب أطلقوا عليها « سلسلة يانكي سيتي » . وقد ظهر الكتاب الأول في هذه السلسلة لأول مرة سنة ١٩٤١ . وفيما يلي ملاحظات موجزة عن بعض هذه الكتب :

The Social Life of A Modern Community. Co-author With Paul S. Lunt New Haven : Yale University Press, 1941.

هذا الكتاب هو الكتاب الأول في سلسلة يانكي سيتي ؛ وقد نشر لأول مرة سنة ١٩٤١ . ويجد القارىء في هذا الكتاب وصفا للمنهج الذي طبقته هيئة البحث، كما أنه يجد أيضا وصفا تفصيليا للحياة الثقافية للمجتمع . ومن النقاط التي توجد في هذا الكتاب نذكر : توزيع السكان في الطبقات الاجتماعية، وتوزيع أفراد الطبقات الاجتماعية حسب النوع وكذلك حسب فئات الأعمار، المناطق

(٢١) Ibid, p. 44

(٢٢) Ibid, p. 228

الإيكولوجية ، المساكن ، الزواج والأسرة،الحياة الإقتصادية ، دراسة ميزانية كل طبقة ، الهيئات الاجتماعية ، الكنائس .

The Status System of A Modern Community. Co-author With Paul S. Lunt. New Haven : Yale University Press. 1942.

ويحتوى هذا الكتاب على وصف تفصيلى وتحليل دقيق للنظام الطبقى بالمدينة.

وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٢ .

The Social Systems of American Ethnic Groups. Co-author With Leo Srole. New W Haven: Yale University Press, 1945

ويحتوى هـذا الكتاب ـ الذى نشر لأول مرة سنة ١٩٤٥ ـ على دراسة تفصيلية للحياة الاجتماعية لعدد من الجماعات الإثنية بالمدينة . ويجد القارىء فى هذا الكتاب تفسيرا للكيفية التى تحـاول بها تلك الجماعات الإثنية أن تحافظ على تقاليدها الثقـافية القديمة ، كما أنه يجد فى نفس الوقت أيضا وصفـا لمظاهر التغير الاجتماعى الذى يطرأ على هذه الجماعات . ومن موضوعات هذا الكتاب نذكر : توزيع الجماعات الإثنية حسب المناطق السكنية ، الجماعات الاثنية والحياة الاقتصادية ، الجماعات الاثنية والطبقات الاجتماعية . الكنيسة ، اللغة والمدرسة ، الهيئات الاجتماعية .

The Sociol System of The Moderm Factory Co-author With J.O. Low. New Haven : Yale University Press, 1947.

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٧ . وقد سبق وأشرنا من قبل إلى أن البيانات الخاصة بهذا الكتاب قد جمعت فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥،

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٧ ، وقد سبق وأشرنا من قبل إلى أن البيانات الخاصة بهذا الكتاب قد جمعت فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥، وكذلك فى خلال عام ١٩٤٥ . ويحتوى هذا الكتاب على دراسة التنظيم الاجتماعى فى المصنع الحديث . وجدير بالذكر أن الكتاب يحتوى على دراسة تحليلية لظاهرة إضراب العمال عن العمل فى المصانع (٢٣) .

---

(٢٣) ذكر الأستاذ و . ل . وورنر (فى خطاب أرسله إلى بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩) أن كتاب *Data Book For the Yankee City Series* لم ينشر بعد .

رابعا ـ عرض لبعض نتائج الدراسة فى يانكى سيتى

(١)

الطبقات الاجتماعية

تبين من الدراسه الميدانية أن مجتمع « يانكى سيتى » ينقسم إلى ست طبقات اجتماعية هى :

١ ـ الطبقة العليا العليا — Upper — upper class
٢ ـ الطبقة العليا السفلى — Lower — upper class
٣ ـ الطبقة الوسطى العليا — Upper—middle class
٤ ـ الطبقة الوسطى السفلى — Lower—middle class
٥ ـ الطبقة الدنيا العليا — Upper — lower class
٦ ـ الطبقة الدنيا السفلى — Lower — lower class

جدول رقم / ٢

النسبة المئوية لتوزيع الأفراد بالطبقات الاجتماعية

الطبقة الاجتماعية	النسبة المئوية
العليا العليا	١،٤٤
العليا السفلى	١،٥٦
الوسطى العليا	١٠،٢٢
الوسطى السفلى	٢٨،١٢
الدنيا العليا	٣٢،٦٠
الدنيا السفلى	٢٥،٢٢
غير معلوم	،٨٤
الجملة	١٠٠ ٪

ويتضح لنا من دراسة الجدول السابق أن الطبقة العليا العليا هى أقل الطبقات الاجتماعية عدداً (١،٤٤ ٪) ؛ كما يتضح لنا أيضاً أن الطبقة الدنيا العليا هى أكثر الطبقات عدداً (٣٢،٦٠ ٪) . ورغماً من أن الارقام بالجدول السابق تبين لنا أن حجم الطبقة ـ بصفة عامة ـ يزداد كلما نزلنا فى السلم الطبقى ، إلا أننا نلاحظ أن توزيع السكان فى الطبقات الاجتماعية لايتخذ شكلا هرميا . فالطبقة الدنيا السفلى ليست هى أكثر الطبقات الاجتماعية عدداً (٢٥،٢٢ ٪) (٢٤) . وجدير بالذكر أن الدراسة الحقلية التى قام بها وورنر وزملاؤه فى « جونزفيل » ، فيما بعد . قد أوضحت لنا أيضا أن توزيع السكان فى الطبقات الاجتماعية هناك لايتخذ شكلا هرمياً (٢٥) .

(٢)

الزواج والأسرة

تبين من الدراسة أن ثلث سكان المدينة ، الذين بلغوا من العمر خمسة عشر عاماً فأكثر ، لم يتزوجوا أبداً .

وبالنسبة لحجم الاسرة ، فقد أوضحت الدراسة أن أسر الطبقة العليا تتسم بصغر حجمها ، فى حين أن أسر الطبقة الدنيا تتسم بكثرة عددها .

وبالنسبة لسن الزوج وسن الزوجة ، فقد أوضحت الدراسة أن غالبية المتزوجين (٧١،٦٧ ٪) من أهل المدينة قد تزوجوا من نساء أصغر منهم سناء بينما بلغت نسبة الرجال الذين تزوجوا من نساء أكبر منهم سنا ١٧،٥٨ ٪ . أما الرجال الذين تزوجوا من نساء من نفس سنهم ، فقد بلغت نسبتهم ١٠،٧٥ ٪ .

(٢٤) Ibid. p. 203

(٢٥) W. L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville* p. p 24—25.

كذلك أوضحت لنا الدراسة أن متوسط السن عند الزواج يزداد كلما ارتفعنا فى السلم الطبقى . فالطبقة العليا العليا هى صاحبة أعلى متوسط للسن عند الزواج، فى حين أن الطبقة الدنيا السفلى هى صاحبة أقـــل متوسط للسن عند الزواج . والأرقام الواردة بالجدول رقم / ٢ توضح لنا ذلك (٢٦) .

جدول رقم / ٢

متوسط السن عند الزواج فى كل طبقة اجتماعية

الطبقة الاجتماعيـــة	متوسط السن عند الزواج (بالسنوات)
العليا العليا	٢٧،٩٠
العليا السفلى	٢٦،٦٠
الوسطى العليا	٢٦،١٠
الوسطى السفلى	٢٥،١٠
الدنيا العليا	٢٤ ٤٠
الدنيا السفلى	٢٣،١٠
للمجتمع بصفة عامة	٢٤،٤٠

(٢٦) *The Social Life of A Modern Community*, p.p. 252-255

(٣)

الصفات الاجتماعية

الخاصة بأفراد الطبقة الدنيا السفلى

ويجد القارىء فى سلسلة « يانكى سيتى » عرضا تفصيليا للصفات الاجتماعية المميزة لكل طبقة اجتماعية ونحن نكتفى هنا بتقديم عرض موجز للصفات الاجتماعية الخاصة بأفراد الطبقة الدنيا السفلى :

تختلف هذه الطبقة عن جميع الطبقات الأخرى من ناحية التقسيم حسب النوع . فقد بلغت نسبة الذكور بها ٥٢،٨٣ ٪ ، بينما نجد أن نسبة الذكور فى جميع الطبقات الأخرى تقل عن نسبة الإناث بها [مثلا : نسبة الإناث فى الطبقة العليا هى ٦٠ ٪ ، وفى الطبقة المتوسطة العليا هى ٥٥ ٪] .

وبالنسبة للأفراد الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ سنة ، فإن هـذه الطبقة هى صاحبة أقل نسبة بين الطبقات جميعا .

وتتسم هذه الطبقة بوجود نسبة كبيرة من الأفراد من الجماعات الإثنية بها . (مثلا : ينتمى كل الزنوج بالمدينة إلى هـذه الطبقة . كما ينتمى ٩/١٠ من جماعـــة البولنديين إلى هذه الطبقة) .

وأفراد هذه الطبقة يتزوجون مبكرا عن غيرهم من أفراد الطبقات الأخرى . وقد بلغت نسبة الزيجات التى تمت فى سن أقل من ٢١ سنة فى هذه الطبقة حوالى ٣٥ ٪ من جملة الزيجات بها .

وتوجد فى هذه الطبقة أعلى نسبة للعمال شبه المهرة والعمال غير المهرة . وتعمل نسبة كبيرة من أفراد هذه الطبقة فى مصانع الأحذية والقبعات وكذلك فى النقل .

(٢٧) Ibid, p. p. 447—450.

وهذه الطبقة هى صاحبة أعلى نسبة للبطالة بين الطبقات جميعا . كما أنها أيضا هى صاحبة أكبر نسبة للأشخاص الذين لديهم عملا بعض الوقت فقط .

ويحصل حوالى ثلث أفراد هذه الطبقة على معونات من مصادر مختلفة . وقد بلغت نسبتهم ٦٥ ٪ من الجملة الكلية للأفراد الذين يتلقون إعانات المدينة كلها .

وتتسم مساكن أفراد هذه الطبقة بارتفاع نسبة المساكن الصغيرة والرديئة . كما أن ثمن مساكن أفراد هذه الطبقة يقل كثيرا عن ثمن مساكن الأفراد بالطبقات الأخرى . ومن ناحية ملكية المسكن فإن قلة ضئيلة (٦ ٪) هى التى تمتلك مسكنا . وفضلا عن ذلك ، فإن إيجارات هذه المساكن هى أقل الإيجارات فى جميع الطبقات . وبالنسبة لموقع مساكن أفراد هذه الطبقة ، فإن الدراسة تبين أن نسبة كبيرة منها تقع فى مناطق سكنية رديئة تمثل منطقة « ريفر بروك Riverbrook » التى تعتبر أحط منطقة سكنية بالمدينة.

وقد بلغت نسبة الأشخاص المقبوض عليهم من أفراد هذه الطبقة بواسطة البوليس ٦٥ ٪ من جملة الأشخاص المقبوض عليهم بالمدينة كلها . كما بلغت نسبة الأشخاص (من أفراد هذه الطبقة) الذين تم القبض عليهم ١١ ٪ من الجملة الكلية لأفراد هذه الطبقة ، تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاما .

وترتفع نسبة الأطفال الذين يعملون من أبناء هذه الطبقة. وينزل الكثير منهم إلى ميدان العمل قبل بلوغ السادسة عشر من عمرهم .

ومن دراسة توزيع المستفيدين بخدمات المكتبات العامة حسب الطبقة ، يتضح لنا أن نسبة ضئيلة تنتمى إلى الطبقة الدنيا السفلى .

خامسا ـ جونزفيل

تقع « جونزفيل Jonesville » فى ولاية « نورث برارى North Prairie » بالولايات المتحدة(٢٨) . وقد أنشئت هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر (٢٩) (سنة ١٨٣٤) . وفى سنه ١٩٤٨ كان عدد سكانها قد بلغ ١٥٠ نسمة . ثم أخذ عدد السكان يزداد بعد ذلك حتى أصبح وقت إجراء البحث ٦,٠٠٠ نسمة تقريبا (٣٠) .

ويوجد بالمدينة مصنع كبير وعدة مصانع صغيرة . وفضلا عن ذلك فهناك أيضا نشاط تجارى ملحوظ . ويوجد بالمدينة كذلك هيئات اجتماعية مختلفة (جمعيات خيرية ، أندية اجتماعية) وقد بلغ عددها ١٧٦ هيئة (٣١) .

وقد انتهت هيئة البحث من الدراسة إلى أن مجتمع « جونزفيل » ينقسم إلى خمس طبقات إجتماعية هى: الطبقة العليا (٣ ٪) ، الطبقة الوسطى العليا (١١ ٪) ، الطبقه الوسطى السفلى (٣١ ٪) ، الطبقة الدنيا العليا (٤١ ٪) ، الطبقه الدنيا السفلى (١٤ ٪). وبذلك تكون الطبقه الدنيا العليا هى أكثر الطبقات عدداً . وبعبارة أخرى ، يلاحظ أن توزيع السكان فى الطبقات الاجتماعية بالمدينة لايتخذ شكلا هرميا ، تماما كما هو الحال فى « يانكى سيتى » (٣٢) .

وكما هو الحال فى « يانكى سيتى » ، نلاحظ أن وورنر قد أمضى عدة سنوات

(٢٨) W. L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville*, p.xv

(٢٩) Ibid, p. 5.

(٣٠) Ibid, p. 267

(٣١) Ibid, p. 115.

(٣٢) Ibid, p.p. 24. 25

فى دراسة هذه المدينة . واشترك معه فريق من الباحثين من تخصصات مختلفة . ومن العلماء الذين اشتركوا معه فى إجراء ذلك البحث نذكر : م . ميكر M. Meeker ، إ . فوجت E. Vogt ؛ و . بالى W. Baily ، ا . هولنزهد A. Hollingshead وجدير بالذكر أن هؤلاء الباحثين قد شاركوا فى البحث الحقلى وكذلك فى كتابة التقرير النهائى البحث . أما وورنر فقد كان مديرا للبحث الحقلى ، كما أنه كان محررا للكتاب أيضا . وفضلا عن ذلك فقد كتب وشارك فى كتابة عدة فصول من الكتاب .

ويحتوى الكتاب على مقدمة وستة عشر فصلا تبحث فى جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية بالمدينة . ومن موضوعات هذا الكتاب نذكر : الطبقات الاجتماعية وكيفية تحديد منزلة الفرد ، الحراك الاجتماعى الصناعة ، الهيئات ، الحرب العالمية الثانية والمدينة . وجدير بالذكر أن وورنر وزملاؤه قد اهتموا بدراسة تاريخ المدينة منذ نشأتها حتى وقت إجراء البحث ؛ وقد خصصوا الفصل الأول من الكتاب لدراسة هذه الناحية .

وكما هو الحال فى يانكى سيتى فقد خلا الكتاب كلية من الصور الفوتوغرافية . وكما هو الحال فى « يانكى سيتى » أيضا ، فإن وورنر وزملاؤه لم يستخدموا الاسم الحقيقى المدينة ، وإنما نجدهم قد استخدموا اسما مستعارا هو « جونزفيل (٢٣) » .

---

(٢٣) فى سنة ١٩٤١ توجه ا . ب هولنزهد Hollingshead A. B إلى « جونزفيل » لدراسة سلوك الشباب فيها . وفى ذلك الوقت أيضا ، كان وورنر وزملاؤه يقومون بأبحاثهم هناك . وجدير بالذكر أن هولنزهد — عند نشر نتائج دراسته عن الشباب فى تلك المدينة — لم يستخدم الاسم المستعار الذى أطلقه وورنر وهو (جونزفيل) ، ولكنه أطلق اسما مستعارا آخر على نفس المدينة هو « إلمتاون Elmtown » . أنظر :
J A. Kahl, *American Class Structure* (Rinehart & Company, Inc., New York, 1957), p. 36.

وهذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن وورنر وزملاؤه لم يضمنوا كتابهم عن « جونزفيل » بيانات تفصيلية عن كيفية إجراء البحث (مثل : مدة الدراسة الحقلية ، تمويل البحث ، وسائل جمع البيانات ، ملاحظات هيئة البحث عن وسائل جمع البيانات ، كيفية التنسيق بين جهود الباحثين) .

سادسا ـ الطبقات الاجتماعية فى يانكى سيتى وجونزفيل

فى بداية البحث فى « يانكى سيتى » كان هناك اعتقاد بأن البناء الاقتصادى هو البناء الأساسى فى المجتمع (٣٤) . ولقد كانت المقابلات الأولى لأفراد فريق البحث تتجه نحو الميل لتأييد هذا الاعتقاد . لكن هيئة البحث سرعان ما تحولت عن هذا الفرض الاقتصادى وأسقطته من حسابها . فقد تبين أن بعض الأفراد كانوا يوضعون فى أسفل السلم الاجتماعى رغم أن لديهم دخلا يزيد على دخل أفراد يوضعون فى درجة أعلى فى السلم الاجتماعى . وعلاوة على ما تقدم ، فقد تبين أيضا أن المنزلة الاجتماعيه للأفراد الذين كانوا يعملون فى مهنة واحدة ، كالطب مثلا ، ليست واحدة . فبينما كان البعض من الأطباء يتمتعون بأعلى منزلة اجتماعية فى المجتمع ، كان هناك أطباء آخرون يوضعون فى منزلة اجتماعية أدنى (٣٥) . ونتيجة للأدلة التى أخذت تتجمع لدى هيئة البحث ، فقد أصبح من العسير عليها أن تتقبل ذلك الفرض الاقتصادى . وإذا كانت الدراسة تبين أن المهنة والثروة تسهمان بنصيب كبير فى تحديد منزلة الفرد الاجتماعية ، فإن الدراسة تبين كذلك أن هناك عوامل أخرى تلعب دورها الهام أيضا فى تحديد

---

(٣٤) *The Social Life of A Modern Community* p. 81

(٣٥) Ibid, p. p 81-82

وقد انتهت هيئة البحث إلى القول بأن المنزلة الاجتماعية للأفراد بالمجتمع. منزلة الفرد الاجتماعية إنما تتحدد نتيجة لمجموعة مختلفة من العوامل مثل التعليم، educatiou المهنة occupation الثروة wealth، الدخل Income، العائلة family الثلة، الهيئات الاجتماعية التى يشترك فيها، الآداب الاجتماعية، نوع المسكن، المنطقة السكنية (٣٦). ومن ثم فإنه ليس من العسير على الباحث أن يحدد منزلة الفرد إذا تمكن من الحصول على بيانات عن هذه العوامل المختلفة.

كذلك إنتهت هيئة البحث إلى التعريف الآتى للطبقة الاجتماعية class : «يقصد بالطبقة الاجتماعية وجود نظامين أو أكثر من الناس، يعتقد أفراد المجتمع المحلى أن أحدهما فى درجة عليا والآخر فى درجة دنيا. وبناء على ذلك، فإن أفراد المجتمع المحلى يعدون أحدهما فى منزلة اجتماعية عليا والآخر فى منزلة اجتماعية دنيا» (٣٧).

كما انتهت هيئة البحث من الدراسة أيضا إلى القول بأن مجتمع «يانكى سيتى» ينقسم إلى ست طبقات إجتماعية هى: العليا العليا، العليا السفلى، الوسطى العليا، الوسطى السفلى، الدنيا العليا، الدنيا السفلى.

وفى سنه ١٩٤٩ ظهر كتاب *Social Class in America*. والغرض من هذا الكتاب هو مد علماء الاجتماع بطريقة وورنر لتحديد المستويات الطبقية فى المجتمع، وكذلك لتحديد الطبقة الاجتماعية الخاصة بالفرد أو الأسرة (٣٨).

ويحتوى هذا الكتاب على شرح لطريقة «المشاركة المقيمة» وطريقة «دليل خصائص المنزلة الاجتماعية». وجدير بالذكر أن هذه الطريقة لدراسة الطبقات

---

(٣٦) Ibid, p. 83

(٣٧) Ibid, p. 82

(٣٨) W. L. Warner and Associates, *Social Class In America* p. 35.

الإجتماعية قد ظهرت من قبل فى صورة مختصرة فى مقال نشره وورنر بعنوان (٣٩):

A Methodology For the Study of Social Class

ومما هو جدير بالذكر كذلك أن وورنر وزملاؤه لم يوضحوا لنا ما إذا كانت هذه الطريقة (طريقة المشاركة المقيمة وطريقة دليل خصائص المنزلة الاجتماعية) قد طبقت بالضبط فى «يانكى سيتى» أم لا. ولكن من الواضح أنها كانت لا تزال فى طور التجربة فى ذلك الحين، ولم تصل إلى هذه الصورة التى نراها فى كتاب *Soical Class in America* إلا نتيجة للدراسة فى «جونزفيل» (٤٠). ويهمنا أن نشير بشىء من الإيجاز إلى طريقة المشاركة القيمة وطريقة دليل خصائص المنزلة الإجتماعية:

طريقة المشاركة القيمة E. P. تهدف هذه الطريقة، التى تتكون من ست أدوات، إلى أكتشاف عدد الطبقات بالمجتمع وإلى تحديد وضع الأفراد أو العائلات فى النظام الطبقى. وتقوم هذه الطريقة على افتراض أن هؤلاء الذين يتفاعلون فى النسق الاجتماعى يقيمون مشاركة الأفراد الذين يعيشون حولهم، وأنهم يستطيعون ترجمة هذه التقيميات للمشاركة الاجتماعية إلى تقديرات الطبقات الاجتماعية. وحينئذ فمن واجب الباحث الحقلى أن يستخدم كل براعته فى فن المقابلة ليستخرج البيانات اللازمة. وهو، بذلك، يساعد الباحث الذى يقوم بتحليل المنزلة الاجتماعية على تحديد عدد المستويات الطبقية الموجودة بالمجتمع وكذلك على تحديد منزلة كل فرد فيه.

---

(٣٩) W. L. Warner " A Methodology For the Study of Secial Class " in *Social Structure* edited by Meyer Fortes, Oxford University Press 1948

(٤٠) Joseph Kahl, *The American Class Structure* p. 33

(٤١) *Social Class in America*, p. p. 35-39

ويؤخذ على هذه الطريقة أنها لا يمكن أن تطبق إلا فى المجتمعات الصغيرة والمتوسطة . فالأفراد فى مثل هذه المجتمعات يعرفون بعضهم بعضا ، وبذلك يمكن الاعتماد على المخبرين فيما يختص بتحديد عدد الطبقات والوضع الطبقى للأفراد فى المجتمع المحلى .

دليل خصائص المنزلة الاجتماعية I. S. C. يقول وورنر أن هذه الطريقة قد صممت لتمدنا بأداة موضوعية لتحديد المستوى الاجتماعى لكل فرد فى المجتمع . وفى بداية البحث فى « جونزفيل » كان الدليل يرتكز على ست خصائص هى : المهنة ، مقدار الدخل ، مصدر الدخل ، التعليم ، نوع المسكن ، المنطقة السكنية (٤٢) . لكن هذا الدليل مالبث أن اقتصر بعد ذلك على أربع خصائص هى : المهنة ؛ مصدر الدخل source of income ، نوع المسكن house type ، المنطقة السكنيه dwelling area (٤٣) .

خاتمة

١ — أشرنا فى الصفحات السابقة إلى أن عالم الانثروبولوجيا الأمريكى و. ل. وورنر قد توجه لدراسة المجتمع البدائى فى أستراليا فى الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٢٩ . كما أشرنا كذلك إلى أنه قد أتجه — بعد عودته من أستراليا — لدراسة المجتمع الحضرى فى الولايات المتحدة .

وإن نظرة واحدة للتغيرات التى حدثت فى ميدان الانثروبولوجيا الإجتماعية خلال الربع الثانى من القرن العشرين لكفيلة بأن توضح لنا بأن ماقام به وورنر (أى دراسة المجتمع البدائى والمجتمع الحضرى) ماهو فى حقيقته إلا تعبير عن اتجاه ظهر فى تلك الحقبة من الزمن . فلقد كان علماء الانثروبولوجيا

(٤٢) Ibid, p. 131.

(٤٣) Ibid, p. 122.

الاجتماعية يقصرون أبحاثهم على المجتمعات البدائية . وحتى عام ١٩٢٥ لم يسمح عالم الانثروبولوجيا الأمريكى فرانز بواس لأحد من تلاميذه بدراسة أى مجتمع غير قبائل الهنود الحمر فى أمريكا (٤٤) ، غير أن هذا الفصل بين دراسة المجتمعات البدائية ودراسة المجتمعات الحضرية لم يدم طويلا . فلقد قام آرنسبرج بدراسة الفلاحين فى جنوب أيرلنده ، كما درس جون إمبرى القرية اليابانية . وأما فى المدن ، فهناك الكثير من الدراسات ، كما تعددت الموضوعات التى طرقها الباحثون . ففى ميدان العلاقات الصناعية فى أمريكا نجد أمثال إلتون مايو ، ج . وست ، و . ل . وورنر . كذلك حظيت دراسة الطبقات الاجتماعية بعناية وورنر وتلاميذه . كما أهتم البحث الانثروبولوجى كذلك بدراسة المشاكل العنصرية . ونخص بالذكر فى هذا المجال ج . دولارد ، س . باترسون . (٤٥) ولا يفوتنا أن نشير هناك أيضا إلى دراسة روبرت لند وهيلين لند « ميدلتاون » .

لم يكن إذا وورنر — حينما قام بدراسته للمجتمع البدائى والمجتمع الحضرى فى أمريكا — إلا ممثلا لاتجاه ظهر فى ميدان الانثروبولوجيا الاجتماعية بل ولقد كان هو نفسه من العوامل الفعالة التى ساهمت فى إحداث ذلك التغيير . ولقد أشار وورنر كثيرا بأن عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية يدرس المجتمعات البدائية وكذلك المجتمعات الحضرية .

° ° °

٢ — لكن انتقال العلماء لدراسة المجتمعات الحضرية قد قابلته عدة صعاب.

(٤٤) S.T. Kimball., Problems of Studying American Culture. *American Anthropologist*, (1955). p. 1132.

(٤٥) "Social Anthropolgy" in *Encyclopaedia Britannica*, (15 th edition, 1954). p. 863.

فالمجتمع الأمريكى بضخامته وتعقد الحياة فيه يسبب الباحث كثيرا من المتاعب لا يمكن مقارنتها بما يوجد عند دراسة لقبيلة بدائية .

ولقد أدت هذه الضخامة وهذا التعقيد فى المجتمع الأمريكى إلى إدخال وسائل جديدة خاصة بالبحث الأنثروبولوجى . فلم يكن من الممكن أن يذهب وورنر وحيدا ليبحث فى « يانكى سيتى » أو فى « جونزفيل » ، وكان لزاما عليه أن يتجه إلى نظام « بحث الفريق » . وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة . فلقد كانت الدرسات الحقلية التقليدية فى ميدان الأنثروبولوجيا لا تشتمل إلا على القليل من البيانات الإحصائية . ولقد تنبه علماء الأنثروبولوجيا فى العصر الحديث إلى هذا النقص . وكان Kluckhohn من الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى هذه الناحية . ولم يتخلف وورنر فى هذا المضمار . فنحن نجده يضمن تقاريره كثيرا من البيانات الإحصائية . كما أنه قد ابتكر طريقة إحصائية (طريقة دليل خصائص المنزلة الاجتماعية I. S. C)لدراسة التوزيع الطبقى فى المجتمع .

ومن مشكلات انتقال علماء الأنثروبولوجيا لدراسة المجتمع الأمريكى يهمنا أن نشير إلى التكاليف الباهظة والوقت الطويل اللازم لإجراء تلك البحوث . ويكفى أن نشير هنا إلى أنه قد مرت فترة تزيد على عشر سنوات بين بداية البحث الحقلى فى « يانكى سيتى » ونشر أول تقرير عن تلك الدراسة .

° ° °

٣ — يقول وورنر أنه بعد عودته من استراليا أخذ يبحث عن مجتمع أمريكى لدراسته مستخدما نفس الأدوات التى سبق استخدامها فى أستراليا . وفى تلك المرحلة بالذات ، أى فى عام ١٩٣٠ تقريبا ، نجد أن « إلتون مايو » يساهم معه فى أبحاثه . والملحوظ أنه رغما من اعتقادهما التام بأن المدينة الكبيرة

هى البيئة الاجتماعية المثلى للصناعة الحديثة، إلا أنهما قد شعرا بأن دراسة المدينة الكبيرة ، ككل ، من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الاجتماعية كان مشكلة ليس من الهين التغلب عليها سواء من ناحية أدوات البحث أو من الناحية المالية . وبناء عليه فقد بدا لهما أنه من الحكمة أن يتم اختيار مجتمع صغير حتى يمكن تطبيق مناهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية (مثل يانكى سيتى وجونزفيل) . ويرى جوزيف كهل أن اتجاه وورنر إلى التركيز على دراسة المجتمعات الصغيرة والمتجانسة قد يكون اتجاها عمليا يتلاءم وأغراض البحث عند استخدام أدوات الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ولكنه يعتبر — من الناحية النظرية — أمرا له خطورته . فهذه المجتمعات الصغيرة لا تمثل كل أمريكا . رغما من الحقيقة بأن قسما كبيرا من سكان الولايات المتحدة يعيش فى أماكن يقل عدد السكان بها عن ٢٥٫٠٠٠ نسمة (٤٦)

(٤٦) Joseph Kahl, *The American Class Stucture*, p. 22.

الفصل السادس عشر

دراسة المجتمعات البدائية والحقلية والحضرية

سبق أن ذكرنا أن الانثروبولوجيا الاجتماعية علم حديث ؛ وأنها لم تظهر إلا فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا . كما أشرنا كذلك إلى أن النصف الثانى من القرن التاسع عشر قد شاهد كتابات عديدة عن مناطق مختلفة من العالم قدمها لنا الرحالة والمبشرون ورجال الادارة والتجار. وقد كان الكثير من هذه الدراسات يتسم بالسطحية ، بينما كان البعض الآخر منها يتسم بالدقة والامانة. ولقد كان نتيجة لعدم اهتمام العدد الأكبر من علماء النصف الثانى من القرن التاسع عشر بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم، أننا نجد أن الدراسات الحقلية التى قام بها هؤلاء العلماء كانت قليلة. فهناك دراسة مورجان (الايروكوا) ودراسة بواس (الاسكيمو) ودراسة بعثة جامعة كمبردج (جزر مضايق توريس) .

ومنذ بداية القرن العشرين ، نلاحظ أن كثيرا من العلماء قد نزلوا إلى الميدان ، وقاموا بدراسات حقلية عديدة عن المجتمعات البدائية . ومن الأمثلة

على ذلك نذكر دراسة ريفرز (التودا) ودراسة راد كليف براون (الأندمان) ودراسة سلجمان (قبائل جنوب السودان) ودراسة مالينوسكى (التروبرياند) ودراسة إيفانز بريتشارد (الآزاندى والنوير) ودراسة ريموند فيرث (تيكوبيا) ودراسة بريستيانى (الكبسيجس) ودراسة فورتس (التالنسى) ودراسة وورنر (المورنجن) .

ولكن : ماهى الأسباب التى دعت علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية ؟

يرى مالينوسكى أن الشعوب البدائية تتغير بسرعة ، ومن ثم فإنه يجب على العلماء أن يسارعوا إلى دراستها قبل فوات الأوان . وهو يرى أن ذلك له فائدته من الناحيتين العلمية والعملية :

« The study of the rapidly vanishing savage races is one of those duties of civilization-now actively engaged in the destruc- tion of primtive life-which so far has been lamentably neglected. The task is not only of high scientific and cultural importance, but also not devoid of considerable practical value, in that it can help the white man to govern, exploit and "improve" the native with less pernicious results to the latter ».

(*B. Malinowski, Crime and Custom in Savage society p. xi*).

ويرى وورنر أن المجتمعات البدائية تعتبر بالنسبة للأنثروبولوجى الاجتماعى بمثابة المعمل الذى يمكن أن يختبر فيه أفكاره وطرائقه فى البحث الاجتماعى :

« The more simple types of Communities with their smaller populations, less numerous social institutions, less complex ideational and technical systems, provide the social anthropologist with the equivalent of a laboratory wherein to test his ideas and research techniques. By investigations of these simple societies he is able to equip himself better for the analysis of more Complex forms of human society » . (W. L. Warner, *The Social Life of A Modern Community*, p. 3) .

كما يذكر لنا إيفانز بريتشارد أن هناك عوامل مختلفة قد دفعت العلماء إلى تركيز جهودهم لدراسة المجتمعات البدائية . فقد اهتم بدراستها علماء القرن التاسع عشر لاعتقادهم بأن ذلك سوف يساعدهم في بحوثهم عن أصل النظم الاجتماعية ، كما اهتم بها البعض الآخر من العلماء لاعتقادهم بأنها تعرض النظم الاجتماعية في أبسط أشكالها ، وأن المنهج السليم يوجب البدء بدراسة النظم الأكثر بساطة ثم الانتقال بعد ذلك لدراسة النظم الأكثر تعقيدا . وعلاوة على ما تقدم ، فإن المجتمعات البدائية تتغير بسرعة ، ومن الواجب دراستها قبل فوات الأوان (١) .

* * *

إلا أننا نلاحظ أن العلماء قد اتجهوا — خلال الربع الثاني من القرن العشرين — إلى عدم قصر مجال دراستهم على المجتمعات البدائية . ففي سنة ١٩٢٩ نجد أن

---

(١) E. E. Evans - Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays* (The Free Press, New York, 1966). pp 8—9.

و . ل وورنر ينادي بأن مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعيـــة يشمل المجتمعات البدائية والمجتمعات القروية والحضرية . ومما هو جدير بالذكر أن وورنر قد قام فعلا بدراسة مجتمع بدائي في استراليا (٢٦ — ١٩٢٩) ؛ كما درس أيضا مجتمعا حضريا في أمريكا بعد عودته من استراليا . وفي سنة ١٩٤٤ نجد أن راد كليف براون يقرر أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا تقصر مجال دراستها على المجتمعات البدائيـة فقط ، بل إنها تدرس كل المجتمعات الإنسانية . كما نجد أيضا أن إيفانز بريتشارد يؤكد لنا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس كل المجتمعات الإنسانية :

« But though we give chief attention to primitive societies I must make it clear that we do not restrict our attention to them. In America, where social anthropology is better represented in the universities than in the British Empire; a number of important studies of more advanced societies have already been made by American or American - trained anthropologists — in Ireland, in Japan, in China, in Mexico, in Canada, and in the United States itself » . (٣)

ومن الأمثلة على الدراسات التي قام بها العلماء في المجتمعات القروية والحضرية نذكر دراسة جون إمبري (سوهي مورا) ودراسة آرنسبرج للفلاحين في أيرلندة ودراسة (شامبريت) ودراسة روبرت لند وهيلين لند (ميدلتاون) ودراسة وورنر وزملاؤه (يانكي سيتي) .

---

(٣) E.E. Evans - Pritchard, *Social Anthiopology and Other Essays*, (The Free press, New York, 1966) p.p. 9.10.

وهذا ويهمنا أن نشير إلى أن انتقال العلماء للدراسة فى هذا الميدان الجديد له مزاياه . ومن ذلك نذكر :

١ — **اللغة** : تحتاج الدراسة فى المجتمعات البـدائية ، فى الأغلب ، إلى دراسة لغات غريبة بالنسبة للباحث .ولم يكن ذلك أمرا هينا فى جميع الأحوال.

٢ — **مشقة السفر والاقامة** : وهناك أيضا مشقة السفر إلى تلك المناطق البدائية النائية ثم الإقامة فى ظروف قد تختلف كثيرا عن موطن الباحث من حيث الحالة الصحية أو من الناحية الجغرافية. وقد أوضحت لنا الدراسة كذلك أن بعض الباحثين قـد عانوا كثيرا من شعـور الأهالى بالتعالى أو بالكراهية نحوهم . (مثل إيفانز بريتشارد فى مجتمع النوير) .

٣ — **الوثائق والاحصاءات** : يستطيع الباحث الانثروبولوجى فى مجتمعنا الحديث أن يستمد الكثير من المعلومات من الوثائق والإحصاءات الموجودة (مثل كتب التاريخ — السجلات الحكومية — تعدادات السكان . . . الخ). وهذه الوثائق والإحصاءات تساعده فى تكوين الصورة السليمة لموضوع دراسته، كما أنها تساعده ، أيضا ، فى عقد مقارنات بين ماضى ذلك المجتمع وحاضره . أما فى المجتمعات البدائية ، فالباحث عادة كان يعمل دون أن تكون لديه سجلات عن الماضى أو إحصاءات صالحة عن الحاضر .

٤ — **الاستعانة بالمتخصصين** : فى المجتمعات الحضرية ، يستطيع الباحث أن يرجع إلى المتخصصين (رجال الاقتصاد أو رجال القانون مثلا) لاستشارتهم أو لإشراكهم معه فى أبحاثه . أما فى المجتمعات البدائية ، فإن ذلك كان يعتبر أمرا عسيرا .

كما يهمنا أن نشير كذلك إلى أن العلماء الذين انتقلوا لدراسة المجتمع الحديث قد قابلتهم مصاعب جمة نذكر منها : ضخامة المجتمع من الناحية العددية ، عدم التجانس ، وجود تراث مكتوب ضخم ووسائل اتصال عديدة (مثل الراديو والتليفزيون والسينما والصحافة) ، التقدم التكنولوجى . ولقد أدت هـذه الضخامة فى العدد وهذا التعقيد إلى إدخال وسائل جديدة خاصة بالبحث الانثروبولوجى. فهناك ، مثلا ، نظام بحث الفريق (مثلا فى ميدلتاون ويانكى سيتى) . ولما كان الفريق يحتاج إلى الإقامة فى مجتمع البحث ، فإن الأمر قد أصبح يتطلب تمويلا كبيرا .

الفصل السابع عشر

ملاحظات عن البحث الحقلى

١ ــ تمويل البحوث .

٢ ــ مدة الدراسة الحقلية .

٣ ــ إيضاح الظروف التى أحاطت بإجراء البحث .

٤ ــ الإطلاع على الدراسات السابقة .

٥ ــ اختيار المخبرين .

٦ ــ الملاحظة بالمشاركة .

٧ ــ الجمع بين المقابلة والملاحظة .

٨ ــ تسجيل الملاحظة والمقابلة .

٩ ــ الصور الفوتوغرافية .

١٠ ــ الاستخبار .

١١ ــ دراسة سلاسل الأنساب .

١٢ ــ اللغة كأداة البحث الحقلى .

١٣ ــ البيانات الإحصائية .

١٤ ــ بحث الفريق .

١٥ ــ خاتمة ومقترحات .

(١)

تمويل البحـوث

تبين لنا من الدراسة أن هناك مصادر مختلفة لتمويل البحوث ؛ ومن هذه المصادر نذكر : الحكومات ، الهيئات العلمية ، الأفراد . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : حكومة السودان (أبحاث سلجمان وإيفانز بريتشارد فى جنوب السودان) وحكومة استراليا (ساهمت فى دراسة مالينوسكى فى جزر التروبرياند) ، والمجلس القومى للبحوث فى استراليا (دراسة ريموند فيرث فى جزيرة تيكوبيا) والمعهد الدولى للغات والثقافات الإفريقية (دراسة فورتس عن التالنسى) ؛ الجمعية الملكية فى بريطانيا (ساهمت فى تمويل بحث إيفانز بريتشارد عن الأزاندى). ومن الأفراد الذين ساهموا فى تمويل البحوث الحقلية نذكر سلجمان (ساهم فى بحث مالينوسكى عن جزر التروبرياند) ووالد بريستيانى (دراسة بريستيانى عن الكبسيجس فى كينيا) .

(٢)

مدة الدراسة الحقليـة

تدلنا الدراسة على أن الفترة التى كان يقضيها الباحث الحقلى فى مجتمع البحث قد اختلفت من باحث إلى آخر . فأعضاء بعثة جامعة كمبردج (مضايق توريس) وريموند فيرث (تيكوبيا) و ف . بواس (الاسكيمو) قد قضوا فى مجتمع البحث مدة عام واحد فقط . فى حين أن إيفانز بريتشارد قد قضى فترة عشرين شهرا بين الأزاندى فى جنوب السودان . أما مالينوسكى فقد قضى سنتين فى جزر التروبرياند .

ومما لاشك فيه أن مدة البحث الحقلى تتوقف على عوامل كثيرة ، نذكر منها : طبيعة الموضوع الذى يتناوله الباحث بالدراسة ، حجم المجتمع المراد دراسته ، الدراسات التى سبق إجراؤها عن منطقة البحث ، شخصية الباحث وخبرته الحقلية ، مدى معرفة الباحث بلغة الأهالى ، درجة تقبل المجتمع الباحث الحقلى . ونحن نعتقد أن الاتجاه إلى نظام « بحث الفريق » فى ميدان الدراسات الانثروبولوجية سوف يكون له أثره فى العمل على تقصير فترة البحث الحقلى .

وجدير بالذكر أن البعض من العلماء كانوا يقضون فترة البحث الحقلى كلها بالمنطقة دون أن تتخللها فترة أو فترات يغادرون خلالها منطقة البحث . بينما نجد أن البعض الآخر من العلماء كانوا يغادرون منطقةالبحث بعدفترة من بداية البحث الحقلى ويقيمون - فى أوطانهم مثلا - فترة معينة ثم يعودون إلى منطقة البحث مرة ثانية. فمثلا نجد أن إيفانز بريتشاردقد أجرى بحثه فى بلاد الأزاندى (١٩٢٦ — ١٩٣٠).وقد قام بثلاث بعثات إلى هناك خلال تلك الفترة . وهو يذكر لنا أنه كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى تحليل المادة التى جمعها من الميدان واستشارة العلماء للاستفادة بآرائهم . ومن العلماء الذين استشارهم نذكر سلجمان وشابيرا وفورتس . ونحن نعتقد أن الطريقة الثانية لها مزاياها العديدة. فالباحث الحقلى يمكنه - خلال الفترة التى يقضيها بعيدا عن منطقة البحث - أن يقوم بدراسة وتحليل المادة التى جمعها من الميدان . كما أنه يمكنه أن يطلع على أحدث الدراسات فى مجال تخصصه وذلك للاستفادة منها سواء من ناحية المنهج أم من ناحية المعلومات . وفضلا عن ذلك ، فإنه يمكنه مناقشة مادته العلمية التى جمعها من الميدان فى حلقات بحث فى الهيئات العلمية فى مجال تخصصه (أقسام

الأنثروبولوجيا مثلا) . فمثل هذه المناقشات من جانب المتخصصين قد تؤدى إلى إظهار النقص أو الثغرات فى المعلومات التى جمعها الباحث فى الميدان ، كما أنها قد تؤدى إلى إثارة قضايا جديدة ذات فائدة للبحث بصفة عامة .

(٣)

إيضاح الظروف التى أحاطت بإجراء البحث

خصص مالينوسكى فى كتابه « أرجونوتس » (الذى ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢) مقدمة Introduction بعنوان :

The Subject, Method, And Scope Of This Inquiry.

شرح لنا فيها الظروف المختلفة التى أحاطت بإجراء البحث فى جزر التروبرياند (مثلا : البدايات الأولى لفترة البحث والصعوبات التى واجهت الباحث — اللغة — وجهة نظره فى آراء المستوطنين البيض عن سكان جزر التروبرياند — الإقامة الدائمة فى مجتمع البحث . . . الخ) . وهو يذكر لنا أن العادة قد جرت بالنسبة لكثير من العلوم ، كالكيمياء والفيزياء مثلا ، على أن يقدم لنا الباحث التفاصيل الخاصة بترتيبات تجربته التى قام بها فى المعمل قبل أن يعرض لنا نتائجه التى توصل إليها . فهو ، مثلا ، ينبغى عليه أن يقدم لنا وصفا دقيقا للأجهزة التى استخدمهافى إجراء تجربته ، كيفية إجراء الملاحظة observation ، عدد مرات الملاحظة ، الزمن الذى استغرقته . . . الخ . أما فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية — حيث الحاجة أشد لمثل هذه البيانات — فإن ذلك ، لسوء الحظ ، لم يتحقق دائما فى الماضى بالدرجة المرجوة فى كتابات كثير من الباحثين (١) .

---

(١) B. Malinowski, *Argonauts Of The Western Pacific*, 1961, p.p.1-25.

ويقول ريموند فيرث (وهو من تلاميذ مالينوسكى) أن الباحثين الحقليين المحدثين فى ميدان الانتروبولوجيا الاجتماعية يتفقون فيما بينهم على ضرورة تخصيص جزء من التقرير النهائى للبحث لوصف الوسائل التى تم بواسطتها جمع المعلومات . فهو يرى أن الباحث الحقلى ينبغى عليه أن يوضح لنا النقاط الآتية:

ما مدى علاقة الباحث بالمستوطنين من الاوربيين ؟ هل كان يعيش فى عزلة تامة عنهم ؟ أم أنه كان على اتصال يومى بهم ؟ .

ما هى اللغة التى كان يستخدمها الباحث فى تخاطبه مع الأهالى ؟ هل استخدم لغة الأهالى أنفسهم ؟ هل استخدم pidgin - English ؟ أم هل اعتمد على المترجمين ؟

ما مصدر المعلومات التى ذكرها الباحث فى تقريره ؟ رواية شاهد عيان eye — Witness ؟ خبر سمعه أحد المخبرين ؟ أم أنها ملاحظة شخصية للباحث نفسه Personal observation ؟ .

كذلك ينبغى على الباحث أن يوضح لنا أيضا ما إذا كانت النظم التى يتحدث عنها فى تقريره لاتزال موجودة أم أنها قد اندثرت وأصبحت غير موجودة وقت إجراء البحث .

وعلاوة على ماتقدم فإنه ينبغى عليه أيضا أن يوضح لنا مدى الأمثلة التى اعتمد عليها لكى يصل إلى تعميماته generalizations التى ذكرها فى تقريره (٢) .

كما أننا نجد أن وورنر وزملاؤه قد خصصوا فصلين فى أول كتاب ظهر فى سلسلة . يانكى سيتى ، أوضحوا لنا فيه الإطار النظرى للبحث وكذلك الأدوات التى تم استخدامها لجمع المعلومات أثناء فترة البحث الحقلى . ذلك أن القارىء — كما يقول وورنر وزملاؤه — لن يتمكن من فهم نتائج الدراسة

(٢) R. Firth, *We, The TiKopia*, (Second Edition 1657) p. 3·

أو يقدر قيمتها إلا إذا تعرف بكل وضوح على كل الظروف التى أحاطت بإجراء البحث (٣) .

* * *

والذى لاشك فيه أن قيام الباحث بإيضاح الظروف المختلفة التى أحاطت بإجراء البحث ، سوف يساعدنا كثيرا فى فهم وتقييم لنتائجه النهائية التى توصل إليها . ومن ثم فإننا ننصح الباحثين بصفة عامة أن يخصصوا جزءا من تقريرهم النهائى للبحث لهذا الغرض . ومن النقاط التى ينبغى أن يشتمل عليها هذا الجزء نذكر : فروض البحث ، الإطار النظرى للبحث ، كيفية اختيار مجتمع البحث ، مجال البحث ، مدى تقبل مجتمع البحث للباحث : فتور ؟ عدم اكتراث ؟ ، العوامل التى ساعدت على تسهيل مهمة الباحث ، العوامل التى جعلت مهمة الباحث صعبة ، المراحل المختلفة التى مر بها البحث ، الوسائل التى اعتمد عليها الباحث لجمع البيانات ورأيه الشخصى فى مدى إمكان الاعتماد عليها (مثلا : اللغة : لغة الأهالى ؟ الاعتماد على المترجمين ؟ وفى حالة تصميم استخبار لجمع المعلومات فى مجتمعنا المصرى : ماهى اللغة التى استخدمها الباحث ؟ اللغة العربية ؟ اللغة العامية ؟ وفى حالة استخدام اللغة العامية توضح الاسباب) .

كما أننا ندعو الباحثين أن يسجلوا لنا فى تقاريرهم أيضا اعترافاتهم الكاملة بالأخطاء التى وقعوا فيها أثناء إجراء البحث الحقلى حتى يمكن أن يتجنبها من يأتى بعدهم من الباحثين .

(٣) W. L. Warner And P S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, (New Haven, Ninth printing 1935), pp· 8—75.

(٤)

الاطلاع على الدراسات السابقة

تدلنا الدراسة على أن العلماء (مثل بواس وراد كليف براون ومالينوسكى . الخ) قد قاموا بالرجوع إلى الدراسات السابقة (مثل كتابات رجال الإدارة والمبشرين والعسكريين . . الخ) . فمثلا نجد أن سلجمان وزوجته قد رجعا إلى ماكتبه المبشرون ورجال الإدارة فى جنوب السودان . كما أننا نجد أن مالينوسكى قد رجع إلى ماكتبه سلجمان عن منطقة بحثه (جزر التروبرياند) . أما ريموند فيرث (جزيرة تيكوبيا) فهو يذكر لنا أنه قد إطلع على مذكرات أحد المبشرين عن الجزيرة . كما أنه قد إطلع أيضا على ماكتبه ريفرز **Rivers** عن جزيرة تيكوبيا ، ووجه إليه نقدا شديدا . فلقد تبين فيرث أن ريفرز لم يمكث فى منطقة البحث إلا يوما واحدا ؛ كما أنه قد حصل على معلوماته كلها تقريبا من مخبر واحد فقط . وكان ذلك المخبر أجنبيا عاش فى الجزيرة لمدة عشرين سنة . وأما بالنسبة للغة البحث ، فقد استخدم ريفرز **lingua franca** . كذلك لم يقم ريفرز بأية محاولة لمراجعة معلوماته عن طريق الملاحظة المباشرة . ونتيجة لكل ذلك ، فقد خلص فيرث إلى القول بأن معلومات ريفرز تتسم بأنها غير صحيحة بالنسبة لكثير من عادات الأهالى (٤).

* * *

(٤) **R. Firth, *We, The Tikopia* (London, Second edition, 1957), p xxiv**

ومن ثم ، فإنه ينبغى على الباحث الحقلى — قبل التوجه إلى منطقة البحث — أن يتعرف على الدراسات السابقة عن موضوع بحثه . فإذا كانت هذه الدراسات كافية وصحيحة فإنها توفر وقته وجهده . كما أنها سوف تساعده أيضا فى مراجعة ملاحظاته الحقلية . أما إذا كانت هذه الدراسات غير كافية أو ناقصة ، فإن الباحث يوجه انتباهه إلى الحقائق التى أهملها أو التى أساء فهمها من سبقه من الباحثين (٥).

(٥)

اختيار المخبرين

كلمة « مخبر » هى الترجمة العربية للكلمة الانجليزية **iformant** . والمقصود بالمخبر هو الشخص الذى يقدم المعلومات إلى الباحث الحقلى . هذا وتدلنا الدراسة على أن العلماء قد اعتمدوا ، أثناء دراساتهم الحقلية ، على المخبرين كوسيلة هامة من وسائل جمع المعلومات (مثلا للحصول على معلومات عن المجتمع فى الماضى - لدراسة الأساطير — فى الحالات التى تتعذر فيها الملاحظة — لمراجعة المعلومات التى تم جمعها عن طريق الملاحظة) . فمثلا ، نجد أن بواس ، أثناء دراسته الحقلية للاسكيمو فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كان يقابل المخبرين المسنين للحصول على معلومات عن حالة المنطقة فى السنوات السابقة على قدوم الصيادين إليها . كذلك نجد أن راد كليف براون قد اعتمد

(٥) ***Notes And Queries On Anthropology*** **(Sixth edition, 1951) p, 28.**

على المخبرين عند دراسته الأساطير فى جزر الأندمان . ويذكر لنا إيفانز بريتشارد أنه قد اعتمد على المخبرين لدراسة طريقة جمع السم العراف فى الكونغو . فهو يقول أنه كان ينوى أن يسافر إلى الكونغو لملاحظة ذلك بنفسه ، إلا إن المرض الشديد الذى أصابه قد حال دون إتمام ذلك . ومن ثم فقد اعتمد على أقوال المخبرين من الأهالى . وفضلا عما تقدم فنحن نجد أن الكثير من العلماء قد اعتمدوا على المخبرين لمراجعة المعلومات التى قاموا بجمعها عن طريق الملاحظة .

وهناك عوامل مختلفة يضعها العلماء فى اعتبارهم عند اختيارهم للمخبرين . ومن هذه العوامل نذكر : الذكاء ، الذاكرة القوية ، مقدرة المخبر على التخاطب بلغة الباحث ، درجة التعليم ، المعرفة أو الخبرة الخاصة نتيجة السن أو المنزلة الاجتماعية أو الحرفة .

وينبغى على الباحث — كلما أمكن ذلك — أن يحصل على معلوماته مباشرة من المتخصصين specialists من أفراد المجتمع (مثـلا : رجال الدين ، صانع الأمطار — الخ) . فمثلا ، نجد أن إيفانز بريتشارد (أثناء دراسته الأزاندى) يحصل على معلومات عن الرحلات التى يقـوم بها الأهالى لجمع «البنجى» من الكونغو من مخبر «له خبرة طويلة بإعداد مثل هذه الرحلات» .

وينبغى على الباحث كذلك — عند حصوله على معلومات من أحـد المخبرين — أن يرجع إلى عدد من المخبرين لمناقشتهم فى هذه المعلومات . ذلك

أن المخبر الواحد قد يتجه — عمدا أو بدون قصد — إلى خداع وتضليل الباحث الحقلى . ونحن نرى أن توجيه الأسئلة إلى عدد من المخبرين له أهميته ليس فقط من ناحية مراجعة دقة المعلومات ، بل وأيضا من ناحية التعرف على الآراء المختلفة عن حوادث معينة تقع فى المجتمع . فالباحث مثلا ، يجد اختلافا فى الآراء بين الرجال والنساء أو بين المسنين والشباب أو بين الزعماء وعامة الشعب . وجدير بالذكر أن ريموند فيرث — بعد أن إطلع على ماكتبه ريفرز عن جزيرة تيكوبيا — قد وجه إليه نقدا شديدا لأنه قد حصل على كل معلوماته تقريبا من مخبر واحد فقط .

وجدير بالذكر أن البعض من العلماء قد قاموا بنشر أسماء من تعاونوا معهم من المخبرين حتى يستطيع من يأتى بعدهم من الباحثين الرجوع إلى هؤلاء المخبرين فمثلا نجد أن إيفانز بريتشارد قد ذكر لنا أسماء المخبرين الذين أمدوه بالمعلومات فى بلاد الأزاندى . كما أنه قد قدم لنا أيضا صورتين فوتوغرافيتين لاثنين من المخبرين (فى كتابه الذى نشره عن الأزاندى لأول مرة سنة ١٩٣٧) .

(٦)

الملاحظة بالمشاركة

تدلنا الدراسة على أن استخدام أسلوب الملاحظـة بالمشاركة participant observation بواسطة العلماء قد شاع استخدامه لدراسة المجتمعات البدائية والقروية والحضرية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر مالينوسكى (جزر التروبرياند) ، وروبرت لند وهيلين لند (فى ميدلتاون بالولايات المتحدة) ، ووورنر وزملاؤه (فى يانكى سيتى بالولايات المتحدة) .

والملاحظ المشارك participant observer هو باحث يقوم بمشاركة أفراد المجتمع الذين يلاحظهم فى أنشطتهم بهدف البحث العلمى (مثلا : يدخل السجن لدراسة المسجونين ، أو يلتحق بالعمل فى أحد المصانع لدراسة سلوك العمال وقت العمل وفى وقت الفراغ) . وقد يفصح الباحث عن شخصيته لأفراد مجتمع البحث ، كما أنه قد يخفى ذلك عنهم طوال فترة البحث الحقلى .

يقول مالينوسكى :

«While engaged in my field—work in the Trobriands, I used always to live right among the natives, pitching my tent in the village, and being thus forcibly present at all that happened, trivial or Solemn ».

B. Malinowski, *Crime and Custom in Savage Society*, (London, 1940), p. p. 76—77.

ويقول مالينوسكى أيضا :

« ... it is good for the ethnographer sometimes to put aside camera, note book and pencil, and to join in himself in what is going on. He can take part in the natives' games, he can follow them on their visits and walks, sit down and listen and share in their conversations ».

B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific*, p. 21.

وهناك عوامل مختلفة تحول دون مشاركة الباحث الحقلى مشاركة كاملة .

ومن هذه العوامل نذكر : الخلفية الثقافية للباحث Cultural background

عمر الباحث age النوع sex . فمثلا إذا كان أفراد مجتمع البحث يبدون احتراما كبيرا نحو المسنين ، فإن الباحث الحقلى الشاب سوف يكون من الصعب عليه أن يحظى بدرجة كبيرة من المكانة مهما كان محبوبا من جانب أفراد ذلك المجتمع . كذلك فإن الباحث — إذا كان من الذكور — لن يتمكن من المشاركة الكاملة فى حياة النساء . وبالمثل أيضا فإن الباحثات تتمكن من المشاركة مشاركة كاملة فى حياة الرجال . ولهذا السبب فإننا نرى أن اشتراك باحث وباحثة لدراسة المجتمع يعتبر أمرا له مزاياه العديدة فى هذه الناحية . ولدينا أمثلة عديدة على ذلك ، نذكر منها : دراسة ريموند فيرث وزوجته (التلابيد) ودراسة جون إمبرى وزوجته (سوهى مورا باليابان) ودراسة مرجريت ميد وفورشن Fortune (غينيا الجديدة) . فمثلا تذكر لنا مرجريت ميد أن فورشن قد ساعدها فى الحصول على كثير من المعلومات عن جوانب الحياة الخاصة بالرجال فى تلك المنطقة والتى يتعذر على المرأة أن تحصل عليها لدراستها .

ومن مخاطر الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع المعلومات أن الملاحظ قد يوثق صلته ، بدرجة كبيرة جدا ، بجماعة معينة فى المجتمع(٦) (مثلا : طبقة إجتماعية معينة) . وقد يؤدى ظهوره بهذا المظهر إلى وضع الكثير من العقبات فى طريقه إذا ما أراد أن يحصل على المعلومات من أفراد الطبقات الإجتماعية الأخرى الموجودة فى المجتمع . ومن ثم فإنه ينبغى على الباحث الحقلى أن يبتعد عن الخصومات الحزبية بين أفراد المجتمع إذا أراد أن يضمن تعاون مختلف الجماعات معه فى دراسته .

---

(٦) Ralph Piddington, *An Introduction To Social Anthropology*, Volume Two, 1957, p. 549.

(٧)

الجمع بين المقابلة والملاحظة

ينبغى على الباحث ، كلما أمكن ذلك ، أن يجمع بين المقابلة والملاحظة . فالملاحظة observation يمكن استخدامها لمراجعة المعلومات information التى حصل عليها الباحث أثناء المقابلة. كما أنه يمكن استخدام المقابلة interview للحصول على معلومات عن بعض الحقائق التى قام الباحث بملاحظتها . ومن العلماء الذين كانوا يجمعون بين الملاحظة والمقابلة أثناء إجراء دراساتهم الحقلية نذكر ب . مالينوسكى (جزر التروبرياند) ، نادل (النوبى) ، و . ل . وورنر (يانكى سيتى) . يقول وورنر :

« The virtues of a combination of interview and observation are manifold When these two techniques are used to check each other, they unquestionably yield the most valuable insight into the life of a community(٧)».

وفيما يلى أحد الأمثلة لإيضاح كيفية الجمع بين الملاحظة والمقابلة :

«يقوم بعض أفراد إحدى القبائل الاسترالية بالرقص والغناء تحت قيادة أحد زعمائهم ؛ وذلك بعد طلاء أجسامهم بطلاء معين» . ولدراسة ذلك الاحتفال ، ينبغى على الباحث الحقلى fieldworker أن يراعى الآتى :

---

(٧) W. L. Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, p. 54.

١ ـ قبل الاحتفال ، يقوم الباحث بمقابلة الأفراد الذين سيشاركون فيه the participants ، وذلك بغرض الحصول منهم على صورة ما سوف يحدث أثناء الاحتفال . (وصف النمط المثالى المتوقع السلوك : حركاتهم الجسمية ــ كلمات الأغنية ــ العلاقات بين الكلمات وما يقومون بعمله .. الخ) .

٢ ـ أثناء الاحتفال ، يقوم الباحث بالملاحظة وتسجيل كل مايشاهده أمامه .

٣ ـ بعد انتهاء الاحتفال ، يقوم الباحث بمراجعة كل ماحدث أثناء الاحتفال مع الأفراد الذين شاركوا فيه ، وكذلك مع غيرهم من أفراد المجتمع .

وبهذه الطريقة تتجمع لدى الباحث معلومات عن الصورة التى يتخيلها الأفراد عن الاحتفال قبل إجرائه ، ملاحظات الباحث نفسه عن الاحتفال ، أقوال المخبرين عن الاحتفال بعد الانتهاء منه (٨) .

* * *

هذا ويهمنا أن نشير هنا إلى أن هناك معلومات يحصل عليها الباحث عن طريق المقابلة ، ولكنه قد يتعذر عليه أن يقوم بمراجعتها عن طريق الملاحظة . ومن الأمثلة على ذلك نذكر الحالات الماضية والسلوك الجنسى . فمثلا نجد أن مالينوسكى عند وصفه للسلوك الجنسى قد اعتمد على المخبرين هناك . كما أنه قد اعتمد أيضا على المخبرين عند دراسته لحالات الانتحار التى حدثت فى الماضى . (جزر التروبرياند) . كذلك نجد أن ريموند فيرث (فى جزيرة تيكوبيا) عند

---

(٨) Ibid, p. 46.

حديثه عن وأد الأطفال غير المرغوب فيهم وكذلك عند حديثه عن العزل Coitus interruptus قد اعتمد على المخبرين من الأهالى .

* * *

وفى حالة تعذر استخدام الملاحظة لمراجعة المعلومات التى يحصل عليها الباحث من المقابلة ، فإننا ننصح بتكرار المقابلة مع عدد من المخبرين لمناقشتهم فى تلك المعلومات . وقد يجد الباحث اختلافات بين المعلومات التى يقوم بجمعها من المخبرين ؛ ذلك أن الأشخاص قد يختلفون فيما بينهم أحيانا عندما يقومون بوصف بعض الحقائق . وهذا الاختلاف فى معلومات المخبرين يرجع إلى أسباب مختلفة نذكر منها : اختلاف وجهات النظر ، مدى دقة المخبر ، مقدار معلوماته عن موضوع البحث (وهذا قد يختلف نتيجة لعوامل مختلفة نذكر منها : السن age ، النوع sex ، المنزلة الاجتماعية) .

وفى بعض الأحيان، قد لا يجد الباحث أمامه على قيد الحياة إلا مخبرا واحدا فقط ، هو مصدره الوحيد للمعلومات (مثلا : لا يوجد إلا زعيم معين يتذكر أساطير القبيلة). وفى هذه الحالة يتعين على الباحث أن يذكر لنا صراحة مصدر معلوماته ، وكذلك مدى درجة الثقة فى هذه المعلومات .

(٨)

تسجيل الملاحظة والمقابلة

فيما يلى بعض الملاحظات عن تسجيل ملاحظات الباحث الحقلى للأنشطة التى يقوم بها أفراد مجتمع البحث أو عن تسجيل أقوال المخبرين :

١ — ينبغى على الباحث الحقلى أن يقوم أولا بكتابة التاريخ date ومكان تدوين الملاحظات قبل أن يقوم بتدوين ملاحظاته عن أنشطة الأهالى أو عن أقوال المخبرين .

٢ — ينبغى على الباحث أن يبين كذلك بكل وضوح مصدر الملاحظات التى قام بتسجيلها : هل هى ملاحظة observation مباشرة للباحث نفسه ؟ هل هى إجابة أحد المخبرين ذكرها ردا على أسئلة وجهها إليه الباحث ؟ أم أنها معلومات قدمها له أحد المخبرين طوعا ؟

٣ — كذلك ينبغى على الباحث أن يذكر أسماء المخبرين informants الذين قدموا له المعلومات التى قام بتسجيلها .

٤ — ينبغى على الباحث أن يتعرف على اتجاهات الأهالى فى مجتمع البحث نحو تدوين الملاحظات note — taking أمامهم . فهناك أفراد لا يبدون اعتراضا على ذلك ، بينما نجد ، فى نفس الوقت ، أفرادا ينزعجون من جراء ذلك (مثلا قد يظن بعض الأفراد أن الغرض من ذلك هو فرض ضرائب عليهم) .

ونحن نرى أنه ينبغى على الباحث — كلما كان ذلك ممكنا — أن يسجل ملاحظاته notes أثناء المقابلة . وفى حالة تعذر التسجيل أثناء المقابلة ، فإنه يتعين عليه أن يقوم بذلك بعد المقابلة مباشرة . وإذا لم يقم الباحث بذلك ، فإن من المحتمل أن ينسى تسجيل الكثير من المعلومات .

والذى لا شك فيه أن الطريقة التى يتبعها الباحث الحقلى بالنسبة لتدوين ملاحظاته إنما تتوقف على اعتبارات عديدة ، نذكر منها : مدى قدرة الباحث

على الكتابة بسرعة، تسجيل الباحث الحقلى أقوال المخبرين بلغة الأهالى أم بترجمة لها، استخدام الاختزال، ذاكرة الباحث الحقلى نفسه.

ومن العلماء الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم أمام المخبرين نذكر عالم الأنثروبولوجيا س. ف. نادل S. F. Nadel، وهو يذكر لنا أنهم لم يعترضوا أبدا على ذلك. وبالنسبة لتسجيل المقابلات فى بحث (ميدلتاون) فإن روبرت لند و هـ. لند يذكران لنا أن الباحث الحقلى كان يقوم — أثناء المقابلة — بكتابة أكبر قدر ممكن من النقاط الموجزة عما دار فيها. ثم يسارع بعد انتهاء المقابلة، إلى تسجيلها بالتفصيل وبالكيفية المتفق عليها بين أفراد هيئة البحث. ولكن إذا تعذر على الباحث القيام بتسجيل أية نقاط موجزة أثناء المقابلة، فإنه يسارع، عقب الانتهاء منها مباشرة، إلى تسجيلها بالتفصيل اعتمادا على ذاكرته.

٥ — ينبغى على الباحث الحقلى أن يفرق بين ملاحظاته وبين تفسيراته الشخصية لها.

٦ — لقد اتجه بعض الباحثين الحقليين إلى استخدام أجهزة تسجيل صوتية لتسجيل أقوال المخبرين أو لتسجيل ملاحظاتهم. ونحن نرى — فى حالة استخدام هذه الأجهزة لتسجيل أقوال المخبرين — أن يكون ذلك بعلم منهم وبموافقتهم التامة. ومن البحوث التى استخدمت فيها أجهزة التسجيل الصوتية فى مصر نذكر بحث « تعاطى الحشيش » الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية:

« فى جميع جلسات الاستبار تم تسجيل إجابات المفحوصين مباشرة أى

أثناء الجلسات نفسها، وكان هذا التسجيل يجرى كتابة أو آليا. وفى الحالتين كان يتم على مشهد من المفحوصين » (٩).

٧ — إذا لم يكن لدى الباحث إلا نسخة واحدة فقط من ملاحظاته فى الميدان، فإننا ننصح بأن ينسخها حتى تكون لديه نسخة أخرى. فإذا فقد نسخة بسبب الحريق أو الفيضان، مثلا، فإنه يستطيع أن يرجع إلى النسخة الأخرى الموجودة لديه.

وجدير بالذكر أن هيئة البحث فى « يانكى سيتى » كانت تقوم بتسجيل الملاحظات observations والمقابلات inteviews التى كان يجريها كل باحث من نسختين. وكان الباحث يحتفظ لنفسه بنسخة منها، فى حين أن النسخة الثانية كانت تودع بمقر البحث لتكون فى متناول اليد بالنسبة لبقية أفراد هيئة البحث research staff (١٠).

(٩)

الصور الفوتوغرافية

تعتبر آلة التصوير the camera وسيلة نافعة ولا غنى عنها لجمع المعلومات فى ميدان الدراسات الحقلية. ونحن نجد أن كثيرا من العلماء قد ضمنوا تقاريرهم

(٩) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، تعاطى الحشيش — التقرير الأول سنة ١٩٦٠) ص ٣٩.

(١٠) W. L. Warner and P. S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, (New Haven, Yale University Press, 1955), p. 69.

عن دراساتهم الحقلية صورا فوتوغرافية عن الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية. ومن هؤلاء العلماء نذكر : ساجمان (جنوب السودان) ، راد كليف براون (جزر الأندمان) ، مالينوسكى (جزر التروبرياند) ، إيفانز بريتشارد (الأزاندى والنوير) ، بريستيانى (الكبيجس) ، ريموندفيرث (تيكوبيا) ، وورنر (المورنجن) ، دوبى (شاميربت) جون إمبرى (سوهى مورا) ، نادل (النوبى) ، فورد (الياكو فى نيجيريا) ، ردفيلد (شان كوم) ؛ إ. فريدل (فاسيليكا فى بلاد اليونان).

وجدير بالذكر أن عدد الصور الفوتوغرافية فى التقرير النهائى للبحث يختلف من باحث الى آخر . فمثلا نجد أن كتاب مالينوسكى الذى خصصه لدراسة الحياة الجنسية فى جزر التروبرياند يحتوى على ٩١ صورة ؛ بينما يحتوى كتاب ا. فريدل عن قرية فاسيليكا على خمسة صور فقط .

ومن مشكلات استخدام آلة التصوير فى البحث الحقلى نذكر مشكلة اختيار الباحث للمادة التى يقوم بتصويرها Selection of material . فقد يرى البعض أن الصور الفوتوغرافية التى عاد بها الباحث ، من بعثة الحقلية إنما تكشف تحيز الباحث ، وأنها لا تمثل إلا عرضا غير كامل لحياة ذلك المجتمع الذى قام بدراسته . وجدير بالذكر أن ب مالينوسكى يعترف لنا أن الوقائع الكبيرة والمثيرة كانت تستهويه ليقوم بتصويرها أثناء وجوده فى جزر التروبرياند . وقد وجه النقد إلى نفسه لأنه لم يبحث الوقائع اليومية الصغيرة وغير الممتعة بنفس القدر من الحب والاهتمام الذى كان يبديه نحو الوقائع الكبيرة والمثيرة .

كما أن هناك جوانب معينة من الحياة الاجتماعية يصعب أو يستحيل على

الباحث أن يقدم لنا صورا فوتوغرافية لها . فمثلا نجد أن مالينوسكى يبدى أسفه لقلة الصور الفوتوغرافية التى قدمها لنا عن المواقف الغرامية فى جزر التروبرياند .

والذى لاشك فيه أن الصورة الفوتوغرافية قد أصبحت تعتبر جزءا هاما من التقارير التى يكتبها الباحثون عن دراستهم الحقلية . فالصورة تعتبر نوعا من الاثبات للوصف الذى يقدمه لنا الباحث الحقلى . ومن ثم فإننا ننصح طلاب الماجستير والدكتوراه بأقسام الاجتماع بالجامعات أن يضمنوا رسائلهم صورا للمجتمعات التى يقومون بدراستها . فنحن فى حاجة إلى العديد من الصور الفوتوغرافية للحياة الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى : فى الريف وفى الصحراء وفى المدن . وينبغى على الباحث الحقلى أن يضع الصور الفوتوغرافية فى صفحات مستقلة داخل الرسالة . وإذا كثر عددها ، فإنه يستطيع أن يجمعها ويضعها فى نهاية الرسالة . أما إذا كثر عدد الصور بدرجة كبيرة جدا ، فإننا ننصح بتخصيص مجلد خاص بالصور الفوتوغرافية يرفق مع المجلد المخصص للرسالة.

وبالنسبة للتصوير فى المناطق النائية ، فإننا ننصح بأن يحمل الباحث معه آلتين للتصوير على الأقل . فإذا تعطلت إحداهما عن العمل أو فقدت فإن الباحث يستطيع أن يستخدم الآلة الأخرى

كما أننا نرى أنه يتعين على الباحث ألا يقوم بتصوير الأفراد أو الأماكن المقدسة أو الاحتفالات .. الخ إلا بعد الحصول على الموافقة للقيام بذلك. وقد يؤدى عدم مراعاة ذلك من جانب الباحث إلى إثارة عداوة أفراد المجتمع نحوه وإلى اتجاههم إلى عدم التعاون معه

(١٠)

الاستخبـــار

استخدم العلماء الاستخبار questionnaire كأساس لكثير من البحوث الاجتماعية فى المجتمعات الحضرية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة روبرت لند و هـ . لند (ميدلتاون) و ل . وورنر وزملاوه فى « يانكى سيتى » .

أما فى المجتمعات البدائية ، فقد تم استخدام الاستخبار على نطاق محدود . وكان الهدف من ذلك هو إما جمع المعلومات أو التعرف على بعض الاتجاهات . هذا ويمكننا أن نقسم الاستخبارات التى استخدمت فى الشعوب البدائية إلى قسمين :

١ ـ استخبارات موجهة إلى المستوطنين الأوربيين *European residents* الذين يقيمون فى المجتمعات البدائية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر الاستخبار الذى أعده « مورجان Morgan » عن موضوع مصطلحات القـــرابة Kinship terms والذى تم إرساله إلى ١٣٩ دبلوماسى للولايات المتحدة (سنة ١٨٦٠) ؛ واستخبار « ثورنورلد » عن الأحوال الاقتصادية والذى تم إرساله إلى الموظفين الحكوميين فى شرق إفريقية .

٢ ـ استخبارات موجهة إلى الأفراد المتعلمين فى الشعوب البدائية (كالمدرسين والكتبة) . ومن الأمثلة على ذلك نذكر لجنة « ميرل دافيز » إلى جنوب إفريقية وروديسيا الشمالية(١١) .

---

(11) Davis, J. Merle, *Modern Industry and the African*, (London, Macmillan, 1933), p. 425.

(١١)

دراسة سلاسل الأنساب

كان و . هـ . ر . ريفرز W. H. R. Rivers (١٨٦٤ — ١٩٢٢) ضمن أعضاء بعثة جامعة كمبردج إلى مضايق توريس (١٨٩٨ — ١٨٩٩) . وفى أثناء تسجيله لسلاسل الأنساب الخاصة بالاسر هناك، تبين له مدى أهمية هذه الطريقة فى دراسة المجتمع . وقد أطلق ريفرز على هذه الطريقة اسم «طريقة سلسلة النسب The genealogical method » . وعندما توجه بعد ذلك لدراسة التوديين the Todas فى جنوب الهند (١٩٠١ — ١٩٠٢) نجد أنه قد استخدم هذه الطريقة أيضا فى دراسته لذلك المجتمع . وقد شاع استخدام هذه الطريقة بعد ذلك . ومن أمثلة العلماء الذين استخدموها فى دراساتهم نذكر سلجمان (جنوب السودان) ومالينوسكى (جزر التروبرياند) وريموند فيرث (تيكوبيا) . والذى لاشك فيه أن هذه الطريقة تساعد الباحث فى الحصول على كثير من المعلومات عن جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية مثل القرابة والهجرات والوفيات . فمثلا نجد أن ريموند فيرث أثناء دراسته فى جزيرة تيكوبيا (١٩٢٨ — ١٩٢٩) قد استخدمها لدراسة الموتى غرقا بسبب الأسفار البحرية(١٢) .

---

(١٢) W. H. R. Rivers, « The genealogical Method of Anthropological Inquiry, *The Sociological Review*; Vol. III No 1 (January 1910), pp. 1—12.

(١٢)

اللغة كأداة للبحث الحقلي

تبين لنا من الدراسة أن بعض العلماء قد اعتمدوا على المترجمين interpreters طوال فترة البحث الحقلي كلها أو خلال فترة معينة فقط، ومن الأمثلة على ذلك نذكر ريفرز (التودا)، لوسي مير (الباجندا)، ميرفورتس (التالنسي). ويرى رالف بدنجتون أن هذا الأسلوب للاتصال يعتبر أسلوبا غير مرض على الإطلاق، ومن الممكن جدا أن يؤدي إلى سوء الفهم misunderstanding.

يقول رالف بدنجتون:

« Furthermore, the presence of a third party who is not directly concerned in the conversation and the necessary pauses in communication to allow for translation entail an element of artificiality and self—consciousness in the situation which is one of the things which the field—worker should aim to avoid. It is quite impossible to establish through a third person the intimate *rapport* and mutual understanding which are so important ».

(Ralph Piddington, *An Introduction To Social Anthropology*, volume Two, First Edition, 1957, p. 564).

كما تبين لنا من الدراسة كذلك أن بعض العلماء قد اعتمدوا على لغة Pidgin—English كوسيلة التخاطب مع الأهالي. فمثلا يذكر لنا ريموند فيرث أن وسيلة التخاطب التي اعتمد عليها في تخاطبه مع أهالي تيكوبيا خلال الثلاث أسابيع الأولى كانت خليطا من لغة الموري ولغة Pidgin—English. ولكنه استخدم لغة الأهالي أنفسهم بعد ذلك طوال إقامته بالجزيرة.

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 6).

كما يذكر لنا ب. مالينوسكي أنه قد استخدم لغة Pidgin - English في بداية دراسته في جزر التروبرياند (٣).

---

(١٣) يعرف قاموس اكسفورد لغة Pidgin—English بأنها رطانة — تتكون أساسا من كلمات انجليزية — تستخدم في التخاطب بين الأوربيين والصينيين، أنظر:

The Concise Oxford Dictionary of Current English (Fourth Edition; 1954), p. 899.

وفيما يلي جملة مكتوبة بلغة Pidgin—English وترجمتها باللغة الانجليزية. وقد نقلناها من كتاب أستاذنا الدكتور علي أحمد عيسى:

Mi laikim in tasol.
Me like him that's all.

أنظر:

Aly A. Issa, *Social Anthropology In Theory And Practice*, (Dar AL—Masrif —Cairo, first edition, 1964), p. 128.

لكنه سرعان ماتبين أن ذلك لن يمكنه من التفاعل فى الحياة الاجتماعية وفهمها فهما سليما . ومن ثم فقد اتجه لدراسة لغة الأهالى واستخدامها فى التخاطب معهم.

يقول مالينوسكى :

« It must be borne in mind that pidgin — English is a very imperfect instrument for expressing one's ideas »

(B Malinowski, *Argonauts Of The Western Pacific*, p. 5).

كذلك تدلنا الدراسة على أن كثيرا من العلماء قد استخدموا لغة الأهالى أثناء إجراء دراساتهم الحقلية . ومن هؤلاء العلماء نذكر : بواس (الاسكيمو) مالينوسكى (جزر التروبرياند) ريموند فيرث (جزيرة تيكوبيا) ايفانز بريتشارد (النوير) نادل (النوبى) .

يقول فرانز بواس :

« We must insist that a command of the language is an indispensable means of obtaining accurate and thorough knowledge, because much information can be gained by listening to conversations of the native and by taking part in their daily life, which to the observer who has no command of the language, will remain inaccessible ».

(Robert H Lowie, *The History of Ethnological Theory*, London, 1937, p. 132).

والذى لاشك فيه أن تعلم لغة الأهالى واستخدامها أثناء فترة الدراسة الحقلية أفضل كثيرا من الاعتماد على لغة pidgin - English أو على المترجمين . إلا أننا يجب أن نأخذ فى الاعتبار أن تعلم اللغة فى المجتمعات البدائية ليس أمرا هينا . فالكثير من هذه اللغات ليس لها أجرومية grammar ولا معاجم خاصة بها . فمثلا

نجد أن ايفانز بريتشارد يذكر لنا أن اللغة كانت عقبة كبرى فى وجهه عندما ذهب لدراسة قبائل النوير . ذلك أنه لم يتمكن من العثور على أحد المترجمين هناك ، كما أنه لم يجد أحدا بين النوير يستطيع التحدث باللغة العربية . وفضلا عن ذلك فإنه لم يجد معجما للغة الأهالى . ونتيجة لذلك كله، فقد قضى كل فترة البعثة الأولى وجزءا كبيرا من فترة البعثة الثانية فى محاولة تعلم لغة الأهالى حتى يستطيع أن يستخدمها فى تخاطبه معهم .

(E. E. Evans — Pritchard *The Nuer* (Oxford, At the Clarendon Press. 1940, p. 10).

ومن العوامل الأخرى التى تزيد من صعوبة دراسة لغـــات المجتمعات البدائية نذكر : قصر مدة البحث الحقلى ، إجراء الدراسة على مجموعات مختلفة من القبائل .

وفى الأحوال التى تدعو فيها الضرورة إلى الاعتماد على المترجمين ، فإننا ننصح بأن يقوم الباحث باختبار دقة المترجم بكل وسيلة ممكنة . كما أنه ينبغى على الباحث أن يقوم بتدريبه أيضا .

كذلك ننصح الباحثين الذين يعتمدون على المترجمين أن يتعلموا أكبر قدر ممكن من الأسماء بلغة الأهالى native terms ، وبصفة خاصة الكلمات التى ليس لها ما يساويها فى لغة الباحث .

(١٣)

البيانات الإحصائية

بالنسبة للجانب الإحصائى فى البحوث الحقلية، نلاحظ أن الدراسات الأولى كانت تتسم بالنقص فى هذه البيانات . ونحن عند دراستنا لهذه الناحية يجب أن

نأخذ فى الاعتبار أن تلك المجتمعات التى درسها العلماء كانت مجتمعات أمية، ولم توجد بها إحصاءات رسمية يمكن الباحث أن يعتمد عليها . ولئلا فى ذلك النقص فقد قام بعض العلماء بعمل إحصاءات عن سكان للمناطق التى درسوها . وقد سبق وأشرنا من قبل الى أن ريموند فيرث قد قام بعمل إحصاء لسكان جزيرة تيكوبيا . ومما لاشك فيه أن هذا النقص فى البيانات الإحصائية كان عقبة كبرى أمام الباحثين فيما يتعلق بإمكان إجراء مقارنات لجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية فى فترات مختلفة .

(١٤)

بحث الفريق Team research

من دراستنا للابحاث الحقلية فى المجتمعات البدائية ، تبين لنا أن بعض العلماء قد نزلوا بمفردهم إلى الميدان (رادكليف براون ، مالينوسكى) . كما تبين لنا أيضا أن بعضهم قد صحب معه زوجته (مثل ساجمان فى جنوب السودان ، ريموند فيرث فى الملايو) . وفضلا عما تقدم ، فإننا نجد أن بعض الباحثين قد صحبوا معهم فريقا من الباحثين (مثل بعثة جامعة كمبردج إلى مضايق توريس) .

ومن أمثلة بحث الفريق فى المجتمعات القروية نذكر : دراسات ديمترى جاستى عن القرية فى رومانيا ودراسة دوبى وزملاؤه عن قرية شاميربت فى الهند .

وفى المجتمعات الحضرية لدينا أمثلة كثيرة على بحث الفريق . ونكتفى هنا بالإشارة إلى دراسة ل . وورنر وزملاؤه فى « يانكى سيتى » و « جونزفيل » .

ولاشك أن هذه الطريقة لها مزاياها فى ميدان الدراسات الاجتماعية . فهى

تساعدنا على الوصول إلى فهم أكثر لطبيعة الظواهر الإجتماعية كما أنها تمكننا أيضا من الوصول إلى النتائج المرجوة فى وقت أقل بكثير من الوقت الذى يستغرقه باحث بمفرده فى الميدان . ورغما من ذلك ، فهذه الطريقة لها عيوبها أيضا . فهى تحتاج إلى تكاليف باهظة ، كما أنه قد يكون هناك نقص فى وجود المتخصصين اللازمين للاشتراك فى للبحث . وفضلا عن ذلك ، فقد لا يتيسر فى بعض الأحيان الاحتفاظ بالعلاقات الودية التى ينبغى أن تكون سائدة بين أعضاء الفريق .

أنظر :

على محمود إسلام الفار : « بحث الفريق كطريقة لدراسة المجتمع » . بحث منشور فى كتاب « دراسات فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا مهداه إلى روح الدكتور أحمد الخشاب » ــ تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية (دار المعارف بمصر ــ الطبعة الاولى . سنة ١٩٧٥) .

(١٥)

خاتمة ومقترحات

تبين لنا مما تقدم أن البحوث الحقلية التى أجريت بواسطة العلماء ، خلال القرن التاسع عشر ، كانت قليلة . ذلك أن معظم العلماء فى ذلك الحين لم يخطر ببالهم زيارة تلك الشعوب التى أنفقوا حياتهم فى الكتابة عنها . ويذكر لنا وليام جيمس William James أنه عندما سأل « سير جيمس فريزر » عن الشعوب البدائية التى قام بزيارتها صاح قائلا : ولكن معاذ الله ».(١٤)

(١٤) Ruth Benedict, 'Anthropology and the Humanities' in '*An Anthropologist at work : Writings of Ruth Benedict*', By Margaret Mead (London, Secker and Warburg, 1969), p. 462.

أما فى القرن العشرين، فقد نزل الكثير من العلماء إلى الميدان وقاموا بدراسات حقلية عن المجتمعات البدائية والقروية والحضرية. ويرى سلجمان C G. Seligman أن أهمية إجراء البحوث الحقلية بالنسبة للأنثروبولوجيا الاجتماعية تعتبر مماثلة تماما لأهمية دم الشهداء بالنسبة للكنيسة !! (١٥)

* * *

وفى جمهورية مصر العربية نحن نحتاج إلى خطة عامة لإجراء الكثير من الدراسات الحقلية. فمثلا نحن نحتاج إلى إجراء الدراسات الحقلية عن سيناء والصحراء الشرقية والصحراء الغربية. كما أننا نحتاج كذلك إلى إجراء الدراسات عن قرى مصر ومدنها. وبالنسبة للوطن العربى والقارة الإفريقية، نحن نحتاج أيضا إلى إجراء المزيد من الدراسات الحقلية. وغنى عن البيان أن مثل هذه الدراسات العلمية هى سبيلنا الوحيد إلى الفهم السليم لطبيعة الظواهر الاجتماعية.

لكن الدراسات الحقلية تحتاج إلى تخطيط وتمويل وباحثين. ومن ثم فإننا فى حاجة إلى هيئة عليا للبحوث يكون من اختصاصها ما يأتى :

١ — إعداد خطة للبحوث فى جمهورية مصر العربية.

٢ — إعداد خطة للبحوث فى الوطن العربى.

٤ — التنسيق بين جهود الهيئات العلمية التى تقوم بإجراء البحوث منعا لتكرار الجهود.

(١٥) *Research in Social Anthropology* : A Social Science Research Council Review (London, 1968), p. 82.

٥ — إنشاء مراكز للدراسات الحقلية.

٦ — إصدار مجله علمية.

٧ — إنشاء مكتبة متخصصة.

٨ — تقديم المنح العلمية للباحثين.

ونحن ندعو الباحثين الى التعاون فيما بينهم، كلما أمكن ذلك، وتكوين فرقاء البحث العلمى.

كذلك ينبغى علينا أن نبدى اهتماما كبيرا بمشروعات البحوث عن المجتمعات التى سبق وتمت دراستها من قبل Follow - up studies. ذلك أن مثل هذا النوع من الدراسات يوفر لنا معلومات قيمة عن التغيرات التى تحدث فى المجتمع فى أزمان مختلفة.